

مرسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية

تخصص: علم الدلالة بين التراث والحداثة

موسومة بـ:

المصطلح النحوي ووظيفته الدلالية بين الأصالة والمعاصرة

إشراف الأستاذ الدكتور:

عبد الجليل مرتاض

إعداد الطالب الباحث :

بن عودة بلقاسم

أعضاء لجنة المناقشة

رئيساً	جامعة النعام	أستاذ التعليم العالي	أ.د. أحمد جلايلي
مشرفاً ومقرراً	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د. عبد الجليل مرتاض
عضوا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د. هشام خالدي
عضوا	جامعة تيارت	أستاذ التعليم العالي	أ.د. عرابي أحمد
عضوا	جامعة بلعباس	أستاذ التعليم العالي	أ.د. لحسن بلبشير
عضوا	جامعة تلمسان	أستاذ محاضر « أ »	د. عبد الناصر بوعلي

الموسم الجامعي:

(1436-1437هـ) الموافق لـ (2015-2016م)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَكُرْهًا وَضَعَتْهُ كُرْهًا
وَحَمْلُهُ وَوَفَصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَوَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ
أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا
تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾

الإهداء

إلى الوالدين الكريمين العزيزين أطال الله في عمرهما
بالتقوى والعمل الصالح.

إلى الإخوة الكرام: الحبيب، بن عيسى، عبد القادر، مصطفى، الميلود، الهوامري،

إبراهيم وجميع أبنائهم (حفظهم الله جميعاً)

إلى الأخوات العزيزات: زهرة (شفاها الله)، عائشة، جميلة

وأبنائهن (حفظهم الله)

إلى ولداي: ملك نروليخة، ومحمد صلاح الدين.

إلى كل من أعانني على إنجاز هذا البحث.

إلى كل هؤلاء جميعاً

أهدي ثمرة هذا البحث المتواضع مراجياً من المولى أن يجعله في موازين حسناتي يوم القيامة

مقدمة

الحمد لله حمدا يوافي نعمه، ويدافع نقمه، ويكافئ مزيده بمنه، وكرمه والصلاة والسلام، على من أُعطيَ جوامع الكلم، وكان أفصح من نطق بالضاد وعلى آله وصحبه خير العباد وعلى من ترسم خطاهم، ونحا نحوهم إلى يوم الدين وبعد:....

إنّ التقدّم في المعرفة البشريّة والتكنولوجيا والاقتصاد يعتمد إلى حدّ كبير على توثيق المعلومات وتبادلها. واستخدام المفاهيم التي نعبر عنها بالمصطلحات والرموز أساساً لتنظيم الأفكار العلميّة وجميع المعلومات الأخرى. غير أنّ هذا التطور السريع في المعارف الإنسانيّة أدّى إلى صعوبة إيجاد مصطلحات كافية شافية، إذ لا يوجد تطابق ولا تناسب بين عدد المفاهيم العلميّة المتنامية وعدد المصطلحات التي تعبر عنها. فعدد الجذور في أيّة لغة لا يتجاوز الآلاف على حين يبلغ عدد المفاهيم الموجودة الملايين وهي في ازدياد ونمو مضطربين. ففي حقل الهندسة الكهربائيّة، مثلاً، يوجد حالياً ما يربو على أربعة ملايين مفهوم على حين لا يحتوي أكبر معجم لأيّة لغة على أكثر من ستمائة ألف مدخل.

ولهذا كلّ، تلجأ اللغات إلى التعبير عن المفاهيم الجديدة بالمجاز والاشتراك اللفظي وغيرهما من الوسائل الصرفيّة والدلاليّة. وقد يقود ذلك إلى ارتباك واضطراب على المستويين الوطنيّ والدوليّ، خاصّة أن تصنيف المفاهيم وطريقة التعبير عنها يختلفان من لغة إلى أخرى ما يؤدي إلى صعوبة في تبادل المعلومات وتمميتها. ولهذا، كذلك، كان لا بدّ من توحيد المبادئ التي تتحكّم في إيجاد المفاهيم أو تغييرها وفي وضع المصطلحات المقابلة لها وتعديلها. ومن هنا نشأ علم المصطلح الحديث خلال القرن العشرين؛ وهو علم حديث النشأة وما زال في دور النمو والتكامل.

واللغة عنوان رقيّ الأمة، ولا حركية للغة من دون حركية المصطلح الذي هو عصب اللغة العلميّة وعماد مفاهيمها التقنيّة والإجرائيّة، وتقاس أهمية اللغة بقدرتها على التبليغ ومواكبة المستجدّ من المفاهيم العلميّة والحضارية. ولمّا كانت العلوم والفنون والتقنيات دائبة التطور والاتساع كانت بنياتها الاصطلاحية دائمة التحول، فالمعارف العلميّة متغيّرة حقاً، ويتخذ تغييرها شكل "التراكم"، بإضافة الجديد إلى

القديم، ومن ثمَّ فإنَّ نطاق المعرفة بشتى التخصصات ما فتىَّ يتَّسع باستمرار. وإذا سلم العديد من المفكرين بالتوازي القائم بين اللغة والفكر، فقد يحصل أن لا يواكب التطور اللغوي التطور الفكري، فيهرع أصحاب اللغة إلى وضع اصطلاحات هجينة لتسمية المفاهيم المستحدثة.

ومن أهم الاشكالات التي تُطرحُ في المصطلح هو: أدأوه لوظيفته الدلالية الصناعية تبعا للصناعة التي تكون مجالا لتخصصه، والصناعة النحويّة هي إحدى هذه الصناعات التي يتخبط فيها المصطلح النحويّ في إشكالات كثيرة قديما وحديثا فالشكوى من صعوبة النحو ليست وليدة اليوم بل هي قديمة قدم ظهور هذه الصناعة (أي ظهور مصطلح النحو)، كما تذكر الكثير من الروايات التاريخية أنَّ أبا الأسود الدؤلي(ت69هـ) من كتب النحو بأمر من على بن أبي طالب(ت40هـ) حينما: دفع إليه رقعة كتب فيها: الكلام كله اسم وفعل وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمى والفعل ما أنبئ به والحرف ما أفاد معنى، وقال له **انح** هذا **النحو** وأضف إليه ما وقع إليك (وغيرها من الروايات) فسمي علم قواعد اللغة العربية: (**نحواً**)، وبغض النظر عن صحة هذه الرواية من عدمها فإنَّ مصطلح: **النحو** ظهر ظهورا عفويا غير خاضع لأي منهج فلسفي أو تعليمي.

والحقيقة أن هذه الاشكالات قد شغلت بالي منذ مدة طويلة أكاد أقول ودون أي تردد منذ بدايتي رحلة العلم يوم أن كنت صغيرا لا أفرق بين المعاني والمصطلحات وكبرت معي الفكرة واختمرت في ذهني عاما بعد عام وهي تتعاضم شيئا فشيئا حتى وجدت نفسي أستاذا للغة العربية والنحو ورأيت أن التلميذ والطالب يكتنفه السأم والملل حينما يعرف أن النشاط هو نشاط النحو أو قواعد اللغة العربية؛ بل هناك من صرح لي أنه يكره النحو لدرجة المقت، ففكرت كثيرا في الأسباب التي أدت لهذا الشعور الغريب للغة التي يعتبر النحو جزءاً مهما منها.

ثم فكرت في هذا الشعور فبرزت لي الكثير من السلبيات التي أدت لذلك، ومن بينها والتي كان لها عندي اهتمام كبير هو إشكالية المصطلح النحويّ في المناهج التعليمية الراهنة فوجدت أن من بين هذه السلبيات هي: عدم موافقة المصطلح

النحويّ لمعناه المعجمي والدلالي ومن أمثلة ذلك: الفعل المضارع الذي يحمل معنى: اسم فاعل من الفعل ضارع، ومضارع له: مشابهة أما من الناحية الاصطلاحية فالفعل المضارع: هو صيغة فعلية تدل على الحاضر أو المستقبل كالفعل خرج الذي مضارعه هو: أخرج، تخرج، نخرج، يخرج، ويكون مبدوءاً بأحد أحرف المضارعة (أنيت)، والنحاة يعنون به مشابهة الفعل للاسم لما يعتريه من اختلاف الدلالة باختلاف العوامل الداخلة عليه كالأسماء في اختلاف مواقعها في الجملة مرة يكون الاسم فاعلاً ومرة مفعولاً ومرة مجروراً.

فحينما نتأمل في هذا المصطلح لا نجد ارتباطاً وثيقاً بين دلالاته اللغوية والاصطلاحية لا سيما الاجرائية منها مثل الفعل الماضي الذي معناه اللغوي يوافق المعنى الاصطلاحي وهي: الدلالة على الماضي في كلتا الحالتين، ومن هذا الاشكال الفكري اتضحت لنا رؤية هذا البحث في الكشف والتنقيب عن نشوء المصطلح النحويّ وتطوره عبر الأزمان ومدى موافقته لوظيفته النحويّة العملية وربطه بالمعاني اللغوية والاصطلاحية فكان عنوان الرسالة:

- المصطلح النحويّ ووظيفته الدلالية بين الأصالة و المعاصرة.

قسمنا بحثنا هذا إلى خمسة فصول، فافتتحنا بمقدمة بيّنا فيها سبب اختيارنا للموضوع، وطرح اشكاليته وبيّنا أقسامه وفصوله ثم المنهج الذي بنينا عليه بحثنا والعوائق التي اعترضتنا في إنجازهِ.

ثم استهللنا البحث بمدخل حول خصائص النحو والمناهج التي اتبعت في جمعه لا سيما المنهج الوصفي والمعياري، من خلال التفكير المنطقي الفلسفي متأثراً بالعلوم التي غزت الدولة الإسلامية في عز نتاجها العلمي وتطورها الحضاري.

ثم انتقلنا إلى الفصل الأول الذي جعلناه فصلاً نظرياً بحثاً حول المصطلح وعلاقته الدلالية بالنحو من خلال المفاهيم المختلفة للمصطلح في اللغة والاصطلاح، ثم ماهية علم المصطلح وبخاصة في العصر الحديث، فعلاقة المصطلح بالمفهوم الدال عليه، ثم أركان المصطلح و أعطينا نبذة مختصرة عن

تاريخ المصطلح، ثم بينا وسائل وآليات بناء المصطلح في العربية، وولجنا إلى المصطلح النحويّ تعريفًا لغويًا واصطلاحيًا، وعلاقته بالنحو.

أما الفصول الأربعة الموالية فجمعنا فيها بين الدراسات النظرية والتطبيقية من خلال السرد التاريخي لتطور المصطلح النحويّ منذ بدايته إلى غاية نشأته واستقراره واستمراره في زماننا، بالأمثلة والشواهد التطبيقية وربط الكثير منها بالمعاني الدلالية استنتاجاً وتعليقاً. فكان **الفصل الثاني** عن: **نشأة المصطلح النحويّ والمدرسة البصرية**، وفتحنا هذا الفصل بتوطئة ثم كشفنا عن أصول المصطلح النحويّ في القرآن الكريم والحديث الشريف وعند بعض المفسرين الأوائل كابن عباس - رضي الله عنه - (ت68هـ)، ثم انتقلنا إلى مرحلة تأسيس المصطلحات النحويّة قبل سيبويه (ت180هـ) عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فأبي الأسود الدؤلي ومصطلحاته ثم بعض تلاميذه، وانتقلنا إلى المصطلح النحويّ عند المدرسة البصرية، من خلال الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170هـ) وسيبويه على اعتبارهما مؤسسي المدرسة البصرية وختمنا هذا الفصل بتنوع المصطلح عند سيبويه وتداخله.

والفصل الثالث تطرقنا فيه لتوسع المصطلح النحويّ في ظل المدرسة الكوفية، من خلال بيان نشأتها وطبقاتها وأهم نحاتها وخصائصها وطبيعة المصطلح النحويّ عند الكوفيين، ثم توسع المصطلح النحويّ عند أشهر نحاة المدرسة الكوفية واخترنا منهم الكسائي (ت189هـ) والفراء (ت207هـ)، ثم بينا بعض أوجه الاختلاف بين البصريين والكوفيين وأسبابه ومقارنة بين المدرستين وختمنا بنتائج الخلاف بينهما.

هذان الفصلان السابقان هما دراسة عن المصطلح النحويّ عند القدماء لكن الفصل الرابع والخامس فهو دراسة عند المحدثين فكان **الفصل الرابع** عن **المصطلح النحويّ في ظل تيسير النحو في العصر الحديث** إذ بينا بعض محاولات التيسير في العصر الحديث وذكرنا بثورة ابن مضاء القرطبي (ت592هـ) النحويّة باختصار لتشابهها بالثورة النحويّة في العصر الحديث ثم عن المصطلحات النحويّ عند دعاة التيسير، وانتقلنا إلى دراسة بعض الآراء النحويّة التيسيرية الحديثة فاخترنا منها

محاولة إبراهيم مصطفى في إحياءه النحو و تغيير دلالة المصطلح النحويّ عنده ثم آراء تمام حسان اللسانية في ضوء نظرية تظافر القرائن وبعض مصطلحاته التجديدية وختمنا بمشروع مهدي المخزومي وأهم المصطلحات النحويّة التي اقترحها.

أما الفصل الخامس فقد غلب عليه الطابع التطبيقي فكان معنون بـ: **واقع المصطلح النحويّ في ظل مناهج اللغة العربية حديثاً** وقد اخترنا المرحلة الثانوية أنموذجاً لذلك على اعتبار أننا زاولنا رسالة التعليم ردحا من الزمن وعندنا خبرة ودنا الاستفادة منها في هذا البحث فكشفنا عن واقع اللغة العربية والنحو في العصر الحديث، وطرائق تدريس قواعد اللغة العربية وانعكاساتها على المصطلح النحويّ ثم تطرقنا لواقع النحو والمصطلح النحويّ في ظل المقاربة بالكفاءات، واشكالية تداخل المصطلح النحويّ في العصر الحديث وأسبابه، وقد أعقبنا كل مبحث تقريباً بتطبيقات وشواهد تتناسبه. وفي الأخير ختمنا بحثنا **بخاتمة** حوصلنا فيها نتائج هذا البحث.

اتبعنا في بحثنا هذا **المنهج التاريخي التحليلي** ذلك أن هذا المنهج هو المناسب لتتبع أثر المصطلح النحويّ عبر مختلف عصوره من بداية نشوءه إلى غاية استقراره، كما أن هذا البحث يفرض علينا سرد بعض الروايات التاريخية للوصول إلى الغاية الأساس من هذا البحث، والتي قد توصلنا إلى الدلالة التي تمّ من خلالها صياغة المصطلح النحويّ وكيف اطرده على السنة النحاة مشايخاً ومتعلمين، ثم أعقبنا كل رواية بتحليل من أقوال الباحثين في هذا المجال من جهة ومن تحليلنا الخاص واستقراء المفاهيم المختلفة للمصطلحات.

لا أزعم أن قلة المراجع هي من العوائق التي اعترضتنا؛ بل كثرة المراجع هي العائق الكبير في هذا البحث وذلك أن الدراسات في النحو وتاريخه وتاريخ مصطلحاته هائلة فوجدنا زحماً علمياً كالبحر الذي لا ساحل له، فصعب علينا استخراج ما في بطون الكتب والمؤلفات الواسعة من موضوع بحثنا هذا حيث أننا أردنا أن نقصره على المصطلح النحويّ فحسب إلا ما كان من خدمة للغرض الرئيس كسرد بعض الحقائق والروايات التاريخية أو التعريف ببعض الوسائل

المساعدة لهذا الغرض كمنهج تدريس اللغة العربية في العصر الحديث، وصعب علينا أيضا التحكم في اتساع بحثنا نظرا لتعدد مشارب هذا العلم على مدار الزمن.

لا يسعني في هذه المقدمة إلا أن أهيب بشيخي ومؤدبي فضيلة الدكتور الأستاذ الوالد: عبد الجليل مرتاض - حفظه الله ونفع به الأمة - الذي لم يكن مشرفا فحسب بل كنا ولا زلنا نرى فيه هدي العالم وسمته، وحنان الوالد الكريم، وصبر الحليم، وأناة الرحيم، فقد غمرنا بفضله وكرمه فكفى ووفى، وكان خير معين في أثناء هذه السنوات فلن ننسى فضله ما حيينا (جزاه الله عنا خير الجزاء).

كما لا يفوتنا أن ننوه بكل من أعاننا على إنجاز هذا البحث المتواضع الذي نأمل منه أن يثري المكتبة بجديده وأن نكون من خلاله قد أصبنا كبد الحقيقة فيكون لنا أجر الاجتهاد والإصابة، أو أن نفوز بأجر الاجتهاد فقط فيكون لنا فضل التعلم من أخطائنا فنكمل ما أصبنا ونجتنب ما أخطئنا في المستقبل.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

الطالب الباحث: بلقاسم بن عودة

الجزائر في : 2015/05/29م

مدخل

1- النحو والمنطق:

2- تأصيل النحو و قيمته عند قدماء العرب:

3- مناهج التقعيد النحويّة:

أ- المنهج الوصفي (مفهومه - ملامح المنهج الوصفي)

ب- المنهج المعياري (مفهومه - ملامح المنهج الوصفي)

إن علم النحو العربي كغيره من العلوم قد نال حظا وافرا من العناية العلمية الدقيقة التي قادت إلى اصطناع القواعد و تأصيل الأصول- لفهم النص القرآني، أو لوضع سياج يمنع اللحن إليه أو تعليم العجم ممن اضطر بحكم إسلامه إلى اصطناع اللغة العربية لغة أساسية- وطبيعي جدا ما دام انعدام القواعد في كل شيء يكاد يكون مستحيلا أن يبنى هيكل النحو بناءً قاعديا لأن العلوم من هذه الزاوية ليست على وجه الدقة سوى ترابط بين الظواهر وفقا لقواعد، ولا يوجد في أي مكان فقدان للقواعد، و إذا ما ظننا أننا نلاحظ هذا الفقدان فإنه يمكننا أن نقول في هذه الحالة إن القواعد مجهولة لدينا لأن النحو العام هو صورة اللغة عامة و لكن الناس يتكلمون أيضا من دون أن يعرفوا النحو.

والذي يتكلم من دون أن يعرف له في الحقيقة نحو فهو يتكلم وفقا لقواعد لا يشعر بها فقط، و مصداق هذا القول أن العرب في فترة ما قبل الإسلام و قبل ظهور بوارد الدرس النحويّ على يد الرعيل الأول من الرواد، كانوا يتكلمون وفقا لقواعد لم يكونوا يشعرون بها و لكنها كانت في الحقيقة تسري في السليقة التي فطروا عليها شأنهم في ذلك شأن جميع الشعوب، و شأن هذه القواعد النحويّة شأن قوانين علم العروض قبل أن تكتشف لا قبل أن تخترع لأن القوانين التي تمثل النظام كانت في نفوس المتكلمين قبل أن يزاح الغطاء عنها.

1- النحو والمنطق:

إن القاعدة التي نريد الحديث عنها بمفهومها العلمي هي في « كل صناعة أقاويل كلية » أي جامعة ينحصر في كل واحد منها أشياء كثيرة مما تشتمل عليه تلك الصناعة وحدها حتى يأتي على جميع الأشياء التي هي موضوعة للصناعة أو على أكثرها.

أما عن هدف هذه القوانين فيقول الفارابي (ت339 هـ): « و تكون معدة إما ليحاط بها ما هو من تلك الصناعة لئلا يدخل فيها ما ليس منها أو يشذ منها ما هو

منها، و إما ليمتحن بها ما لا يؤمن أن يكون قد غلط فيه غلط و إما ليسهل بها تعلم تحتوي عليه الصناعة و حفظها»⁽¹⁾

إن القاعدة بمفهومها هذا التي اعتمدت في تقنين النحو العربي و ضبط اللسان و صيانتها و من مواصفاتها:

- أ- أنها وصف لسلوك عملي معين في تركيب اللغة.
- ب- أنها جزء من المنهج لا جزء من اللغة.
- ت- أنها لا بد أن تتصف بالعموم و لكنها ليست من الضروري أن تتصف بالشمول، أي أن تكون عامة لا كلية.
- ث- أنها لا بد أن تكون مختصرة، فإذا طالت فقدت عنصرا هاما من عناصر كفايتها وفائدتها العلمية.
- ج- أنها نتيجة من نتائج الاستقراء⁽²⁾.

ومن المستلزمات العلمية التي لا تكاد تخفى على دارس النحو العربي: « الطابع المنطقي »⁽³⁾ الذي يشكل في هذه الصناعة « أساسا تظهر ثماره في الحدود و مباحث القياس و العلة بتفريعاتها »، لأن « صناعة المنطق هي التي تعطي بالجملة القوانين التي شأنها أن تقود العقل... وهذه الصناعة تناسب صناعة النحو: ذلك أن نسبة صناعة المنطق إلى العقل والمعقولات كنسبة صناعة النحو إلى اللسان والألفاظ، فكل ما يعطينا علم النحو من القوانين في الألفاظ فإن علم المنطق يعطينا نظائرها في المعقولات »⁽⁴⁾.

هذه بعض الأسس العلمية التي لامست بناء القاعدة في حظيرة الدرس النحويّ إما عن حظ التخيل في العلوم وبخاصة في النحو فإننا نجد في كثير من مواقفه غير العلمية التي تطغى فيها التخيلات الفلسفية و التعليقات الظنية التي يفتحم فيه النحو

1 - أبو نصر الفارابي: إحصاء العلوم تح: عثمان أمين - الأنجلو المصرية، د ط، د ت، ص: 57.

2 - ينظر: تمام حسان: اللغة بين المعيارية و الوصفية، مكتبة الانجلو المصرية، د ت، ص: 166 - 165.

3 - لا نقصد بذلك الطابع المنطقي الأرسطي لما بينهما من اختلاف في الغايات و الوسائل.

4 - الفارابي: إحصاء العلوم، ص: 68.

قضايا ذات أبعاد نوقية كالملاحظات البلاغية حول أسرار التقديم والتأخير والفصل والوصل والحذف والذكر والتأكيد...زيادة على التأويل المفتعل والتقدير والحمل والافتراض مما يعتبر فضولهما فضولا في علم النحو على حد تعبير ابن هشام، يضاف إلى هذا كله مقولات الخفة والتقل والاستحسان والاستنتاج...

ولئن كان بعض ما نعت به البناء النحويّ صحيحا فإن معظمه لا يفهم إلا بمحاولة استكشاف الخيوط النظرية لهذا البناء و فهم ذلك يسوغ كثيرا مما عد غير علمي في الدرس النحويّ يقول الدكتور العلوي: « لأن قضية الترجيح و الحسن والأحسن والمسترذل...أحكام إذا نظر إليها غير الإطار الذي وصفنا واكتفى إلى التجربة القديمة مستقلة عن الذهنية الإسلامية و تراكيبها لا تعدو أن تكون إدخالا لأحكام القيمة و الجمال في الموضوع العلمي المدروس، أما إذا نظر إليها من الزاوية التي فتحنا بابها فإنها تؤكد قضية التوازي »⁽¹⁾.

2- تأصيل النحو و قيمته عند قدماء العرب:

لا يكاد الحديث عن النحو العربي ونشأته وتطوره يخلو من الحديث عن المصادر التي اعتمد عليها والتي أخذ منها أصوله ومصطلحاته والبحث عن المصادر مسلك علمي قويم غير أنه في الأغلب الأعم كان يقود إلى معالجة قضية الأصالة و التقليد معالجة تبتغي وضع حدود فاصلة بينما هو أصيل وما هو مأخوذ من أعمال الآخرين.⁽²⁾

1- للدكتور العلوي رأي خاص في علم العربية، فهو يرى أن أحكام القيمة جزء لا يمكن فصله عن بناء هذا العلم أنه أساس في التجربة اللغوية المنبئة من الذهنية المجتمعية الإسلامية ذات المقدمات اللاهوتية. ينظر: أحمد العلوي: أسس منهج البحث في اللغويات، ص:46، نقلا عن مجلة المنعطف العدد 2 سنة (1992م) - مجلة تصدر بالمغرب -

2- ينظر: عبد الراجحي: النحو العربي و الدرس الحديث، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت(1979م)، ص:12.

من هنا كثر القول عن هذا النحو حيث يراه بعضهم عربياً، قد نبت عند العرب كما تنبت الشجرة في أرضها، وأنه انتقى العلوم العربية عروبة و يراه الآخرون ناقلاً عن الهنود أو اليونان أو السريان ويقر " كارل بروكلمان (1) " أن: « أوائل علم اللغة العربية ستبقى دائماً محوطة بالغموض والظلام لأنه لا يكاد ينتظر أن يكشف النقاب بعد عن مصادر جديدة تعين على بحثها و معرفتها و من ثم لا يمكن إصدار حكم قطعي مبني على مصادر ثابتة للحسم برأي في إمكان تأثر علماء اللغة الأولين بنماذج أجنبية...و الرأي الذي يتكرر دوماً عند علماء العرب و هو أن علم النحو انبثق من العقلية العربية المحصنة بغض النظر عن الروابط بين اصطلاحات هذا العلم و منطق أرسطو فيما عدا ذلك لا يمكن إثبات وجوه أخرى من التأثير الأجنبي لا من القواعد اللاتينية و لا من الهندية » (2).

والبون شاسع بين محاربة اللحن وإرادة الفهم لأن اللحن ما كان يفضي بهذا النحو إلى ما نفضي إليه في هذه المرحلة الباكرة من حياته بل لعله كان حقيقياً أن يقتصر على وضع ضوابط الصحة و الخطأ في كلام العرب أما الفهم فإنه يقصد إلى البحث عن كل ما يفيد في استنتاج النص وفي معرفة ما يؤديه التركيب القرآني على وجه الخصوص باعتباره أعلى ما في العربية من بيان، من هنا كان هذا النشاط النحوي القديم على الوجه الذي نعرفه من كثرة علمائه و تفرع مذاهبه و وفرة مادته.

1 - كارل بروكلمان ولد في 17 سبتمبر 1868 في مدينة روستوك، و كان مستشرقاً ألمانيا. بدأ دراسة اللغة العربية وهو في المرحلة الثانوية، ثم بدأ يدرس السريانية، والآرامية الكتابية، وأتقن العبرية. درس في الجامعة بالإضافة إلى اللغات الشرقية اللغات الكلاسيكية (اليونانية واللاتينية) ودرس على يدي المستشرق ثيودور نولدكه كفه بالقيام بدراسة عن العلاقة بين كتاب (الكامل في التاريخ لابن الأثير)، وكتاب (أخبار الرسل والملوك للطبري)، وقد استطاع الحصول على الدكتوراه الأولى عام 1890. انتخب بروكلمان في مجاميع: برلين ولييزيج وبودابست وبون ودمشق، وغيرها. (نقلا عن الموسوعة الحرة - ويكيبيديا - <http://ar.wikipedia.org>)
بتصرف.

2- كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار، دار المعارف، ط2(1968م)، ص:133.

ومن هنا أيضا كان تعظيم العرب لهذا العلم وأهله حتى ليسمون كتاب " سيبويه " الكتاب " أو يصفونه بأنه " قران النحو " .

و لكن قبل هذا التعظيم و قبل التسليم بهذه الأفكار السالفة و السؤال الذي يطرح: كيف نشأ هذا النحو ؟ ذلك أن السبب وحده قد يفيد في معرفة الخطوات الأولى للنشأة لكنه لا يكفي في فهم استواء المنهج و حركة التطور .

و«لاشك أن أهم ما وجه إلى النحو العربي من نقد أنه متأثر بالمنطق "الأرسطي". وهذه الأهمية ترجع إلى الأساس من أسس المنهج وذلك أن منطق أرسطو يهتم بالصورة أكثر من المادة ودرس اللغة ينبغي أن يركز لا على الصورة. تأثير المنطق على النحو يبعده عن درس الواقع اللغوي كما هو «(1)

وما دام المنطق يعني يضبط قواعد الفكر، فلا بد من دراسة وسائل التعبير عن هذا الفكر وما دام النحو هو العلم الذي تنصب دراساته على ضبط قواعد اللغة فثمة مواجهة بين المنطق و النحو(2) مرد هذه المواجهة إلى أمرين اثنين:

الأمر الأول: إن المنطق إنما ضيقت قضاياها و مسائله على نهج لغوي شبيه بكلام الناس و « إن نشأة الأصول المنطقية إلى الإقناع العقلي اقترنت بالأصول اللغوية المؤدية إلى حسن السبك اللفظي، فبدأ المنطق وثيق الصلة باللغة اليونانية...فجاء التقسيم المنطقي و تصديقات مناظر للتقسيم اللغوي إلى مفردات جمل...كما هناك شك استعانة في وضع المقولات الأرسطية بالتقسيمات اللغوية «(3)

أما الأمر الثاني: الذي يفسر هذه المواجهة هو: « أن النحو كما سبق أن ذكرنا قد تأثر بالمنطق " الأرسطي " ، خاصة مع حلول القرن الثالث هجري، أين عاشت العلوم الفلسفية عند مختلف الأوساط الفكرية و ذلك بعد نقل الموروث اليوناني إلى اللغة العربية فقد أثر منطق " أرسطو " في علوم اللسان...حتى يقال إن " ابن المقفع

1- عبده الراجحي: النحو العربي و الدرس الحديث، ص:21.

2- محمد فتحي الشنيطي: أسس المنطق والمنهج العلمي، دار النهضة العربية، بيروت، د ط، (1970م)، ص:32.

3- محمد فتحي الشنيطي: أسس المنطق والمنهج العلمي، ص:32.

" الذي كان في أول الأمر صديقا " للخليل بن أحمد " يبسر للعرب الاطلاع على ما كان في اللغة الفهلوية من أبحاث لغوية و منطقية «(1).

وقد فصل الحديث في صلة النحو العربي بالمنطق معظم من عرض للنحو في العصر الحديث.

والواقع أن « التاريخ لا يقدم شيئا ماديا مؤكدا عن اتصال النحاة الأوائل بالمنطق " الأرسطي " اتصالا مباشرا، فالروايات عن هذه الفترة مضطربة لكن اضطرابها لا ينفى وجود هذا المنطق في المناخ الذي كان سائدا وقتذاك، و نحن لا نعرف على وجه الدقة متى عرفت أعمال " أرسطو " طريقها إلى الفكر العربي في مراحلها الأولى، و الذي تذكره الأبحاث أن العرب اتصلوا بالمنطق الأرسطي من طريقين، الأول ما قدمه النحاة السريان، و الثاني ما تمت ترجمته من هذا المنطق إلى العربية»(2)

و لعل ما فعل تأثير في المنطق في النحو العربي هو ظهور فلاسفة أمثال " الكندي " و " السرخسي "، و بذلك حصلت مواجهة عجيبة و معقدة بين المنطق والنحو حتى قال: السجستاني (ت248هـ): « النحو منطق عربي والمنطق نحو عقلي».(3)

والواقع أن المسلمين قد عنوا بالبحث في الصلة بين المنطق الأرسطي والنحو العربي، و لعل أهم نص يجسد لنا هذا، هو تلك المناظرة التي جررت يبن متى بن يونس " و " أبي سعيد بن يونس " (ت 398 هـ) و هي تجسد لنا الصراع بين المناطقة و النحاة، حيث ادعى " متى بن يونس " لا منطق إلا منطق اليونان أنه: « لا حاجة بالمنطقي إلى النحو و بالنحوي حاجة إلى المنطق " لا المنطق يبحث

1 - منى الياس: القياس في النحو، دار الفكر - دمشق سوريا، ط1(1985م)، ص:119.

2 - عبده الراجحي: النحو العربي والدرس الحديث، ص:62.

3 - أبو حيان التوحيدي: المقابسات، تح: محمد توفيق حسني، مطبعة الإرشاد،(1970م)، ص:121.

عن المعنى و النحو يبحث عن اللفظ، فإن مر المنطقي باللفظ فبالعرض وإن مر النحوي بالمعنى فبالعرض، والمعنى اشرف من اللفظ و اللفظ أوضح من المعنى»⁽¹⁾

ثم رد عليه " السيرافي " بعدم الحاجة إلى المنطق اليوناني، لأن المعاني فطرية عقلية لا تحتاج إلى العلم بمنطق اليونان وهو يرى أن: « المنطق والنحو واللفظ والإفصاح و الإعراب...كلها من واد واحد بالمشاكله و المماثلة، و النحو منطق ولكنه مسلوخ عن العربية و المنطق نحو و لكنه مفهوم باللغة، و إنما الخلاف بين اللفظ و المعنى أن اللفظ طبيعي و المعنى عقلي »⁽²⁾

و الواضح من الكلام أن " السيرافي " لا يتنكر للمنطق في البحث اللغوي وقد سلك هذا المسلك فعلا في شرحه لكتاب سيبويه (ت 180 هـ) حين اتخذ بعض المعاني العقلية أساسا بني عليها بعض قواعد اللغة.⁽³⁾

ومن أكثر الأشياء التي تهمنا في هذا العنوان ليست المواجهة الحاصلة بين المنطق و النحو العربي إنما يهمننا إمكانية وجود مناحي منطقية في المباحث النحوية.

فإذا علمنا أن المنطق ميدان بحثه الفكر وأن النحو ميدان بحثه اللغة وتراكيبها فكيف لنا أن نجد هذه المناحي المنطقية والعقلية في دراستنا للغة، لاسيما إذا تعلق الأمر بالمناهج اللغوية التي تركز في أساسها على الدراسات السابقة سواء منها العربية أو الأعجمية.

وعلى هذا الأساس فقد ارتكز العرب في تدوين النحو وتقعيده على منهجين اثنين هما: المنهج الوصفي، والمنهج المعياري.

1- أبو حيان التوحيدي: الإمتاع و المؤانسة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الرعاية، الجزائر(1989م) ص:158.

2 - المصدر السابق، ص: 158.

3 - المصدر نفسه، ص: 158.

3- مناهج التقعيد النحويّة:

أ- المنهج الوصفي:

« النحو الوصفي فرع من فروع علم اللغة الحديث، الذي ظهر في أوائل القرن و الذي يتأصل و يتطور تطورا سريعا جدا في السنوات الأخيرة، و استعمال الوصفي مصطلحات في الدرس اللغوي إنما كان نتيجة للمنهج " التاريخي " الذي وجه أعمال اللغويين الأوروبيين حتى أواخر القرن الماضي»⁽¹⁾

و المقصود هنا بعلم اللغة الحديث علم اللغة الوصفي، ذلك لأنه لم يعرف إلا في أوائل هذا القرن إذ ظل العلماء يبحثون اللغات في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بالمنهج المقارن، الذي يقوم على أساس تصنيف اللغات إلى أسرات ومقارنة اللغات المختلفة المنتمية إلى أسرة لغوية واحدة⁽²⁾

أما « علم اللغة الوصفي فيتناول بالدراسة العلمية لغة واحدة في زمن بعينه مكان بعينه، أي أنه يبحث المستوى اللغوي الواحد من جوانبه الصوتية و الصرفية النحويّة و المعجمية»⁽³⁾

و يرجع الفضل في هذا العلم إلى العالم اللغوي (فردناند دي سوسير) الذي يعد مؤسس هذا العلم دون نزاع و صاحب فكرة (المنهج الوصفي) أو ما أطلق عليه هذا العالم نفسه « Synchronique » وهي كلمة فرنسية ترجع إلى (Syn) في اليونانية تعني معا « Chronos » وهي الزمن في اليونانية، و قد يطلق على هذا المنهج كلمة (Static) أي الساكن بذلك يكون هذا المنهج معنيا وصف اللغة كما هي في حالة الاستقرار أي فترة محدودة من الزمن.⁽⁴⁾

1 - عبده الراجحي، النحو العربي و الدرس الحديث، ص:23.

2 - أحمد سليمان ياقوت: الكتاب بين المعيارية و الوصفية - دار المعرفة الجامعية (1997م)، ص:13.

3 - محمود فهمي حجازي: علم اللغة العربية (علم اللغة العربية مدخل تاريخي مقارن في ضوء اللغات والتراث و اللغات السامية)، الكويت (1973م)، ص:38.

4 - أحمد سليمان ياقوت، الكتاب بين المعيارية و الوصفية، ص:14.

لقد بدأ (دي سوسير) منهجه بتحديد مصطلحات تتصل بالكلام الإنساني، و قد أراد من تمييز كل مصطلح أن يصل إلى تحديد اللغة باعتبارها شيئاً درسه علمياً.

« أما الأول وهو « La parole » فهو ما يمثله كلام الفرد (وهو لذلك ليس واقعة اجتماعية) لأنه يصدر عن وعي، و لأنه نتاج فردي كامل، على حين أن الوقائع الاجتماعية ينبغي أن تكون " عامة " تمارس فرضها على المجتمع و ليست كالحركة الفردية التي تتصف بالاختيار الحر»⁽¹⁾

« وأما المصطلح الثاني: « Le langage » فهو اللغة بمعناها العام، إنها مجموع الكلام الفردي « La parole » و القواعد العامة للغة الإنسانية، و هي أيضا ليست (واقعة اجتماعية) لأنها تتضمن العوامل الفردية المنسوبة إلى المتكلمين الأفراد.»⁽²⁾

« وأما المصطلح الثالث « La langue » فهو الذي يراه صالحاً للدراسة العلمية إنه اللغة المعينة و لقد حدده في هذه الصيغة:

(La langue = « Le langage minus La parole »)

وهذا المصطلح يعبر عن العادات التي نتعلمها من المجتمع الكلامي، و التي على أساسها نتصل بالآخرين في المجتمع، ويكون بيننا الفهم المتبادل.»⁽³⁾

والتمييز بين هذه المصطلحات يفضي إلى نتيجة هامة عند (دي سوسير) المصطلح الأول « La parole » ليس واقعة اجتماعية لأنه فردي، و الفرد يقوم على عنصر الاختيار، و عنصر الاختيار لا يمكن التنبؤ به، وما لا يمكن التنبؤ به لا يمكن دراسته دراسة علمية. و المصطلح الثاني « Le langage » لا يمثل كذلك واقعة اجتماعية (نقية) لأنه يضم إلى الجوانب الاجتماعية جوانب فردية، إذن: فإن « La langue » هي وحدها الواقعة الاجتماعية لأنها " عامة " داخل المجتمع و هي

1 - عبده الراجحي، النحو العربي و الدرس الحديث، ص:27.

2 - المرجع السابق، ص 27.

3 - المرجع نفسه، ص:28.

تمارس فرضاً على المتكلمين عن الأفراد. و هي لا توجد كاملة عند كل فرد، شأن " دوركايم" في نظرية الجمعي فهي عنده نظام من القيم التقنية»⁽¹⁾

و لقد كان المنهج الوصفي تحولاً في دراسة اللغة لاسيما منها مجال النحو وأصوله وقد ظل يسعى إلى تغيير النحو القديم كان مستقراً و لا يزال منذ قرون بعيدة، حتى علماء اللغة المحدثين يضطرون في الأغلب الأعم إلى بدأ أبحاثهم بإزالة الأوهام الراسخة قبل أن يتناولوا أسس المنهج الجديد.

ملاحح المنهج الوصفي:

يتضح مما سبق أننا نستطيع أن نحدد ملاحح المنهج الوصفي فيما يأتي:⁽²⁾

- أنه يتناول بالدراسة الوصفية لغة واحدة أو لهجة واحدة دون أن يشترك معها لهجة أخرى ليفاضل أو يقارن بينهما.

- أنه يحدد مستوى واحداً من اللغة التي يقوم الباحث بدراستها لاختلاف خصائص كل مستوى فليس للباحث الوصفي - على سبيل المثال - أن يجمع في الدرس اللغوي بين المستوى الشعري و المستوى النثري في اللغة العربية لاختلاف المستويين على ما سنرى بعد.

- وظيفة الباحث بهذا المنهج " لا يعدو تسجيل الواقع اللغوي كما هو بدون التورط في مسائل الصواب و الخطأ " ⁽³⁾ فلا حاجة له إذا للتأويل أو التعديل بافتراض الحذف أو التقديم و التأخير أو بتقدير العوض لتبرير هذا الخطأ أو لتأييد هذا الصواب. « و ليس له أن يقتصر في بحثه على جوانب من اللغة مستحسننا إياها و ينحى جوانب أخرى من الأسباب » ⁽⁴⁾

1 - عبده الراجحي، النحو العربي و الدرس الحديث، ص:28.

2 - أحمد سليمان ياقوت: الكتاب بين المعيارية و الوصفية، ص:14.

3 - كمال بشر: دراسات في علم اللغة، دار المعارف القاهرة (1969م)، ص:56.

4 - محمود السمران: علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي دار المعارف، (1962م)، ص:54.

- يحدد هذا المنهج فترة زمنية معينة محددة، ويصف باحث اللغة من خلالها وليس هناك مقياس أو ضابط لتحديد هذه الفترة الزمنية إلا أن تكون اللغة خلالها مستقرة ساكنة و لم يطرأ عليها تغير مما يدخل بحثها في هذه الحالة في نطاق المنهج التاريخي.

- يحدد المنهج الوصفي مكانا وحدا أيضا لوصف اللغة فيه. أو ما يطلق عليه بيئة لغوية واحدة و ذلك لأن في كل بيئة لغوية ظروفًا تدفع إلى تطور الكلام و تغيره من الظواهر، و ظروف أخرى تعمل على استقرار هذه الظواهر و تحصيلها فلا يطرأ عليها تغيران تحور غير أن الغلبة دائما تكون لعوامل التطور⁽¹⁾

- معنى قول دي سوسير « دراسة اللغة في ذاتها و من اجل ذاتها »، أن هذا المنهج يوحد بين الوسيلة و الغاية، فالاثنتان يمثلان في درس اللغة درسا وصفيا كما هو.

ب- المنهج المعياري:

إن هذا المصطلح " المعيارية " لا ينسب إلى أي باحث من الباحثين اللغويين المحدثين في مناهج النحو⁽²⁾ و من ثم فلن تجد لها ملامح أو أوصاف مكتوبة في مؤلف من مؤلفات أحد اللغويين، ثم بحيث يكون هو صاحب هذا " المنهج " و أنه قد وضعه و حدد معالمه أولا ثم سارت الأبحاث اللغوية عليه و به، من بعد، لذلك فإن الدكتور " بشر " يقول: « المعيارية فكرة تقليدية مشهورة تمثلها العبارة الآتية: اللغة هي ما يجب أن يتكلمه الناس، و ليست ما يتكلمه الناس بالفعل " فانظر إلى قوله (فكرة تقليدية مشهورة) تجد أنه لم ينسبها إلى احد و لم يصفها بأنه منهج أو يجد

1- ينظر: إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، المكتبة الأنجلو المصرية، ط3، سنة (1956م)، ص: 86 - 87.
2- ينظر: عبده الراجحي: النحو العربي و درس الحديث، تجد فيه (المنهج المعياري) أو (النحو المعياري) فقد استبدل بهما (النحو التقليدي) و هو ما أطلقه الغربيون على النحو القديم (GRAMMER TRADITIONAL) و يعنون به منهج النحو القائم على أفكار أرسطو ص: 45 ثم يقول: " إن النحو تقليدي يتميز به الإنحاء التقليدية بكثير من اللغات "

نشأتها بزمن معين أو يذكر بدء اشتهارها أو يجدد ملامحها إلا بأنها اللغة كما يجب أن تكون»⁽¹⁾.

من أجل ذلك فإنك لا تجد ذكر لهذا المصطلح عند بعض الباحثين المحدثين في مناهج النحو، و من أجل ذلك أيضا فإن الدكتور " محمد حجازي " يطلق على المعيارية في النحو اسم النحو التعليمي أو المعياري دون استعمال كلمة منهج، بل إنه لا يكاد يبعده عن مجال علم اللغة لاختلاف المقصدين الاثنين، يقول: « أما النحو بالمعنى التعليمي المعياري، أي يهدف وضع ضوابط للاستخدام اللغوي الصحيح لأبنية المفردات و لأبنية الجمل فهو مختلف - فيما يبدو - عن علم اللغة فعلم اللغة يبحث في اللغة أو اللغات بهدف كشف جوانبها المختلفة، لا بهدف الحكم بالخطأ والصواب على الاستخدام اللغوي، و لم يكن ثمة لقاء بين علم اللغة باعتباره علما أساسيا، و النحو باعتباره علما منطقيا و اليوم يقوم علم اللغة التطبيقية (Applied L'inguistics).

وهو أحد مناهج علم اللغة بالدراسة العلمية لكيفية تعليم اللغات الأجنبية والقومية مستخدما في هذا نتائج علم اللغة و عددا آخر من العلوم و بهذا تم لقاء جديد بين علم اللغة و تعليم اللغات.⁽²⁾

والمعيارية « ليست مقصورة على نحونا العربي فحسب، بل إن النحو بالذات قد ضلل النحويين على مر الزمن منذ بدء الإغريق النظر فيه حتى وقتنا الحاضر وذلك بسبب واضح هو خلط الحقائق اللغوية بالقضايا المنطقية و الفلسفية و من ثم كان هذا الاضطراب التقليدي في أكثر أنحاء العالم و يحاول اللغويون المحدثون تقديم علاج لأدواء النحو وما وجدوا سبيلا إلا ذلك أفضل من إتباع طريقة الوصفية»⁽³⁾.

1- سليمان ياقوت: الكتاب بين المعيارية و لوصفية ص: 160.

2- محمود فهمي حجازي: علم اللغة العربية مدخل تاريخي مقارنة في ضوء اللغات و التراث و اللغات السامية.

3- عبده الراجحي: دراسات في علم اللغة، دار المعارف، (1969م)، ص: 31.

فهذا هو إذا النحو المعياري أو الاتجاه في النحو، ويقصد به: « وضع ضوابط الصحة و تحديد المعايير من أجل الحفاظ على مستويات متصورة للاستعمال اللغوي، وهذا الاسم لغويا مناسباً تماماً لهذا المدلول، إذ إن المعيار من المكاييل ما يميز، أي قدر وكذلك عيرت تعبيراً إذا وزنت واحداً واحداً، يقال هذا في الكيل والوزن»⁽¹⁾ أياً كان محتواهما كذلك هذه المعايير الموضوعية في النحو القديم لا ينظر إلى صلتها بالاستعمال أو عدم صلتها به.

و في العربية كتب تدخل مادة (عير) في عنوانها، و تحتمل المعنى نفسه - مثل كتاب (عيار الشعر لابن طباطبا) فالمعيار عنده: « الضوابط التي بها يكون الشعر مقبولاً»⁽²⁾، وكذلك يستعمله عبد القاهر الجرجاني بمعنى المقياس والضابط حين ذكر أن الإعراب هو: « المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام و رجحانه حتى يعرض عليه و القياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه»⁽³⁾

غير أن اتجاه النحويين القدامى العرب في البحث له صفات أخرى، بالإضافة إلى صفة معيارية، و من العجيب أننا نلاحظ أن كل صفة من هذه الصفات الأخرى قوية النسب بالمعيارية، مرتبطة ارتباطاً وثيقاً من حيث هي التزام بقواعد الصحة المتصورة أصلاً قبل استقراء اللغة من حيث هي بعد عن الوصفية. وقد نستطيع أن نتبين هذه الصفات بإحدى الوسيلتين أو بكليهما معاً⁽⁴⁾.

فأما الوسيلة الأولى فهي قراءة كتب النحو القديمة قراءة متأنية ثم استقراء الظواهر العامة المشتركة في هذه الكتب، فكأن هذه الظواهر ملامح المنهج الذي اتبعوه أياً كان اسمه، و نكون بذلك قد اتبعنا المنهج الوصفي لرصد الملامح العامة لطريقة البحث عند أصحاب هذه الكتب.

1- ينظر مادة (عير) في لسان العرب لابن منظور، تح محمد علي النجار، دار صادر، بيروت، ط1، 306/6.

2- محمد أحمد بن طباطبا العلوي: عيار الشعر، تح: عباس عبد الساتر - نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط2(1426هـ - 2005م)، ص: 18.

3- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح رشيد رضا، دار المعارف بيروت، لبنان، (1982م)، ص: 23.

4- ينظر: أحمد سليمان ياقوت، الكتاب بين المعيارية و الوصفية، ص: 20.

و أما الوسيلة الثانية، فاتخاذنا ملامح المنهج الوصفي سنفصل فيه لاحقا مقياسا لطرق البحث عند النحاة القدامى، فما وافقوا فيه هذه الملامح فهم وصفيون، وإلا فهم غير وصفيين.

ملامح المنهج المعياري:

و على هذا الأساس من هاتين الوسيلتين نستطيع أن نحدد ملامح طريقة البحث عند النحاة القدامى أو صفاتها و يجدر أن نبين قبل الخوض في هذه الملامح أن نبين أننا اخترنا المنهج المعياري قبل المنهج الوصفي لقدمه على هذا الأخير.

ليست دراسة اللغة هي غاية في ذاتها بل غاية في بين أوجه الصواب والخطأ تبعا لمعايير الموضوعية و التحاليل للخطأ (الخطأ هنا البعد عن المعايير حتى لو كان مستعملا) بافتراضات كثيرة كالحذف و العوض و التقدير، « والتأويل والتقديم والتأخير ثم الخروج بنتيجة مؤداها تعديل شكل ظاهرة لغوية، حتى تتفق مع معايير موضوعية مسبقا في ذهن الباحث، و تجد ذلك محققا في مؤلفات النحو العربي بوجه عام، كما أنك تجد كتابا ليس له غاية إلا الحكم بالخطأ أو بالصواب والتعديل لهما أعني كتاب (الإنصاف في مسائل الخلاف) لابن الأنباري، بل أن الإنصاف هنا ليبعد عن الوصفية إذ يعني أن هناك اتهامات ثم دفاعا ثم احتكاما إلى القاضي ثم إصدار حكم فيه إنصاف لواحد من المختلفين، وفي كل هذه المراحل تجد تعليلا و تأويلا وحذفا و تقديرا و هذا - لعمرى لهو البعد عن اللغة و مجال استخدامها»⁽¹⁾.

و قد تكون الغاية تقريب الدرس النحوي من الدرس الفقهي، و ذلك محقق في كتاب (الإنصاف) أيضا حيث مؤلفه في المقدمة يقول: «...و بعد فإن جماعة من الفقهاء المتأدبين و الأدباء المشتغلين بعلم العربية بالمدرسة النظامية - عمر الله مبانيها - سألوني أن ألخص لهم كتابا بالطيف يشمل على مشاهير المسائل الخلافية

1- أحمد سليمان ياقوت، الكتاب بين المعيارية و الوصفية، ص: 21.

على نحو البصرة و الكوفة على ترتيب المسائل الخلافية بين الشافعي و أبي حنيفة...»⁽¹⁾.

والحقيقة إن ما يؤخذ على الدرس اللغوي عند " سيبويه " بالنسبة لتحديد الزمان ما جاء بالأمر الأول ليس غيره أما الأمر الثاني فإن نهاية زمن الاستشهاد مرتبطة بانتهاء السنة الخمسين بعد المائة من الهجرة، و وفاة " سيبويه " قريبة من ذلك التاريخ - فقد توفي - رحمه الله - في السنة ثمانين و مائة على الأرجح (180 هـ) تلك الفترة التي تمثل الفرق بين انتهاء عصر الاستشهاد و بين وفاة " سيبويه " بشعر " بشار " المتوفى (168 هـ) لقصرت هذه المدة إلى اثني عشرة سنة.

- إهمال وحدة المكان:

وما قيل في إهمال عامل الزمن يقال في إهمال وحدة المكان، فلقد حدد النحاة قبائل معينة يؤخذ عنها " الذين عنهم نقلت اللغة العربية و بهم اقتدى و عنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب: قيس و تميم و أسد فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما اخذ معظمه، و عليهم اتكل في الغريب و في الإعراب و التصريف ثم هذيل و بعض كنانة و بعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر القبائل، و بالجملة فإنه لم يؤخذ من حضري قط و لا عن سكان البراري من يسكن أطراف بلادهم التي تجاوز سائر الأمم الذين حولهم"⁽²⁾، وقد ترتب عن ذلك أمران:

الأول: جعل مجال الدرس اللغوي جامعا لأكثر من لهجة، و واصلها - بالتالي - قواعد موحدة مع اختلاف هذه اللهجات في جوانب نحوية و صرفية و صوتية.

الثاني: إهمال اللهجات الأخرى التي لم يؤخذ عنها العرب مع أنها تمثل جانبا مهما من جوانب اللغة.

1- أبو البركات بن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر للطباعة والنشر، (1995م)، ص: 03.

2- عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي: الاقتراح في أصول النحو، تح: محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، (1426هـ-2006م)، ص: 56-57.

و نجد المعيارية واضحة في هذين الأمرين إذ أن هذه اللهجات - و ليس غيرها - هي التي تتخذ معيارا لغيرها و ميزانا يعرف به الصحيح من غير الصحيح فيما عداها من اللهجات.

إهمال وحدة الزمن: (1)

إن عصور الاستشهاد عند النحاة و اللغويين تقدر بثلاثة قرون، بدايتها قبل الإسلام بمائة و خمسين عاما، و انتهاءها في منتصف القرن الثالث الهجري، و معنى ذلك أن لغة ذلك الزمان لم تتخذ معيارا لغيرها و ميزانا يعرف به الصحيح من غير الصحيح فيما تلا من العصور أي أن المعايير التي بها نحتدي و عليها نقيس كلام العرب جميعا محددة بهذه الفترة.

و لقد ترتب ذلك على ذلك أمران (2) لهما وجه واحد و هو البعد عن الوصفية فأما الأمر الأول فيتمثل في طول هذه الفترة الزمنية، و « لا يمكن أن تظل اللغة خلالها ثابتة على حالها، و إنما المعقول أن تكون اللغة قد تطورت خلالها من ناحية البنية و النطق » (3) و الوصفية تدرس اللغة في حالة الاستقرار « Synchronic ».

وأما الأمر الثاني فإن تحديد الاستشهاد أو بمعنى آخر تحديد اللغة التي يؤخذ بها و تعد محلا للدرس بهذه المدة ليس غير، و يعد اعتداء على اللغة نفسها، لأن في هذا التحديد إهمالا لباقي العصور و ما حدث فيها من تطور للغوي و هذا معناه على ما نستنتجه إغلاق باب البحث العلمي في اللغة بعد هذه الفترة التي حددوها نهاية لدراستها قد حدث هذا بالفعل إذ لم يقدم أحدهم على دراسة اللغة من أي زاوية أوجانب بعد هذا التاريخ و لم يكتفوا بهذا بل حكموا على كل الظواهر اللغوية إلا وجدت بعد هذا التاريخ على أنها أمثلة متروكة للخطأ و الانحراف.

1- كمال يشر، دراسات في علم اللغة، ص: 57.

2- يقف الأمر الثاني ليس غير هذين الأمرين مع الأمر الثاني من الأمرين الذين أتى بهما الدكتور كمال بشر، المرجع السابق، ص: 58.

3- تمام حسان، اللغة بين المعيارية و الوصفية، ص: 25.

والوصفية تهتم باللغة أيا كان زمانها و أيا كان مكانها دون تفصيل لهجة على أخرى أو لغة على أخرى بسبب المكان أو الزمان، فهي أيضا لا تخلط بين لهجة أو أخرى مختلفتين في الزمان و المكان.

الخلط بين مستويات الأداء اللغوي:

إن القواعد المعيارية التي وضعها النحاة طبقت على كل مستويات الأداء اللغوي، فلم يحاولوا مطلقا: « الفصل بين الشعر و النثر في تقديمهم القواعد، بل خلطوا بينهما، فأدى مثل هذا الخلط إلى اضطراب في بعض أحكامهم»⁽¹⁾ ذلك لأن هناك فرق كبير بين لغة الشعر و لغة النثر مما يؤدي إلى أن القواعد المستنبطة من استقراء الشعر لا تصلح للتطبيق على النثر، والعكس صحيح أيضا على أن هناك خلط من نوع آخر - وربما كان له ما يبرره عند النحاة القدامى - « ذلك هو خلطهم بين مستويات التحليل اللغوي حيث جمعوا بين الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية»⁽²⁾، وهذا متحقق على وجه الخصوص في كتاب "سيبويه".

1- إبراهيم أنيس: من أسرار العربية - مكتبة الأنجلو المصرية ط7 (1977 م)، ص:325.

2- عبده الراجحي، النحو العربي و الدرس الحديث، ص:52.

الفصل الأول

دراسة حول المصطلح وعلاقته الدلالية بالنحو

- توطئة:

1 - المفاهيم المختلفة للمصطلح في اللغة.

أ - مفاهيم لفظ الاصطلاح في المعاجم العربية القديمة.

ب - في المفهوم الاصطلاحي لمعنى الاصطلاح.

ج - بين معنى الاصطلاح و المصطلح.

2 - علم المصطلح.

أ - مفهوم علم المصطلح.

ب - مجال علم المصطلح ونطاقه.

3 - علاقة المصطلح بالمفهوم الدال عليه.

4 - أركان المصطلح.

5 - نبذة مختصرة عن تاريخ المصطلح

6 - وسائل وآليات بناء المصطلح في العربية:

أ - بناء المصطلحات في التراث العربي.

ب - بناء المصطلحات في العصر الحديث.

ج - شروط بناء المصطلح.

د - أهمية وفوائد دراسة المصطلح.

7 - المصطلح النحوي:

أ - معنى النحو لغة.

ب - المعنى الاصطلاحي للنحو العربي.

ج - علاقة المصطلح النحوي بالمعنى.

توطئة:

للمصطلح دورٌ فاعلٌ في مسألة تكوين المعرفة بما هي ذخيرة دلالية ثقافية لها علاقة بالمجتمع، إلا أنّ هذه الصورة لها وجهها (التبادلي، الجدلي)، حيث أنّ المصطلح لا يخرج عن مقولة أنّ المعرفة هي بيئة تتكاثف فيها الدلالات وتتوالد وتتناص تحت ضاغطة الحاجة الإجرائية، وهذا يساهم في صياغة شكل المصطلح ومفهومه، لذلك يكون المصطلح منتجٌ ومنتجٌ ثقافي لا يغادر ضوابطها أو معاييرها على اعتبار أنّه وجه من وجوه التواضع التوافقي بين من لهم أهلية التوليد والصياغة المنتسبين إلى فضاء دلالي له خصوصيته، دافعهم حاجة مشتركة إلى توحيد الخطاب أو تخصيصه ضمن سياق معيّن تمييزاً له عن الدلالة العفوية أو المتداول الجمعي - العامي.

مثل هذا الاشتغال في حقل صناعة دلالة المصطلح قد يمتدّ وقد يتنكبّ سبيله نظراً إلى الصعوبات التي تعتريه وذلك حال حدوث حالة من التراجع الحضاري، ومن أماراته الإجرائية الضمور الدلالي أو التضخم الدلالي عبر فعل الترسّب والتراكم، ولا نعدم كذلك الانحراف الدلالي عن سياق نشأته، تعليل ذلك التناص والتناقض، بما أنّ المصطلح مجال حيويّ، يتأثر بجملّة العوامل المحيطة به وبمستعمله وبالمشتغل به، فهو حمولة ثقافية يطاله ما يطال الذات البشرية من تبدلٍ وتغيّر.

« واللغة العربية - كغيرها من اللغات - لديها القدرة على استيعاب المفاهيم المستحدثة أياً كانت، والتعبير عنها، بل هي بالتأكيد أقدر وأطوع؛ لأسباب لغوية وحضارية، وأدلة تاريخية واجتماعية، فحين توافرت لشعبها أسباب النهوض في العهود القديمة.. وسعت العلوم والمعارف التي ذاعت إذ ذاك، ولم تقصر عن التعبير عن شيء منها»⁽¹⁾.

1- علي توفيق الحمد: في المصطلح العربي (قراءة في شروطه وتوحيده)، مقال في مجلة الخليل للبحوث

العدد 01 - 2005 م.

وقد ورثنا لغة يحق لنا أن نباهي بها، بتكونها ومرونتها ودقتها وخصوصا ببيانها الذي بهر وحير وأعجز وأوجز. وهي اللغة الوحيدة المعمّرة التي تتجاوز مدة استعمالها وتداولها ما يربو على ألف وخمسمائة عام، إذ تبلورت بعد ظهور الإسلام وتدوين مخزونها. وقد تكاثر رصيدها الفعليّ وألفت فيها الروائع من نثر وشعر، وارتفع بها القرآن الكريم إلى أعلى عليين فجودّها وصانها وأشاعها ورسّخها. كما أنها أثبتت ما أثبتته من قدرة المسايرة وإمكانية الاستيعاب ويُسّر الاستحداث وتقبّل الاصطلاح، على مر الزمن. إلا أن هجمة الاستعمار وتأثيره السلبي إلى حد الساعة وضغط العولمة وهيمنتها إلى حد الاكتساح أدت إلى التأخير والتشكيك والإدبار والمناوأة وإلى النظرة الدونية عند البعض. ورغم كيد الحاقدين وتكالب المتآمرين عليها، فإن العربية برهنت على عظمتها، لاسيما باتساعها للمصطلح وتكيفها له لنقل العلوم والمعارف، مع بعض الإشكالات التي تشوبها وإن كانت لا تنفرد بها.

إن هذا التحرك الدلالي بين اللغة والمصطلح لا يحتاج إلى إنتاج آلية مصطلحيّة دوريّة أو قابلة للتعديل كلما استدعت الحاجة - نظرا إلى مرونتها المفهوميّة - لضبط المسائل ضمن حقول دلاليّة بعينها وإضفاء سمة الخصوصية فيما بينها، وذلك عبر فعل المواضعة حول أشكال الاصطلاحات ومفاهيمها⁽¹⁾ من خلال الخضوع لمعيار البنية الثقافيّة من جهة، ومعيار الشرط المعرفي من جهة أخرى، والخضوع كذلك لمعيار التداول الداخلي بين الثقافات المختلفة، وهذا المعيار له دلالاته في مجال جغرافيّة المصطلح على اعتبار أنّ المركزيّة الثقافيّة لها أثرها في مسألة الشبوع والاستعمال وشرعيّة التداول، نظرا إلى أنّها تعبير عن تاريخ نشوء المصطلح والانزياح نحو التلاشي أو الارتفاع إلى أفق جديد عبر الحلول في وجه آخر أو صيغة أخرى غير تلك التي توافق عليها.

1- ينظر: إبراهيم عبد الله، الثقافة العربيّة والمرجعيات المستعارة، المركز الثقافي العربي، بيروت-لبنان، ط1، (1999م)، ص 96.

وحاجة المجتمع للمصطلح هي حاجة ملحة ورهينة بثقافته وامتداده الحضاري لذا يجدر بنا القول أن جغرافية المصطلح تقودنا إلى الاستعارة المعنوية والاصطلاحية وبالتالي تأخذنا قصراً إلى عملية التوليد المصطلحي.

فالعالم في تطور هائل في كل مناحي الحياة، ويرافق هذا التطور ظهور الكثير من المفاهيم والمبتكرات والمستحدثات التي تملأ حياة الإنسان، والتي تحتاج إلى أسماء وعلامات تعرف بها، إذا أراد الفرد أن يتحدث عنها، ومعروف أن الجهة المخولة لاستيعاب كل الأمور المستحدثة والحاجات المتجددة والمفاهيم الجديدة هي اللغة، لأنها « تتحرك طوعاً كلما تلقت منبهاً خارجياً، فما إن يستقرها الحافز حتى تستجيب بواسطة الانتظام الداخلي الذي يمكنها من استيعاب الحاجة المتجددة والمقتضيات المتولدة»⁽¹⁾.

ويفترض هذا العودة إلى المصطلح ذاته من حيث هو حامل لدلالة والكشف عن أقوال العلماء فيه وما يرتبط بذلك من وضعيات توصيف إجرائيته في حقول شتى، وعملية الفصل بين المصطلح من حيث هو دال وبين مدلوله، ليس إلا فصلاً منهجياً لا غير، لأن من سرى في خلد أنه يتسنى له اقتفاء أثر الممارسات الثقافية بما هي نواتج متولدة عن احتدام للتصورات وتفاعل بينها، دون تمثل لضوابطها الفعالة، فإنما شأنه في ذلك شأن من ظن أن الكل يتشكل أو يتألف بالقفز عن الأجزاء وأن للأجزاء كياناً منقطعاً عن كيان المجموع⁽²⁾

1- المفاهيم المختلفة للمصطلح في اللغة:

المصطلح اللغوي وغير اللغوي ظاهرة فكرية برزت على نحو تدريجي خلال الحقب التاريخية التي مرت بها العلوم المختلفة وفروعها حتى غدت الاهتمامات بالمصطلحات العلمية بمختلف مناحيها فرعاً علمياً بارزاً بين فروع العلوم الأخرى

1 - عبد السلام المسدي: المصطلح النقدي، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر و التوزيع - تونس، د ط،

1994م، نقلا عن مجلة علامات في النقد الأدبي، ج8، مجلد 2.

2 - عبد السلام المسدي: المصطلح النقدي، ص: 11.

سُمي بـ (علم المصطلح) وإن لم يستقل بمبناه عن محتوى العلوم الأخرى⁽¹⁾.
ولكلمة المصطلح دالتان⁽²⁾:

الأولى: الدلالة اللغوية.

الثانية: الدلالة العلمية - الاصطلاحية - ونعني بها اتفاق المختصين على دلالة خاصة.

أ- مفاهيم لفظ الاصطلاح في المعاجم العربية القديمة (الدلالة اللغوية):

بعد الاطلاع على بعض المعاجم العربية القديمة وجدنا أنّ عبارة الاصطلاح تحمل دلالة الصلح وقد خلصنا من خلالها إلى مفاهيم موحدة تصل بنا إلى ما يلي:

- يقول ابن منظور في قاموسه (لسان العرب): « تصالح القوم بينهم والصلح: السلم، وقد اصطلحوا وصالحو وأصلحو وتصالحو واصّالحو، مشددة الصاد، قلبوا التاء صاداً وأدغموها في الصاد بمعنى واحد...»⁽³⁾

- ويرى الزبيدي في (تاج العروس) المفهوم التالي: « واصطلحا واصّالحا مشددة الصاد، قلبوا التاء صاداً وأدغموها في الصاد، وتصالحا و اصطلحا بالتاء بدل الطاء، كل ذلك بمعنى واحد.»⁽⁴⁾

- أمّا الزمخشري في (أساس البلاغة): «...وسعى في إصلاح ذات البين. وأمر الله تعالى ونهى لاستصلاح العباد. وصلاح فلان بعد الفساد وصلاح العدو ووقع بينهما

1- ينظر: علي القاسمي: مقدمة في علم المصطلح، مكتبة النهضة المصرية، ط2، القاهرة (1988) ص:6.

2- المصطلح النحويّ (نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري)، عمادة شؤون المكتبات-جامعة الرياض، ط1 (1401هـ/1981م)، ص: 22.

3- ابن منظور: لسان العرب، دار الجيل ودار لسان العرب، بيروت- لبنان، دط، 1988، ج3، ص:462.

4- محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تح مصطفى حجازي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مادة " صلح ".

الصلح. وصالحه على كذا وتصالحا عليه واصطلاحا. وهم لنا صلحُ أي مصالحو...» (1)

وبناءً على ما تقدّم، نجد أنّ المعنى المتواضع عليه في المعاجم القديمة هو الاتفاق والتوافق واصطلاح القوم: تصالحواء، بمعنى وقع بينهم صلح، فالتاء بمعنى التشارك والاشتراك، ومعنى التفاعل مخرج من المطاوعة.. والجدير بالذكر أنّ ما ورد عند القدماء هو « لفظ الاصطلاح ولم يرد عنهم لفظ المصطلح بناء على هذه الخصوصيات ندرك أنّ لفظ الاصطلاح يضم المفهوم باعتباره مادة موضوعية مستقلة.» (2).

ب- في المفهوم الاصطلاحي لمعنى الاصطلاح (الدلالة العلمية):

فيكون بذلك معنى الاصطلاح في اللغة هو تواضع واتفاق على معروف ومعنى الاتفاق مأخوذ من دلالة السلم، فيكون بذلك معنى الاصطلاح في اللغة هو اتفاق على معروف وتواضع عليه، وأمّا معنى المعروف فمأخوذ من نقيض الفساد. كما عرفه بعض المتخصصين في علم المصطلح تعريفاً يتميز بالدقة بأنه «الرمز اللغوي المحدّد لمفهوم واحد»، مؤكّدين أنه يقوم على دعامتين؛ هما: الرمز اللغوي والمفهوم.

وقد عرف السيد الشريف الجرجاني الاصطلاحَ بعدد من التعريفات تشترك جميعها في فحواها. ويدل تعدد هذه التعريفات عنده على اهتمامه الكبير بهذه الظاهرة، من ذلك قوله: « الاصطلاح: عبارة عن اتفاق قام على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضوعه الأول» (3).

1- أبو القاسم بن أحمد الزمخشري: أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط01(1419هـ-1998م)، ج1، ص:554.

2- عبد الكبير الحسني: إشكالية المصطلح اللساني الحديث، منشور على شبكة النبا المعلوماتية:

(www. annabaa. Org) بتاريخ: 2011/05/04م على الساعة: 00:00.

3- الجرجاني علي بن محمد السيد الشريف: معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، دط، ص: 27.

كما يعرف الاصطلاح بتعريفات أخرى بقوله: « الاصطلاح: إخراج اللفظ من معنى لغوي الى آخر لمناسبة بينهما. وقيل: اصطلاح: اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى، وقيل: الاصطلاح: إخراج الشيء عن معنى لغوي الى معنى آخر لبيان المراد، وقيل: الاصطلاح: لفظ معين بين قوم معينين»⁽¹⁾.

وفي العصر الحديث يقدم محمود حجازي التعريف الآتي بوصفه أفضل تعريف أوروبي اتفق عليه المتخصصون في علم المصطلح، وهذا التعريف هو: « الكلمة الاصطلاحية أو العبارة الاصطلاحية: مفهوم مفرد أو عبارة مركبة استقر معناها، أو بالأحرى استخدامها وحُدِّد في وضوح. هو تعبير خاص ضيق في دلالاته المتخصصة، واضح إلى أقصى درجة ممكنة، وله ما يقابله في اللغات الأخرى، يرد دائماً في سياق النظام الخاص بمصطلحات فرع محدد، فيتحدد بذلك وضوحه الضروري»⁽²⁾، ومن يعنى النظر في هذا التعريف الأخير يجده يركز على جانبين مهمين من جوانب المصطلح:

أولهما: وضوح المصطلح؛ إذ يُطلَبُ وضوحه إلى أقصى درجة ممكنة مما لا يدع الشك في مواضعه وهنا يجدر الإشارة إلى مدي التدقيق العلمي في اختيار مناسبة المصطلح أي الضبط الاصطلاحي: والمقصود به تشكيل المصطلحات بصورة سليمة، كما وضعها عليه أصحابها من دون تغيير أو تبديل.

والثاني: ورود المصطلح في سياق النظام الخاص بفرع محدد، لكن اشتراط أن يكون له ما يقابله في اللغات الأخرى أمر ربما يضعف هذا التعريف.

من هنا نجد أن من المناسب اختيار هذا التعريف بعد الاستغناء عن شروط المقابلة أو أن نأخذ بالتعريف الآخر الذي يورده محمود فهمي حجازي بقوله: « المصطلح اسم قابل للتعريف في نظام متجانس؛ يكون تسمية حصرية - تسمية

1- الجرجاني: معجم التعريفات، ص: 27.

2- محمود فهمي حجازي: علم المصطلح، مجلة مجمع القاهرة (م59)، 1986، ص: 54.

لشيء ويكون منظماً في نسق ويطابق دون غموض فكرة أو مفهوماً. (1). ولا يخرج الباحثون المحدثون والمعنيون بالمصطلحات عن هذا المعنى.

ج- بين معنى الاصطلاح و المصطلح:

إنّ كل من لفظي « مصطلح » و « اصطلاح » مترادفتان في اللغة العربيّة. وهما مشتقتان من « اصطلاح » (وجذره صلح) بمعنى « اتفق » - كما ذكرنا ذلك سابقاً-، لأنّ المصطلح أو الاصطلاح يدلّ على اتفاق أصحاب تخصص ما على استخدامه للتعبير عن مفهوم علميّ محدّد.

إلا أن بعض الباحثين يحسبون أنّ لفظ "مصطلح" خطأ شائع وأنّ اللفظ الصحيح هو " اصطلاح"، ويسوق لذلك ثلاثة أسباب هي:

- (1) إنّ المؤلّفين العرب القدماء استعملوا لفظ " اصطلاح " فقط.
- (2) إنّ لفظ "مصطلح" غير فصيح لمخالفته قواعد اللغة العربيّة.
- (3) إنّ المعاجم العربيّة التراثيّة لم تسجّل لفظ " مصطلح " وإنّما نجد فيها لفظ " اصطلاح" فقط (2).

لكن من يدقق النظر في المؤلّفات العربيّة التراثيّة، يجد أنّها تشتمل على لفظي " مصطلح " و " اصطلاح " بوصفهما مترادفين، فعلماء الحديث كانوا أوّل من استخدم لفظ " معجم " ولفظ " مصطلح " في مؤلّفاتهم. ومن هذه المؤلّفات منظومة أحمد بن فرج الإشبيلي (من أهل القرن السابع الهجري) في مصطلح الحديث، كما ظهر لفظ " مصطلح " في عناوين بعض مؤلّفات علماء الحديث مثل " الألفيّة في مصطلح الحديث" للزين العراقي (زين الدين عبد الرحيم بن الحسين المتوفى سنة 806 هـ) وكتاب " نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر" للحافظ بن حجر العسقلانيّ (المتوفى سنة 852 هـ - 1449م). واستخدم لفظ "المصطلح" كتاباً آخرون غير علماء الحديث

1- محمود فهمي حجازي: علم المصطلح، ص:55.

2- علي القاسمي: المصطلحيّة: علم المصطلح وصناعة المصطلح، مقال منشور في منتديات عتيبة (www.atida.org)، بتاريخ: 27 /01/ 2009م على الساعة:00:00.

مثل شهاب الدين أحمد بن يحيى المعروف بابن فضل الله العُمري (المتوفى سنة 749هـ) في كتابه " التعريف بالمصطلح الشريف " الذي يتناول الألفاظ الاصطلاحية المستعملة في الكتابة الديوانية.

ومن المعجميين الذين استخدموا لفظي (اصطلاح) و(مصطلح) بوصفهما مترادفين عبد الرزاق الكاشاني(ت 736هـ) في كتابه: (اصطلاحات الصوفية)، إذ قال في مقدمته: «...فقسمتُ الرسالة على قسمين: قسم في بيان المصطلحات ما عدا المقامات... واستخدم الكاشاني لفظ: "مصطلح" في مقدمة معجمه لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام الذي قال في مقدمته: « فإني لما رأيتُ كثيراً من علماء الرسوم ربما استعصى عليهم فهم ما تتضمنه كتبنا وكتب غيرنا من النكب والأسرار... أحببتُ أن أجمع هذا الكتاب مشتملاً على شرح ما هو الأهم من مصطلحاتهم.»⁽¹⁾

من كلِّ هذا ندرك أنّ المؤلِّفين العرب القدامى استعملوا لفظي " مصطلح " و " اصطلاح " بوصفهما مترادفين. أما الادعاء بأن لفظ " مصطلح " لا يتفق والقواعد العربية، لأنه اسم مفعول من الفعل " اصططح " وهو فعل لازم لا يتعدى إلا بحرف جرّ فنقول: « " اصططحووا عليه "، وأن اسم المفعول منه يحتاج إلى نائب فاعل هو الجار والمجرور أو الظرف أو المصدر، ولهذا ينبغي أن نقول " مصطلح عليه؛ فإنّ قواعد اللغة العربية تجيز حذف الجار والمجرور " منه " للتخفيف عندما يصبح اسم المفعول علماً أو اسماً يُسمى به، فنقول " مصطلح " فقط.»⁽²⁾

أما عدم ورود لفظ " مصطلح " في المعاجم العربية إلا في معجم " الوجيز " لمجمع اللغة العربية الذي صدر سنة (1980م) و " المعجم العربي الأساسي " الذي صدر سنة (1989م)، فيعود السبب في ذلك إلى أنّ المعاجم لا تسجّل جميع ألفاظ اللغة، وأنّ المعاجم العربية جرت على عدم ذكر صيغ المشتقات المطّردة، وكلمة " مصطلح " اسم مفعول مشتق من الفعل " اصططح " .

1 - علي القاسمي: عبد الرزاق الكاشاني وإسهامه في تطوير المعجمية العربية، مقال " في مجلة " دراسات مصطلحية " العدد 1 (2001)، ص: 219-236.

2 - علي القاسمي: المصطلحية علم المصطلح وصناعة المصطلح، منشور في منتديات عتيبة.

2- علم المصطلح:

إنّ المصطلح اللغوي وغير اللغوي ظاهرة فكرية برزت على نحوٍ تدريجي خلال الحقب التاريخية التي مرت بها العلوم المختلفة وفروعها حتى غدت الاهتمامات بالمصطلحات العلمية بمختلف مناحيها فرعاً علمياً بارزاً بين فروع العلوم الأخرى سُمي بـ (علم المصطلح) وإن لم يستقل بمبناه عن محتوى العلوم الأخرى.

أ- مفهوم علم المصطلح:

يمكن تعريف علم المصطلح بالعلم الذي يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والمصطلحات اللغوية التي تعبر عنها.

فكلُّ نشاطٍ فكري إنسانيٍّ مهما كانت طبيعته، وكلُّ حقلٍ من حقول المعرفة البشرية، يحوي مجموعة كبيرة من المفاهيم والمحتويات التي ترتبط فيما بينها على هيئة منظومة علمية متكاملة في كلِّ حقلٍ من حقول المعرفة، وتكون هذه المنظومة بشتى محتوياتها ومفاهيمها وإن تعددت وتشابكت على علاقات متداخلة بمنظومات الحقول الأخرى. لأنَّ نظامُ المفاهيم يتألف في الوجود من مجموع المنظومات المفهومية الخاصة بكلِّ حقلٍ من حقول المعرفة.

كما أن كلَّ حقلٍ علميٍّ يتوفّر على مجموعة هائلة من المصطلحات التي تعبّر عن مفاهيمه اللغوية. وتُجلى لنا العلاقة بين المفهوم والمصطلح الذي يعبر عنه، في التعريف العلميّ الدقيق. وتؤلّف مصطلحات كلِّ حقلٍ من الحقول منظومةً مصطلحيةً تقابل المنظومة المفهومية لذلك الحقل. ومن مجموع المنظومات المصطلحية يتألف النظام المصطلحيّ في لغة من اللغات. ولا يحقّق النظام المصطلحي الغاية من وجوده ما لم تكن العلاقات المتبادلة بين عناصره متميّزة دلاليّاً، ومتجاوبة مع النظام المفهوميّ تجاوباً دقيقاً. ولا يتأتى لنا إدراك كنه النظام المفهوميّ، أو المنظومة

المفهومية لعلم من العلوم، ما لم نضع تصنيفاً مفهوماً يقوم على أسس وجودية ومنطقية⁽¹⁾.

ب - مجال علم المصطلح و نطاقه:

وعلم المصطلح علم مشترك بين اللسانيات، والمنطق، وعلم الوجود، وعلم المعرفة، والتوثيق، وحقول التخصص العلمي. ولهذا ينعت الباحثون الروس بأنه " علم العلوم". ويتناول علم المصطلح جوانب ثلاثة متصلة من البحث العلمي والدراسة الموضوعية وهي⁽²⁾:

أولاً: يبحث علم المصطلح في العلاقات بين المفاهيم المتداخلة (مثل علاقات الجنس - النوع - الكل - الجزء...) التي تتبلور في صورة منظومات مفهومية تشكل الأساس في وضع المصطلحات المصنفة التي تعبر عن تلك المفاهيم. وبهذا المعنى، يكون علم المصطلح فرعاً خاصاً من علم المنطق وعلم الوجود.

ثانياً: يبحث علم المصطلح في المصطلحات اللغوية، والعلاقات القائمة بينها ووسائل وضعها، وأنظمة تمثيلها في بنية علم من العلوم. وبهذا المعنى، يكون علم المصطلح فرعاً خاصاً من فروع علم المعجم (علم المعجم Lexicology) و(علم تطور دلالات الألفاظ Semasiology).

ثالثاً: يبحث علم المصطلح في الطرق العامة المؤدية إلى خلق اللغة العلمية بصرف النظر عن التطبيقات العملية في لغة طبيعية بذاتها.

وبذلك يصبح علم المصطلح علماً مشتركاً بين علوم اللغة، والمنطق، والوجود والمعرفة، والتصنيف، والإعلاميات، والموضوعات المتخصصة. فكل هذه العلوم تتناول في جانب من جوانبها التنظيم الشكلي للعلاقة المعقدة بين المفهوم والمصطلح.

1- ينظر: علي القاسمي: المصطلحية: علم المصطلح وصناعة المصطلح، مقال منشور في منتديات عديدة.

2- (H. Felber, Manual of Terminology Wein: INFOTERM, 1984) نقلا عن: المرجع السابق.

وعرّف (فوستر)، في أواخر حياته سنة (1979م)، علم المصطلح بأنه العلم الذي يحكم نظام المعجم المختصّ بعلم من العلوم، وحدّد سمات علم المصطلح بخمس:

- (1) يبحث علم المصطلح في المفاهيم، للوصول إلى المصطلحات التي تعبّر عنها.
- (2) ينتهج علم المصطلح منهجاً وصفيّاً.
- (3) يهدف علم المصطلح إلى التخطيط اللغوي، ويؤمن بالتقييس والتنميط.
- (4) علم المصطلح علم بين اللغات.
- (5) يختص علم المصطلح غالباً باللغة المكتوبة⁽¹⁾.

وينظر الكثير من الباحثين على أن علم المصطلح مشترك بين علوم اللغة والمنطق ومختلف التخصصات العلمية، ويعنى بمنهجيات جمع وتصنيف المصطلحات، ووضع الألفاظ الحديثة وتوليدها، ونشر المصطلحات⁽²⁾.

هذا العلم يبدأ من فكرة الاصطلاح والمواضعة التي تتجلى في الفكر اللغوي الفقهي القديم، وينتهي بالنظرية المصطلحية الشاملة في مجال الترجمة والتوليد المصطلحي ومناهج التعريب ووضع المصطلحات وتصنيف المعاجم المتخصصة. ومعنى "الاصطلاح: اتفاق طائفة مخصصة على أمرٍ مخصوص" و(المصطلح) مصدرٌ ميمي من فعل (اصطَلَح)، نُقل إلى الاسمية بتخصيصه بهذا المدلول الجديد. وقد اتفق اللغويون العرب المعاصرون على استعمال كلمة (مصطلح)، فذاعت في مصنفاتهم⁽³⁾.

1 - جورج ساجر: المصطلحية والمعجم التقني، ترجمة محمد حسن عبد العزيز، في مجلة "اللسان العربي"، العدد 42 (1996 م) ص: 170 - 183. نقلا عن: علي القاسمي: المصطلحية: علم المصطلح وصناعة المصطلح، مقال منشور في منتديات عتيدة (www.atida.org).

2 - ينظر: علي القاسمي: مقدمة في علم المصطلح، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة (1987م)، ص: 19.

3 - محمود إبراهيم كايد: المصطلح ومشكلات تحقيقه" مجلة التراث العربي، مجلة فصل، (دمشق) العدد 97، السنة الخامسة والعشرون، رمضان 1426، ص: 115.

3- علاقة المصطلح بالمفهوم الدال عليه:

يعتبر المصطلح لفظاً يطلق للدلالة على مفهوم معيّن عن طريق الاصطلاح أي الاتفاق بين الجماعة اللغوية على تلك الدلالة المقصودة، التي تربط بين اللفظ (الدال) والمفهوم (المدلول) لوجود علاقة أو مناسبة بينهما؛ فإن جوهر المشكلة - كما يتصورها الباحثون لا سيما علماء الاصطلاح بمختلف تخصصاتهم - هو الاتفاق بين الجماعة، والأسس والمبادئ التي يقوم عليها هذا الاتفاق، وسبل تحقيقه.

واللغة العربية لها قدرة كبيرة على استيعاب كل المفاهيم سواء كانت قديمة أو مستحدثة شأنها في ذلك شأن جميع اللغات؛ بل هي أقوى من جميع اللغات اتساعاً في هذا المجال، وهي أطوع وأقدر فيه، ولها في ذلك أسباب تاريخية واجتماعية وحضارية، ولما كان لها ذلك وسّعت العلوم والمعارف التي ذاعت إذ ذاك، ولم تقصر عن التعبير عن شيء منها.

لهذه الأسباب وغيرها ارتضى الكثير من المتخصصين في علم المصطلح تعريفاً مميّزاً بالدقة للمصطلح، فعرفوه بأنه: « الرمز اللغوي المحدد لمفهوم واحد.»⁽¹⁾، وتناول كثير من الدارسين المحدثين موضوع تعريف المصطلح، وعلى الرغم مما يبدو من اختلاف ظاهر في ألفاظ التعريف إلا أنها كلها تؤدي مدلولاً واحداً، فما هو ذا أحدهم يجعل لفظ المصطلح محور تعريفه له فيقول: « اللفظ أو الرمز اللغوي الذي يستخدم للدلالة على مفهوم علمي أو عملي أو فني، أو أي

1 - فيلبر (FELBER) « Standardization of Terminology » فيينا، (1985م)، ص: 17. "ولعل أغنى الأدبيات التي كتبت في علم المصطلح النظري والتطبيقي حتى الآن، وفي التقييس والتخطيط والتوثيق المصطلحي، وكل ما يتعلق بالمصطلح، لعلها جاءت في كتابات فيلبر، وهو الرئيس السابق لمنظمة (INFOTERM) في فيينا بالنمسا. نقلاً عن مقال للدكتور علي توفيق الحمد بعنوان: في المصطلح العربي (قراءة في شروطه و توحيدِه) ، مجلة جامعة الخليل للبحوث، م2، عدد01(2005) قسم اللغة العربية - جامعة اليرموك الأردن

موضوع ذي طبيعة خاصة»⁽¹⁾. وعليه فقد أكد الباحثون وأصحاب الاختصاص على أن المصطلح يقوم على دعامتين؛ هما: الرمز اللغوي - والمفهوم.

والمفهوم عرفه فيلبر (FELBER) بقوله: «إنه عبارة عن بناء عقليّ - فكري - مشتقّ من شيء معيّن. فهو - بإيجاز - الصورة الذهنية لشيء معيّن موجود في العالم الخارجيّ أو الداخلي، وأضاف: «ولكي نبلّغ هذا البناء العقلي - المفهوم - في اتصالاتنا، يتم تعيين رمز له ليبدّل عليه.»⁽²⁾

إن مسألة اللفظ (الرمز اللغوي) والمعنى (المفهوم) من المسائل الكبرى عند النقاد القدامى والمحدثين، فقد قامت المعركة بينهم على أشدها في تحديد دور كل منهما في إعطاء النص الأدبي قيمته الفنية.

فاللفظ في - أصل اللغة - مصدر للفعل بمعنى الرمي، ويتناول ما لم يكن صوتاً وحرفاً، وما هو حرف واحد وأكثر، مهملاً كان أو مستعملاً، صادراً من الفم أولاً، ثم خص في عرف اللغة بما صدر من الفم، من الصوت المعتمد على المخرج حرفاً واحداً أو أكثر، مهملاً أو مستعملاً.

وفي لسان العرب: «اللفظ: أن ترمي بشيء كان في فيك، والفعل لَفَظَ الشيءَ. يقال: لَفَظْتُ الشيءَ من فمي أَلْفِظُهُ لَفْظاً رَمِيتهُ، وذلك الشيءَ لُفَاظَةً؛ قال امرؤ القيس يصف حماراً:

يُورِدُ مَجْهُولَاتِ كُلِّ خَمِيلَةٍ يَمُجُّ لُفَاظَ البَقْلِ فِي كُلِّ مَشْرَبِ

قال ابن بري: واسم ذلك المَلْفُوظُ لُفَاظَةً ولُفَاظٌ ولَفِيظٌ ولَفْظٌ. لابن سيده: لَفْظَ الشيءَ وبالشَّيءِ يَلْفِظُ لَفْظاً، فهو مَلْفُوظٌ ولَفِيظٌ: رمى...»⁽³⁾

1 - مقال للدكتور: محمود عبد الله جفال: المصطلح اللغوي عند ابن جني في كتاب الخصائص مصدره ودلالته قسم اللغة العربية - جامعة اليرموك الأردن (لم ينشر)

2 - فيلبر (FELBER): «Standardization of Terminology»، ص: 13. نقلاً عن مقال للدكتور علي توفيق الحمد بعنوان: في المصطلح العربي (قراءة في شروطه و توحيدده)

3 - ابن منظور: لسان العرب، ج7، ص: 461. (مادة لفظ)

أما المعنى لغة: فهو ما يقصد بشيء، ولا يطلق المعنى على شيء إلا إذا كان مقصوداً، وأما إذا فهم الشيء على سبيل التبعية فيسمى معنى بالعرض لا بالذات. ومعنى كل كلام، ومعناته ومعنيته، مقصده.

« واهتمّ علماء المصطلح ببيان المقصود بالرمز اللغوي الدالّ على المفهوم ففرّقوا بين ثلاثة أنواع من الرموز اللغوية، وهي:

(1) الكلمة.

(2) المصطلح.

(3) كلمة القاموس (المذخر اللغوي).

فقالوا: إن الكلمة يمكن أن تأخذ عدّة معانٍ أو ظلالٍ معانٍ غير محدّدة، ويمكن استخدامها في تسمية الأشياء، وتعتمد في ظهور معناها على السياق.

أما المصطلح فرمز لغوي محدّد لمفهوم معيّن، أي أنّ معناه هو المفهوم الذي يدلّ عليه هذا المصطلح، وتعتمد درجة وضوح معناه على دقّة موضع المفهوم ضمن نظام المفاهيم ذات العلاقة.

وكلمة القاموس فغالباً ما تكون مصطلحاً أو اسماً يستعمل لاسترجاع المعلومات أو فهرستها في نظام خاصّ، ويعتمد معناها على نظام المعلومات ذات العلاقة، وتسند هذه الأسماء إلى مسمياتها المنفردة لا إلى منظومة المفاهيم. والمسميات هي الأشياء المحسوسة الحقيقية الموجودة في العالم الخارجي أو الداخلي أما المفاهيم فصور ذهنية لتلك الأشياء الموجودة.⁽¹⁾

ويجب أن تكون ثمّ علاقة منطقية بين المصطلح ومفهومه، وهذه العلاقة منظمة، لكن لا يشترط وجود هذه العلاقة بين الاسم والمسمى. فلو أطلقنا مصطلح "مطبّعة" على آلة طباعة التي تطبع لنا الكتب والمجلات و...، وأردناه مصطلحاً وجب أن تكون هذه الآلة من خصائصه الطباعة؛ وهذه هي العلاقة المنطقية

1 - ينظر: علي توفيق الحمد: في المصطلح العربي (قراءة في شروطه و توحيدده).

الواجبة بين المصطلح ومفهومه؛ أما الاسم: فقد نطلق الاسم " كريم " على شخص أو مسمى، ولا يكون بالضرورة يتصف بصفة الكرم.

فالمفهوم اللغوي للفظ أنه ما يتلفظ به الإنسان من الكلام، وللمعنى أنه المقصود باللفظ، فالقصد شرط في اللفظ والمعنى، إذ لو لم يعتبر القصد لا يسمى الملفوظ كلاما. واللفظ في الاصطلاح هو ما يتلفظ به الإنسان أو في حكمه، مهـملا كان، أو مستعملا وهذا ما يصطلح عليه اللسانيون بمصطلح (الدال).

أما المعاني فهي الصورة الذهنية إذ وقع بإزائها اللفظ من حيث إنها تقصد منه وذلك ما يكون بالوضع، فإن عبر عنها بلفظ مفرد سمي معنى مفردا، وإن عبر عنها بلفظ مركب سمي معنى مركبا. والمعاني: هي الصورة الذهنية من حيث إنه وضع بإزائها الألفاظ والصور الحاصلة في العقل، فمن حيث إنها تقصد باللفظ سميت معنى، ومن حيث إنها تحصل من اللفظ في العقل سميت مفهوما. والمعنى هو المفهوم من ظاهر اللفظ الذي نصل إليه بغير واسطة.

وهذا المفهوم هو الذي يؤدي إلى دلالة اللفظ والتي تتنوع بحسب تغير الغرض المرجو من هذا اللفظ وتكون بينهما تلك العلاقة التي عادة ما تكون إما اعتباطية (لفظية) أو صناعية حسب نوع الصناعة المراد دراستها (نحو، بلاغة، نقد، عروض، فقه لغة...). وفي هذا الصدد بوب له ابن جني في كتابه الخصائص " باب في الدلالة اللفظية والصناعية والمعنوية " فيقول: « اعلم أن كل واحد من هذه الدلائل معتد مراعى مؤثر إلا أنها في القوة والضعف على ثلاث مراتب، فأقواهن الدلالة اللفظية ثم تليها الصناعية ثم تليها المعنوية ولنذكر من ذلك ما يصح به الغرض فمنه جميع الأفعال ، ففي كل واحد منها الأدلة الثلاثة ، ألا ترى إلى قام ودلالة لفظه على مصدره ودلالة بنائه على زمانه ودلالة معناه على فاعله ، فهذه ثلاث دلائل من لفظه وصيغته ومعناه ، وإنما كانت الدلالة الصناعية أقوى من المعنوية من قبل أنها وإن لم تكن لفظا فإنها صورة يحملها اللفظ ويخرج عليها ويستقر على المثال المعترزم بها، فلما كانت كذلك لحقت بحكمه وجرت مجرى اللفظ

المنطوق به، فدخلنا بذلك في باب المعلوم والمشاهدة وأما المعنى فإنما دلالاته لاحقة بعلوم الاستدلال وليست في حيز الضروريات.»⁽¹⁾.

على الرغم من أن كلاً من كلمتي (المصطلح) و(الصناعة) تدل على المعنى الخاص الذي وقع عليه اتفاق الجماعة والذي يقابل المعنى اللغوي العام فإن الشريف الجرجاني قد فرّق بينهما من ناحية أخرى فقد خصّ كلمة (المصطلح) بالدلالة على المفهوم النظري المتعارف عليه بين مُعيّنين كما يتضح من تعريفاته السابقة للاصطلاح في حين خصّ كلمة (الصناعة) بالدلالة على المفهوم العملي التطبيقي المتعارف عليه بين مُعيّنين، وذلك بقوله: « الصناعة في اللغة : الحرفة، وفي الاصطلاح: بمعنى اتفاق جماعة على تخصيص شيء بشيء يناسبه معنى...»⁽²⁾ وكذلك بقوله: « الصناعة :... العلم المتعلق بكيفية العمل»⁽³⁾.

فربطه مصطلح الصناعة بمعناه اللغوي وهو الحرفة، وتصريحه بأن الصناعة تتعلق بكيفية العمل يميز دلالة الصناعة من دلالة المصطلح، وبهذا يكون معنى الصناعة هو اتفاق المختصين على مسائل عملية وموضوعات تطبيقية من دون المسائل النظرية التي يسمى اتفاق المختصين عليها اصطلاحاً. وقد طبق الجرجاني هذا التفريق بين الاصطلاح والصناعة في قسم من تعريفاته للاصطلاحات اللغوية من ذلك مثلاً أنه جعل الاتفاق على مفهوم الحال (اصطلاحاً)⁽⁴⁾ لأنه اصطلاح ذهني غير عملي في حين جعل الاتفاق على معنى الإدغام (صناعة)⁽⁵⁾ لأنه صناعة تطبيقية واحتراف عملي .

1 - ابن جني: الخصائص، محمد علي النجار، بغداد: دار الشؤون الثقافية، ط4، (1990م)، ج 3 ص: 98.

2 - الجرجاني: معجم التعريفات، ص: 137.

3 - المصدر السابق، ص: 137 .

4 - المصدر نفسه، ص: 86.

5 - المصدر نفسه ، ص: 18 .

4- أركان المصطلح⁽¹⁾:

ينبغي قبل متابعة واقع المصطلحات وأساليب البناء المتبعة أن نتوقف عند أركان المصطلح وأبرزها:

أ- **اللفظ**: ويقصد به اللفظ الذي يتم اختياره لبيان دلالة المفهوم الطارئ من حيث الوضع والترجمة. وهنا لا بد من الإشارة إلى أنه عند اختيار اللفظ (المصطلح) للإشارة إلى مفهوم محدد لا بد أن يتحقق في هذا اللفظ أمران:

• ألا تختلف دلالة المصطلح اللفظية عن مفهومه العلمي، وهو ما يعبر عنه بالدقة العلمية.

• ألا تخلف دلالة المصطلح الاصطلاحية عن دلالاته اللغوية، وهو ما يعبر عنه بالدقة اللغوية؛ أي أن يؤدي المصطلح المفهوم العلمي المقصود، وأن يكون هذا المصطلح سليماً من الناحية اللغوية مبنياً ومعنى⁽²⁾.

كما أنه لا يشترط أن يكون اللفظ الذي يتم اختياره للدلالة على المصطلح أن يستوعب كل صفات المدلول والمفهوم، بل يمكن اختيار اللفظ لأدنى ترابط بين هذا اللفظ والمفهوم الذي يحمله. وقد رأينا قديماً أن العلماء كانوا يقسمون الموضوع الواحد إلى أجزائه وربما اختلفت نظرتهم في اختيار اللفظ المناسب لكل جزء من هذه الأجزاء على نحو ما نجد في تقسيم الأفعال؛ إذ نجد أنها تنقسم إلى ماض ومضارع وأمر بدلاً من تقسيمها إلى ماض وحاضر ومستقبل مثلاً، فقد لجأ واضع المصطلح إلى اختيار اللفظ الأول باعتبار دلالاته الزمنية وترك هذه الدلالة في القسم الثاني لينظر إليه باعتبار مشابهته للاسم في قبوله للإعراب، ثم ترك هذه الدلالة مرة ثالثة لينظر إلى القسم الثالث باعتبار المعنى المتحصل منه فيطلق عليه لفظ (فعل الأمر).

1- مصطفى طاهر الحيادة: مصطلحاتنا اللغوية بين التعريب والتعريب كلية المعلمين - حائل - السعودية، مقال منشور على الموقع الإلكتروني لمجمع اللغة العربية الأردني (<http://www.majma.org>)، بتاريخ: 2009/02/10م على الساعة: 00:36.

2- ممدوح خسارة: إشكالية الدقة في المصطلح العربي، مجلة التعريب، ع7، (1994م)، ص:41.

ومع هذا لا بد أن يمتلك اللفظ الذي نختاره أسباب بقائه فلا يتناقض في أحد وجوهه مع المفهوم الذي خُصَّصَ لحمله، ولا بد أن يكون مستساغاً لدى الفئة المستخدمة لهذا اللفظ، وألاً يخرج على الإطار العام الذي تسيّر وفقه الألفاظ الأخرى التي تنتمي إلى مجال الموضوع الذي يدخل فيه.

ومما يعطي اللفظ قوة؛ سهولته وصدوره عن مؤسسة، أو فرد له شأنه في العلم الذي يوضع فيه. ويدخل في اختيار اللفظ أمور أخرى؛ نحو مدى إيجازه، فربما يبدأ اللفظ بصورة تركيب، ثم يبدأ بالتضاؤل والتحول ليصل إلى كلمة أو تركيب من كلمتين، وقد رأينا مثل هذا الصنيع في بدايات العمل اللغوي العربي إذ وجدنا عدداً من الألفاظ عند سيبويه بصورة تركيب ثم بدأت تنقلص إلى أن وصلت إلى الصورة التي نراها اليوم.

ب- **المفهوم⁽¹⁾**: إنَّ المفهوم هو الركن الأساسي من أركان المصطلح ولا نقصد هنا في هذا الركن الصورة المادية كما تعرّض لها (دي سوسير) فذلك أمره أمر آخر. وعند النظر في مصطلح (المفهوم) وما تشير إليه هذه اللفظة من مدلول نجد أن فيلبر يعرفه بقوله: «هو تمثيل عقلي للأشياء الفردية، وقد يمثل شيئاً واحداً أو مجموعة من الأشياء الفردية تتوافر فيها صفات مشتركة»⁽²⁾ و يمثل عنده أيضاً «المحور الأساسي للنظرية العامة للمصطلحات ونقطة البداية لأي عمل مصطلحي»⁽³⁾. ونظراً لأن المفاهيم صور ذهنية تحتاج إلى تقريب وتحديد في ذهن السامع أو القارئ فإن السبيل إلى ذلك يتم بطرق ثلاث هي:

1- ينظر: مصطفى طاهر الحيايرة: مصطلحاتنا اللغوية بين التعريب والتغريب كلية المعلمين - حائل - السعودية (مقال).

2 - (Helmut Felber, Terminology Manual, Paris, 1999,p115) نقلا عن مقال للدكتور علي توفيق الحمد بعنوان: في المصطلح العربي (قراءة في شروطه و توحيد)

3 - ينظر: المرجع السابق، p: 102

أ- الدقة في تحديد المفاهيم في حد ذاتها. عن طريق تعداد عناصرها وأجزائها، أو بضرب الأمثلة عليها، أو عن طريق تعريفها دون ربطها بغيرها من المفاهيم.

ب- تحديد المفاهيم في علاقاتها بعضها ببعض وكما يعبر عنها في البناء المعرفي وتحقق وجودياً في أشكالها اللسانية؛ كأن تعرّف التركيب في اللغة بأنه مجموعة الكلمات التي تتألف فيما بينها لتؤدي معنى وصف المفاهيم بالشكل اللساني الذي تتزيا به فيما إذا كانت مصطلحاً أو جملة أو تعبيراً لمعرفة في اللغة الواحدة، نحو تعريف الفعل بأنه ما دل على حدث مرتبط بزمن محدد، وتعريف المصدر بأنه الكلمة التي تدل على حدث غير مقترن بزمن محدد⁽¹⁾.

وهذا الأمر يتطلب من العاملين في حقل المصطلحات الوعي التام بالمفاهيم، وما يحددها من أصناف وخصائص ووظائف وعلاقات؛ ذلك أن لكل مفهوم بيئته التي ينتمي إليها ويتحدد مساره وفقها. ويرى ساجر أن « المفاهيم تتميز في كونها تتطوي على علاقات تتشكل بوساطة علاقات مجاورة... وأن المفاهيم الجديدة يمكن أن تتشكل عن طريق ربطها بمفاهيم أخرى »⁽²⁾. كما أن العلاقات بين موضوعات العالم الواقعي متعددة ومتنوعة، فجزء هام من تشكل المفهوم "يكمن في اختيار العلاقات الخاصة بين خصائص المفاهيم، وكذلك بين المفاهيم وحتى الأشياء"⁽³⁾؛ ذلك أن العلاقات بين المفاهيم تمثل مجموعة تحتية لعلاقات محتملة وفي بيئة معرفية مقسمة إلى حقول موضوعية خاصة فإن المفاهيم يرتبط بعضها ببعض سواء أكانت منتمة للمجموعات التحتية ذاتها أم لغيرها. كما أن مفاهيم حقول الموضوعات ذاتها

1 - ينظر: جورج ساجر ترجمة جواد سماعة : نظرية المفاهيم في علم المصطلحات، ، مجلة اللسان العربي ع 47، (1999م)، ص:188.

2- جورج ساجر ترجمة جواد سماعة : نظرية المفاهيم في علم المصطلحات، ، مجلة اللسان العربي ع 47، (1999م)، ص:188.

3- المرجع السابق، ص:192.

تكون مترابطة إما بطبيعتها الخاصة، وإما بروابط الحياة الواقعية للموضوعات التي تمثلها⁽¹⁾.

من هنا تحتاج المفاهيم المختلفة إلى عمليات تنظيم توفر على الباحثين الجهد والعناء، وتسهّل عليهم ربط المفاهيم الجديدة والطارئة بالمفاهيم الواضحة والمستقرة وتحديد المواقع المناسبة للمفاهيم الجديدة. وهذا ما قامت نظرية المفاهيم لتحقيقه.

ج- الحد أو التعريف:

جاء في معنى الحد في معجم العين: « فصل ما بين كل شيئين حد بينهما، ومنتهى كل شيء حده ... وحدود الله هي الأشياء التي بيّنها، وأمر أن لا يتعدى فيها⁽²⁾ » وعرفه السكاكي (ت 626 هـ) بقوله: « الحد عبارة عن تعريف الشيء بأجزائه، أو بلوازمه، أو بما يتركب منهما، تعريفاً جامعاً مانعاً، ونعني بالجامع كونه متولاً لجميع أفرادهِ؛ إن كانت له أفراد، وبالمانع كونه أياً دخول غيره فيه. فإن كان ذلك الشيء حقيقة من الحقائق مثل حقيقة الحيوان والإنسان والفرس، وقع تعريفاً للحقيقة، وإن لم يكن؛ مثل: العنقاء، وقع تفصيلاً للفظ الدال عليه بالإجمال. وكثيراً ما نغير العبارة، فنقول: الحد هو وصف الشيء وصفاً مساوياً، ونعني بالمساواة، أن ليس فيه زيادة تخرج فرداً من أفراد الموصوف، ولا نقصان يدخل فيه غيره⁽³⁾ ».

وقد كثر في العصر الحديث استخدام لفظة "التعريف" في مقابل لفظة الحد، مع أنهما اسمان لمسمى واحد. وقُدّم له عدة تعريفات في الكتب والمعاجم، والموسوعات المتخصصة. فيعرفه عبد الرحمن بدوي بقوله: « التعريف (Definition) ويسمى أيضاً في كتب المنطق العربية القديمة: القول الشارح، هو مجموع الصفات التي

1- ينظر: جورج ساجر ترجمة جواد سماعنة: نظرية المفاهيم في علم المصطلحات، مجلة اللسان العربي عدد 47، (1999م)، ص: 192- 193.

2- الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ج3، ، تح: مهدي المخزومي ورفيقه، العراق: دار الرشيد للنشر (1981م)، مادة (حد).

3- أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم، تح نعيم زرزور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، (1983م)، ص: 436.

تكوّن مفهوم الشيء مميزاً عما عداه، وهو إذن والشيء المعرّف سواء، إذ هما تعبيران؛ أحدهما موجز، والآخر مفصل عن شيء واحد بالذات «(1)».

والتعريف عند (هيلموت فيلبر - Helmut Felber): «صيغة لفظية تصف مفهوماً ما، بوساطة مفاهيم أخرى ذات علاقة مميزة عن غيره من المفاهيم التي تقع في مجاله وتحدد موقعه من منظومة المفاهيم»(2). ويبرز لنا من خلال هذا التعريف أن هنالك بعض الأمور التي ينبغي توافرها في التعريف المصطلحي؛ أبرزها(3):

(1) تحديد المجال المعرفي للمصطلح.

(2) تحديد علاقة المصطلح بالمصطلحات الأخرى المتعلقة به.

(3) تعريف المصطلح مفهوماً.

(4) الانطلاق من المفهوم لتحديد المصطلح، وليس من المعنى العام، أي البدء بتعيين المفهوم لتسمية مصطلح ما.

من هنا يتضح أنه لا بد عند التعامل مع المصطلحات من التفريق بين التعريف المصطلحي والتعريف اللغوي العام، وتقديم الأول (التعريف المصطلحي)؛ لما يتسم به من دقّة وإيجاز.

أما وسائل تقديم التعريف؛ فإننا نجد أن علماءنا القدماء اختاروا أكثر من وسيلة لتقديمه بها فإما أن يقوموا بوصفه بالخصائص التي يتميز بها؛ كأن نعرّف الفاعل مثلاً بقولنا: هو الاسم المسند إليه فعل، على طريقة فعلٍ أو شبهه وحكمه الرفع. وإما بذكر عناصره، وأقسامه، وعمله، نحو تقديم ابن عقيل للحروف الناسخة بقوله: "وهي ستة أحرف: إن، وأن، وكان، ولكن، وليت، ولعل".

1- عبد الرحمن بدوي: الموسوعة الفلسفية، ج1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص: 423-424

2- ينظر: جواد سماعة: المعجم العلمي المختص (المنهج والمصطلح)، مجلة مجمع دمشق، م75-4، (2000م)، ص: 979. (مقال)

3- المرجع السابق ص: 980.

ثم يقول: « وهذه الحروف تعمل عكس عمل كان فتنصب الاسم وترفع الخبر وقول سيبويه: (الكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل)⁽¹⁾. وربما عرفت المصطلحات بالتمثيل؛ نحو قول سيبويه في تعريف الاسم: «الاسم رجل وفرس وحائط»⁽²⁾.

ولم تخرج طرق التعريفات الحديثة عن الأساليب القديمة، بل ربما قلصت من الطرق القديمة. فها هو فيلبر يشير إلى وسيلتين فقط للتعريف وهما⁽³⁾:

1- التعريف بتخصيص دلالة المفهوم، ويتضمن هذا النوع من التعريف تقديم المفهوم بمجموعة المواصفات الخاصة به. وهذه الوسيلة تظهر في تعريف سيبويه للفعل بقوله: لـ « أما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبنيت لما مضى ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع»⁽⁴⁾.

2- التعريف بذكر عناصر المفهوم. ويتضمن هذا النوع من التعريف تقديم المفهوم بذكر عناصره، وفروعه التي يتكون منها. وهذه الوسيلة استخدمها سيبويه أيضاً بقوله: « الكلم: اسم، وفعل، وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل»⁽⁵⁾.

5- نبذة مختصرة عن تاريخ المصطلح:

يصعب تحديد أول استعمال للفظ المصطلح لتعدد الروايات التاريخية حول هذا اللفظ، لكن عملية البحث والتنقيب تبقى دائماً هي المسيطرة والمؤكدة على أنها قديمة على مستوى قدم الحضارة الإسلامية فقد كان وارداً استعمال لفظ مصطلح عند الكثير من العلماء القدامى ومتداولاً بينهم، على الرغم من عدم ورودها في القواميس

1- أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه: الكتاب، ج1، تح: عبد السلام هارون، ط2، (1988م)،

القاهرة، مكتبة الخانجي، ص:12

2- المصدر السابق، ج1، ص:12

3- انظر: (Terminology Manual, p. 160- 163) نقلاً عن مقال للدكتور علي توفيق الحمد بعنوان: في

المصطلح العربي (قراءة في شروطه و توحيدده).

4- سيبويه: الكتاب، ج1، ص:12.

5- المصدر السابق، ج1، ص:12.

القديمة فقد استخدم إجرائيًا ضمن العديد من الحقول المعرفية والمجالات المختلفة، من ذلك التصوّف والتاريخ، وصناعة الإنشاء وعلوم الحديث - كما أسلفنا الذكر - والقراءات، وصناعة الشعر واللغة والمناظرة (الجدل)، وقد كان رائجا خلال القرن الثامن الهجري على يد بعض الصوفية والمؤرخين وكتاب دواوين الإنشاء الذين سموا به بعض مؤلفاتهم وذكروه في ثنايا كتبهم، أمّا لفظ " اصطلاح " فربما كان أقدم ظهورا ورواجا في تاريخ اللغة العربية من لفظ "مصطلح"، فقد وجد لفظ اصطلاح مستعملا منذ القرن الثالث الهجري في كتاب المقتضب لأبي العباس المبرد (ت280هـ)، ووجد في القرن الرابع الهجري في كتابات كل من عبد الله بن محمد الخوارزمي (ت387هـ)، ابن جنّي (ت392هـ) وابن فارس (ت395هـ).

وقد ورد لها آثار أيضا في أواسط القرن السادس للهجرة، مع أبي منصور محمد بن محمد البروي (ت567هـ) من خلال كتابه " المقترح في المصطلح "، ثم بدأ لها بعد ذلك تداول في عدة مجالات وحقول معرفية مختلفة فظهر لفظ "مصطلح" في عناوين بعض مؤلفات علماء الحديث مثل "الألفية في مصطلح الحديث" للزين العراقي (ت806هـ) وكتاب "نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر" للحافظ بن حجر العسقلاني (ت852هـ).

واستخدم لفظ "المصطلح" كتاباً آخرون غير علماء الحديث مثل ابن فضل الله العمري (ت749هـ) في كتابه " التعريف بالمصطلح الشريف " الذي يتناول الألفاظ الاصطلاحية المستعملة في الكتابة الديوانية. واستعمل ابن خلدون (ت808هـ) لفظ " مصطلح " في "المقدمة" فقال: « الفصل الواحد و الخمسون: في تفسر الذوق في مصطلح أهل البيان و تحقيق معناه و بيان أنه لا يحصل للمستعربين من العجم »⁽¹⁾، وقد استعمل ابن خلدون لفظ مصطلح في موضع أخرى للدلالة على الكثير من المفاهيم المتداولة في زمانه ومن بين المواضع التي ذكر فيها لفظ " مصطلح " في بيانه حينما بين مفهوم دلالة الخط واستدل بالآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ

1 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، تح: محمد درويش، ط01 (2004)، ج2، ص:387

الْإِنْسَانَ، عَمَّهُ الْبَيَانَ ﴿١﴾ « وهو يشتمل. بيان الأدلة كلها. فالخط المجود كماله أن تكون دلالاته واضحة، بإبانة حروفه المتواضعة و إجابة وضعها و رسمها كل واحد على حدة متميز عن الآخر. إلا ما اصطلاح عليه الكتاب من إيصال حرف الكلمة الواحدة بعضها ببعض. سوى حروف اصطلاحوا على قطعها، مثل الألف المتقدمة في الكلمة، و كذا الراء و الزاي و الدال و الذال و غيرها، بخلاف ما إذا كانت متأخرة. وهكذا إلى آخرها. ثم إن المتأخرين من الكتاب اصطلاحوا على وصل كلمات، بعضها ببعض»⁽²⁾

وفي القرن الثاني عشر الهجري، استعمل محمد التهاوني (كان حياً 1185هـ) لفظي "اصطلاح" و"مصطلح" بوصفهما مترادفين في مقدّمة كتابه "كشاف اصطلاحات العلوم" حين قال: « فلما فرغت من تحصيل العلوم العربية والشرعية وشمّرت على اقتناء العلوم الحكمية والفلسفية...، فكشفها الله عليّ، فاقنّبت منها المصطلحات أوان المطالعة و سطرّتها على حدة»⁽³⁾ من كلّ هذا ندرك أنّ المؤلّفين العرب القدامى استعملوا لفظي (مصطلح) و(اصطلاح) بوصفهما مترادفين. ومن المعجميين الذين استخدموا اللفظين " بوصفهما مترادفين عبد الرزاق الكاشاني (ت 736هـ) في كتابه "اصطلاحات الصوفية"، إذ قال في مقدمته: «...فقسمتُ الرسالة على قسمين: قسم في بيان المصطلحات ما عدا المقامات...»⁽⁴⁾.

واستخدم الكاشاني لفظ "مصطلح" في مقدمة معجمه "لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام" الذي قال في مقدمته: "فإني لما رأيتُ كثيراً من علماء الرسوم، ربما استعصى عليهم فهم ما تتضمنه كتبنا وكتب غيرنا من النكت والأسرار،...أحببتُ أن أجمع هذا الكتاب مشتملاً على شرح ما هو الأهم من مصطلحاتهم.

1 - الرحمن : 3-4.

2 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، ج2، ص:387

3 - علي توفيق الحمد بعنوان: في المصطلح العربي (قراءة في شروطه و توحيدِهِ).

4 - المرجع السابق.

6- وسائل وآليات بناء المصطلح في العربية:

تقدم بيان أهمية المصطلح في التواصل بين العلماء والباحثين، وضرورة إيجاد لفظ موجز يشير إلى مفهوم محدد، ويتعارف مستعملوه على دلالاته بالتعريف الذي يقدم به. وهنا ربما كان من المجدي ذكر وسائل القدمات في بناء المصطلح العربي قبل الولوج إلى الحال في العصر الحاضر.

أ- بناء المصطلحات في التراث العربي⁽¹⁾:

تعددت مناهج القدمات في تقديم مصطلحاتهم، فربما قدموها بصورة تعريف، ثم يبدأ هذا التعريف بالتنقل إلى أن يستقر للمفهوم لفظ موجز دال عليه. وليس هذا موضع تركيزنا؛ إذ ليس الغرض من البحث النظر في الصورة التي قدم عليها المصطلح موجزاً أم مطولاً، لفظاً مختصراً، أم مفهوماً، أم تعريفاً. ولكننا نود الإشارة إلى المنهجيات التي اتبعوها في اختيار الألفاظ الدالة على هذه المفاهيم. وأبرز هذه المنهجيات:

1- النقل⁽²⁾: أو ما يمكن أن يسمى (المجاز). وقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى دلالة هذا المصطلح بقوله: «كل كلمة جرت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له؛ من غير أن تستأنف فيها وضعاً لملاحظة بين ما تجوز بها إليه، وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها فهي مجاز»⁽³⁾.

وقد شاعت هذه المنهجية في اختيار المصطلحات المناسبة لحمل ما يستجد من مفاهيم؛ على نحو ما نجده في تقديم ابن جني لمصطلح البناء، ومصطلح النحو ومصطلح الفقه، ومصطلحات أخرى. فهو يقول في تقديم مصطلح البناء مثلاً: «هو لزوم آخر الكلمة ضرباً واحداً من السكون أو الحركة لا لشيء أحدث ذلك من العوامل. وكأنهم إنما سموه بناء لأنه لما لزم ضرباً واحداً فلم يتغير تغير الإعراب

1 - مصطفى طاهر الحيادة: مصطلحاتنا اللغوية بين التعريب والتغريب كلية المعلمين - حائل - السعودية (مقال)

2 - ينظر: المرجع السابق.

3- عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة في علم البيان، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1988، ص: 304.

سمي بناء من حيث كان البناء لازماً موضعاً، لا يزول من مكان إلى غيره، وليس كذلك سائر الآلات المنقولة المبتذلة كالخيمة والمظلة ونحو ذلك. وعلى أنه أوقع على هذا الضرب من المستعملات المزالة من مكان إلى مكان لفظ البناء، تشبيهاً لذلك من حيث كان مسكوناً وحاجزاً، ومظلاً بالبناء من الآجر والطين والجص» (1).

2- الاشتقاق⁽²⁾: وهو « نزع لفظ من لفظ - ولو مجازاً - إذا اتفقا في المعنى والحروف الأصلية وترتيبها، ليدل بالفرع على معنى أصله؛ بزيادة مفيدة غالباً، لأجلها اختلاف في غير الحروف الأصلية، أو في شكل الحروف الأصلية على التحقيق أو التقدير» (3). ومن المتعارف عليه أن الاشتقاق أبرز خصائص العربية التي تتميز بها عن غيرها من اللغات. وقد كان له أثره البارز في اختيار جل ألفاظ اللغة العربية وأكثر مصطلحاتها. ومن الأمثلة على استخدام هذه المنهجية في بناء المصطلح؛ ما نجده من إشارة الزجاجي إلى بناء مصطلح (النحو) في (باب ذكر العلة في تسمية هذا النوع من العلم نحواً)، حيث يذكر أن زياداً ابن أبيه وضع كتاباً فيه جمل العربية ثم قال لهم: « انحوا هذا النحو، أي اقصوه» (4).

ونظراً لأن علوم العربية كانت ذات طابع عربي قليلة التأثير بغيرها، وأن الأمة كانت تعيش أوج ازدهارها؛ فقد كانت هاتان الوسيلتان هما الأكثر استخداماً، على الرغم من شيوع منهجيات أخرى، كالاقتراض والنحت بصورة قليلة نسبياً.

وقد سلك العلماء تحت إطار هاتين المنهجتين سبلاً متعددة في اختيار الألفاظ الدالة على المفاهيم التي يسعون للتعبير عنها. وأهم هذه السبل:

أ- التخصيص⁽⁵⁾: ويقصد به تخصيص لفظ من الألفاظ اللغوية العامة للدلالة على مفهوم محدد، له ارتباط بصورة معينة مع الدلالة اللغوية الأولى لهذا اللفظ، ليصبح

1- ابن جني: الخصائص، ج2، ص: 38-39.

2- ينظر: مصطفى طاهر الحيادة: مصطلحاتنا اللغوية بين التعريب والتغريب (مقال)

3- حسين والي: سبيل الاشتقاق بين السماع والقياس، مجلة مجمع القاهرة، ع2، (1935م)، ص: 196

4- أبو القاسم الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، مازن المبارك، بيروت، دار النفائس، ط4، (1982م)، ص: 89.

5- ينظر: مصطفى طاهر الحيادة: مصطلحاتنا اللغوية بين التعريب والتغريب (مقال)

بذلك مصطلحاً ذا دلالة خاصة، وتتضح هذه المنهجية في عدد وافر من المصطلحات، من مثل مصطلح (التعجب)، إذ كان التعجب يعني الاندهاش مما يرد عليك لقلة اعتياده، ثم انتقلت هذه اللفظة لتخصص لمصطلح نحوي يدل على أسلوب من أساليب العربية في التعبير عن دهشة الإنسان واستهجانه أمراً ما.

ومن الأمثلة على ذلك مصطلح (الندبة) الذي كان يعني بكاء الميت وتعدد محاسنه، يروي ابن سيده في مخصصه قول أبي زيد: «ندبت الميت أندبه ندباً بكيت عليه وأندبته، والاسم الندبة»⁽¹⁾. ثم انتقلت هذه اللفظة لتصبح اصطلاحاً، وخصصت للتعبير عن أسلوب نداء الميت وفق شروط محددة، وما قيل في هذين المصطلحين يمكن أن يصدق في مصطلحات أخرى، نحو البناء، والنكرة، والمعرفة، والمنادى، والاستغاثة، والبدل، والإضافة، والعطف، وغيرها.

ب- التركيب الإضافي⁽²⁾: هو المركب الذي يكون فيه المضاف أحد متعلقات المضاف إليه؛ من مثل (علامات الاسم). فالعلامات هي إحدى المتعلقات التي تتصل بالاسم وتحدده. وكذا الحال بالنسبة لـ (تتوين الاسم)، و(علامات الفعل)، و(علامة الحرف)، وما شابهها. أو يكون المضاف إليه محددًا للمضاف نحو ضمير الغائب؛ إذ إن المضاف إليه هنا وهو الغائب يحدد المضاف (الضمير)، ويميزه من غيره من الضمائر، كضمير الشأن، وضمير المخاطب، وضمير المتكلم، وكذا الحال بالنسبة لمصطلحات أخرى (كنون النسوة)، و(تتوين التنكير)، و(تتوين الترنم)، و(حروف العطف) وما يماثلها.

ج- تحديد المصطلح وفقاً للموقع الذي تحتله اللفظة، من مثل مصطلح (المبتدأ) الذي يشير إلى الموقع الذي يمثله الاسم المسند إليه في الجملة الاسميّة، وكذلك لام الابتداء، وما يماثلها.

1- أبو الحسن علي بن إسماعيل ابن سيده: المخصص، دار الكتب العلمية - بيروت لبنان، ج13، ص:141.

2- ينظر: مصطفى طاهر الحبادرة: مصطلحاتنا اللغوية بين التعريب والتغريب (مقال)

د - تحديد المصطلح من خلال الوظيفة النحويّة التي يؤديها، نحو (ما النافية)؛ إذ يشير المصطلح إلى ما تؤديه (ما) من وظيفة دلالية في التركيب الذي ترد فيه. ويشير مصطلح (همزة النقل) إلى الهمزة التي تسبق الفعل، وتنقله من حال اللزوم إلى حال التعدي، ومن التعدي لمفعول واحد إلى التعدي لمفعولين وهكذا. ويصدق هذا الأمر على عدد من المصطلحات، نحو: لا النافية للجنس، ولام التوكيد، وأدوات نصب المضارع، وحروف التخصيص، ولام الجحود، وفعلي المدح والذم، وما يماثلها.

هـ - الضمائم: ويقصد بها هنا اختيار عنصر من العناصر المتشابهة في سلوكها أمّا لباب من الأبواب، وإلحاق أمثاله به: نحو كان وأخواتها، وكاد وأخواتها، وإن وأخواتها. فقد اختيرت كان مثلاً أما للباب، ثم ألحقت بها الألفاظ التي تشبهها في باب واحد.

و - وصف اللفظ: وذلك بعدد يجمع ما يشترك في صفة واحدة، ونجد ذلك في مصطلح الأسماء الخمسة، والأفعال الخمسة.

ز - الإلحاق: ويقصد به إلحاق مصطلح بآخر لوجه من وجوه الشبه بينهما. ويكون ذلك بأن يتخذ مصطلح ما أساساً في القياس، ثم يحمل عليه ما يماثله في حكم من الأحكام؛ نحو المحمول على المثني، والفعل المضارع، والصفة المشبهة. يقول المبرد في حمل جمع المذكر السالم على المثني: « فإن جمعت الاسم على حد التنثية ألحقته في الرفع واواً ونوناً، أما الواو فعلامه الرفع، وأما النون فبديل من الحركة والتنوين اللذين كانا في الواحد، ويكون فيه في الجر والنصب ياء مكان الواو، ويستوي الجر والنصب في هذا الجمع، كما استويا في التنثية؛ لأن هذا الجمع على حد التنثية وهو الجمع الصحيح »⁽¹⁾.

1- أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، طبعة الأوقاف المصرية (1415 - 1994)، ج1، ص: 235.

ح- **تحديد المصطلح بوصفه:** وذلك بأن يوصف المصطلح بالصفة التي يتميز بها عن غيره؛ من مثل: الإخبار التام، والإخبار الناقص، والفعل المعتل، والفعل الناقص، والتوكيد اللفظي، والتوكيد المعنوي وما يماثلها.

ط- **الجمع بين الوظيفة والصيغة:** وذلك بأن يشترك أمران في تحديد المصطلح؛ هما الوزن الصرفي، والوظيفة التي يؤديها هذا البناء، نحو مصطلح أفعل التفضيل؛ إذ يشير الجزء الأول من التركيب إلى الوزن أو الصيغة التي تأتي عليها الألفاظ التي تحمل القيمة التفضيلية بين شيء وآخر، ويشير الجزء الثاني (التفضيل) إلى الوظيفة الدلالية التي تقدمها هذه الصيغة.

ولا يعني ذلك أن ما ورد ذكره في واحدة من السبل المتقدمة يقصر النظر إلى المصطلحات وفقها، بل ربما تداخلت في صياغة المصطلح الواحد أكثر من نظرة واحدة، وربما اجتمع على صياغته الأخذ بأكثر من سبيل، وربما عوملت الأصناف المتشابهة بطرق مختلفة. ويكفي أن ننظر إلى تقسيم الأفعال لنلاحظ هذا الأمر؛ إذ إن تقسيمها إلى ماض ومضارع وأمر لا يجري ضمن نسق واحد، فالماضي يشير إلى الزمن، والمضارع يشير إلى ما يشبه الاسم فيه وهو قبول الإعراب، والأمر يشير إلى المعنى المتحصل من استخدامه. وهكذا نجد أن كل واحد من أنواع الفعل الثلاثة تم اختياره وفق منهجية مختلفة عن تلك التي اختير بها الفعل الآخر⁽¹⁾.

ب- بناء المصطلحات في العصر الحديث:

المصطلحات في العصر الحديث لها شأن آخر غير شأنها في العصور الماضية لأسباب عدة؛ أبرزها اختلاف الظروف المحيطة بصياغة المصطلح، وانتقال العمل المصطلحي من حال الارتجال إلى حال التنظير والدراسة، ووضع الأطر التي تخضع لها المصطلحات، وتحديد الروابط بين اللفظ والمفهوم. وثمة أمر آخر يواجه علومنا العربية؛ لا يقل أثره عما سبق، وهو أن جل العلوم الحديثة في

1- هذه الآليات هي وجهة نظر بعض العلماء وليست بالضرورة أن تكون مقاييس قاعدية ثابتة يجب التقيد بها وقد تكون هناك اجتهادات أخرى للباحثين والمجال في ذلك مفتوح، ينظر: مقال للدكتور: مصطفى طاهر الحيدارة: مصطلحاتنا اللغوية بين التعريب والتغريب، كلية المعلمين - حائل - السعودية

العربية وافدة، فأصبحت العربية متلقية لما ينتجه الآخرون، بدلاً من أن تكون رافدة له. ولذا ظهرت مشكلات عدة مصاحبة لوضع المصطلحات العربية، وأصبحت القضية قضية حضارة، لا قضية مصطلحات فقط. فتعالت الأصوات منادية بما تراه مناسباً في التعامل مع هذا السيل الجارف من المصطلحات الوافدة.

على الرغم من ظهور التنظير للمصطلحات في العصر الحديث، فإن العمل المصطلحي العربي ما زال يراوح حول الجهود الفردية التي يقوم بها عدد من العلماء الذين أخذوا على عاتقهم جانباً من جوانب القضية. فظهر عدد من المعاجم والأبحاث التي تتضمن عدداً من المصطلحات المترجمة أو المنقولة. وعلى الرغم من بذل هؤلاء جهوداً مشكورة؛ كلٌّ في مجاله فإن هذه الجهود تحتاج إلى توحيد، ووجود مظلة يعملون تحتها، وإلا فإن ما يضعه عالم في المغرب ربما لا يروق لعالم في المشرق، فبيدأ هذا الأخير رحلته من البداية، بدلاً من مواصلة ما كان بدأ به غيره.

مما تقدم نرى أن المصطلحات العربية الحديثة ما زالت تعاني من مشكلات متعددة، شأنها في ذلك شأن كثير من القضايا الشائكة التي تعاني منها اللغة العربية، والأمة بأسرها في هذا العصر.

ونتوقف هنا لنلقي نظرة على وسائل بناء المصطلح في العصر الحديث وما يواجه هذه الوسائل من عقبات، وما يعترضها من نقص وخلل. وإذا تجاوزنا الوسائل القديمة في بناء المصطلحات من مجاز ونقل بصورها المختلفة، فإننا نجد الأصوات تتعالى منادية بضرورة مواجهة هذا السيل المنهمر من المصطلحات الوافدة. فيقترح بعض العلماء إبقاء المصطلحات الأجنبية على حالها إلى أن نختار لها مصطلحاً قادراً على حمل المفهوم، وبعضهم يقترح منهجيات للتعامل مع السوابق واللواحق في المصطلحات الأجنبية، باعتبار أن هذا الأمر من شأنه أن يبسرّ على المتعاملين اختيار المقابلات العربية للمصطلحات الأجنبية ببسر وسهولة. وثمة من يدعو إلى منهجية تتضمن إدخال الصيغ الأجنبية، واختيار جذور عربية لوضعها في هذه

القوالب، واشتقاق مصطلحات من جذور عربية وفق قوالب أعجمية. وسنتوقف هنا عند أربع من وسائل البناء الحديثة، وهذه الوسائل هي:

أولاً: إدخال المصطلحات الأجنبية بصورتها الأجنبية التي وردت عليها في لغتها الأم، وكتابتها بحروف عربية، وظهرت مثل هذه الصورة مع بدايات العمل اللغوي الحديث، وظهرت نتيجة لذلك مصطلحات يصعب قبولها في العربية، نحو مصطلح (كوجيتو ديكارت)⁽¹⁾، ومصطلح (سيركومفلكس). ومثل هذا الصنيع ربما أمكن تكلف قبوله في أسماء الأجهزة، نحو (الأوسيلوغراف) و(الكيموغراف)، وفي أسماء العلماء نحو (برجشتراسر) و(بروكلمان)، ولكن يصعب قبول ذلك في غيره من المصطلحات اللغوية والعلمية.

ثانياً: ترجمة جزء من التركيب المكون للمصطلح، واقتراض جزء منه، نحو اختيار وانتقاء مصطلح وحدات فونيماتية في مقابل (Units Phonematic) والجملة الفونولوجية في مقابل، (Phonological Sentence) ومصطلح (المحتوى الفونيمي) في مقابل (Phonemec Content)⁽²⁾.

ثالثاً: ترجمة جذر الكلمة مع إبقاء الصيغة الأجنبية على حالها؛ نحو صوتيم، وصر فيم، وصر فيم، ودلاليم. وهذه الطريقة هي ما يسميها يوسف غازي (طريقة التهجين) بقوله: "ولقد اعتمدنا شخصياً طريقة التهجين هذه في تعريب بعض مصطلحات كتاب فردينان ديسوسير.. فترجمنا (Phonème) المركبة من (Phon) الصوت، ومن اللاحق (éme) بصويتيم، و(morpheme) بـ صر فيم و(Semanteme) بـ دلاليم، و(vertueme) بفرضيم⁽³⁾.

رابعاً: اختيار مقابلات عربية للمصطلحات الأجنبية، وكتابة المصطلحات الأجنبية إزاءها بحروف عربية، وقد يكتب المصطلح بجانب ذلك بلغته الأم، نحو ما نجده

1- علي زوين: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، 1986، ص:43.

2- انظر: أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، القاهرة، عالم الكتب، ط3، 1985، ص:368-369.

3- يوسف غازي: مدخل إلى الأسنة، دمشق، منشورات العالم العربي الجامعية، ط1، (1985م)، ص:193.

عند علي عبد الواحد وافي، فما هو يتحدث عن فروع علم اللغة بقوله: « وهي الفونيتيك (phonetique) أو دراسة الأصوات، والديالكتوجيا (Dialectologie) أو دراسة اللهجات العامية، والسيكولوجيا اللغوية (Psychologie Linguistique) أو علم النفس اللغوي، وهو دراسة العلاقات بين الظواهر اللغوية والظواهر النفسية بمختلف أنواعها، وبيان أثر كل منها في الآخر، والسيمنتيك (Semantique) أو دراسة اللغة من ناحية الدلالة»⁽¹⁾.

وإذا أعدنا النظر في هذه الوسائل وجدنا أنها في معظمها تمثل صورة من صور التغريب للمصطلح العربي، ولا تتفق مع نزعة المحافظة على كيان اللغة العربية واستقلاليتها، وتمثل جانباً من جوانب التبعية التي تعيشها الأمة في حاضرها. وإن كانت الصورة الرابعة هي أقربها إلى روح العربية، ومرحلة يمكن تقبلها ريثما يتييسر إيجاد المصطلح العربي البديل؛ إضافة لما تمثله هذه المرحلة من تواصل مع الحضارات الأخرى دون التكرار لهويتنا ولغتنا.

يمثل اقتراض المصطلحات بلغتها الأجنبية، دون البحث عن مقابل عربي لها تقصيراً واضحاً من أولئك الذين يعتمدون هذا الأسلوب؛ إذ إنهم يريحون أنفسهم من عناء البحث، بدعوى عدم قدرة العربية على توفير المقابلات.

ولا تقل تلك الصورة التي تمزج بين العربية والأجنبية في المصطلحات خطورة عن تلك التي تعتمد على نقل المصطلحات الأجنبية؛ ذلك أن الصورة الأولى قد تدعو الغيورين للبحث عن مقابل يستسيغه المتخصصون، أما هذه الصورة فإنها قد تدخل من الضيم على اللغة ما يجعل المستخدمين يرضونه، ويبتعدون عن مجرد التفكير ببديل يحل مكانه.

وربما كان التهجين أشدها خطورة لما يمثله من تجاهل لإمكانات العربية الحقيقية، وتضليل للمستخدمين؛ يؤيد هذا التصور أن اللغات العالمية تشترك في معظم الأصوات، ولكنها تختلف في الصيغ والمعاني التي تحتلها الصيغ؛

1- علي عبد الواحد وافي: علم اللغة، القاهرة، دار نهضة مصر، ط9، ص:59.

فالأصوات التي تستخدمها الإنجليزية مثلاً تستخدم العربية أغلبها، فلماذا نترك صيغ العربية وقوالبها - التي أحصاها ابن القطاع فبلغت 1200 صيغة - ونبحث عن صيغ أجنبية، وهل عجزت هذه الكثرة الكاثرة من الصيغ العربية عن تأدية المعنى المراد حتى نبحث عن صيغ أعجمية تدخل الضير والضرر على لغتنا.

إننا ونحن نتطلع إلى التواصل مع الحضارات الأخرى، وما تنتجه من علوم ينبغي أن لا نتنكر للغة اختارها الله جل وعلا لتكون الحامل للكتاب الذي تعهد سبحانه بحفظه، فحفظها بحفظ كتابه فيها، ولا أقل من أن يسعى أبناؤها للقيام بهذه المهمة الجليلة.

ج- شروط بناء المصطلح:

صياغة المصطلح لها ثوابت وضوابط معرفية مطلقة ومعايير لغوية عامة كما أن لها مسالك نوعية خاصة، ومجموع ذلك يمثل الآليات التي تقتضيها المصطلحات العلمية والفنية⁽¹⁾.

فأما الثوابت المعرفية فتتصل بطبيعة العلاقة المعقودة بين كل فن أو علم ومنظومته الاصطلاحية التي يشتغل بها، في حين أن القواعد اللغوية تقتضي تحديد درجة تعقد اللغة ومستوى صياغتها التي نتحدث عن قضية المصطلح ضمن حقلها وما تختص به من فروق نوعية تنعكس ضرورة على آليات صياغة الألفاظ ضمنها، في حين أن المسالك النوعية يقصد بها مجال الاختصاص المعرفي الذي نتناول آلياته الاصطلاحية بالدرس، ومن ثم تظهر فروق بين هذه الحقول في مجال التوظيف المصطلحي، على الرغم من وجود قواسم مشتركة تحكم موضوع توليد الألفاظ الدالة على المفاهيم الدقيقة داخل اللسان البشري، وهذا بدهي على اعتبار أننا لا نعدم خصوصية كل مجال وتفرد العلم، فهناك وضعيات لغوية عابرة لكل مجال، وهناك وضعيات خاصة تميز كل فن عن غيره، ذلك أن لكل فن خصوصية قد تأتي على الأعراف اللغوية بكثير من المؤلفات التي تختلف من حقل علمي

1 - ينظر: عبد السلام المسدي: المصطلح النقدي، ص: 10.

لآخر⁽¹⁾، وجماع ما يأتلف لدى أهل الاختصاص من ثوابت معرفيّة ومقاييس لغويّة يشكّل الأرضيّة التي من خلالها ينحت الباحث نموذج الاصطلاح، ولعلّ الناظر يجد أنّ لمثل هذه العمليّة شروطاً لا بدّ من تحقّقها لتمرّ المفردة أو العبارة من وضع الاشتراك اللغوي إلى وضع المواضع الخاصّة، وهي:

- **نشاط وحيوية البيئة التي ينشأ فيها المصطلح:** يرتبط إنتاج المصطلح داخل بيئة مجتمعيّة بإنتاج المعرفة بالحيوية، ومن ثمّ تنتفي فرضيّة العجز اللغوي، والعكس صحيح فخضوع المجتمع للآخر في مجال تأسيس مجالات معرفيّة تعني بدهاءة الوقوع ضمن فقر معرفيّ وتوابعه اللغويّة فـ " الثقافة - أيّة ثقافة كانت - تنهض ويستقيم صرحها، كلّما أفلحت في إنتاج معرفة خصبة وجديدة، توجّهها اصطلاحات واضحة الدلالة. ومن المؤكّد، أنّ ثقافة أيّة أمة من الأمم، تقوّض و تتلاشى لأسباب كثيرة، منها: اضطراب دلالة المصطلح، وتعارض المفاهيم، وشيوع الغموض والقلق في التراسل العلمي بين مصادر المعرفة، و جهات التلقي...⁽²⁾

- **ميلاد المصطلح لا يجب أن يعكس العلاقة بين فكرة أو مفهوم في الذهن مع وحدة لسانیّة مع إغفال الوضع الحضاري الذي يعكسه المصطلح،** بمعنى أنّ ظواهر الكون ومظاهره لا بدّ أن تحفز الذهن وتثير لديه الإشكاليّات والتساؤلات « فتحت ضغط الحاجة تتولّد الوسيلة، وفي خضمّ هذه الصيرورة الحضاريّة تقف اللغة - أي لغة كانت - مشدودة إلى قطبين متجاذبين: يدفعها الأوّل بضغط المواكبة ويشدّها الثاني بوزاع حبّ البقاء أنّقاء للانسلاخ الماحي لرسمها، وليس ما نسمّيه بحياة اللغة سوى قدرتها على ترشيح التعادليّة القابضة على طرفيّ الجذب: أن تتلاءم مع الاقتضاءات المتجدّدة وأن تبقى على بناها التي بها جوهرها وفيها هويّتها⁽³⁾

1 - عبد السلام المسدي: المصطلح النقدي، ص: 10.

2 - ينظر: إبراهيم عبد الله: الثقافة العربيّة والمرجعيّات المستعارة (تداخل الأنساق و المفاهيم و رهانات العولمة)، المركز الثقافي العربي، بيروت-لبنان، ط1 (1999م)، ص: 96.

3 - عبد السلام المسدي: المصطلح النقدي، ص: 13.

- **البعد عن التعصّب:** أيا كان نوعه، نظرا إلى أنه يؤزم الخريطة المصطلحاتية خاصة إذا وجد مصطلح آخر أكثر دلالة وبيانا وإجرائية منه.

- **ضرورة وجود العلاقة بين الدلالة اللغوية للعبارة أو المفردة والمعنى الاصطلاحي** وإلا تحولنا إلى مسألة الرمز، والاصطلاح بالرمز أمر آخر غير الاصطلاح باللفظ، فهناك وشيجة ما من المعنى اللغوي إلى المعنى الاصطلاحي، غير تلك التي تميّز المفردة في وضعها الجديد⁽¹⁾، من حيث تخصيص دلالتها ضمن الحقل المعرفي التي انتخبها لتحمل على حروفها دلالة غير تلك المشاعة في الحقل التداولي العام، « ولو تتبعنا منظومة المصطلحات في كل فنّ من فنون المعرفة وقارناها بالرصيد القاموسي المشترك في اللغة لوجدنا مجموعة كبيرة يتداولها الناس بمعانيها الشائعة ويتداولها المختصّون بمفاهيم محدّدة، فنتفصل هذه عن تلك في الدلالة انفصالا لا يبقى معه إلا التواتر في الشكل الأدائي⁽²⁾ » أي نعود إلى تسمية المسدّي وهي المواضع المضاعفة أو التحول إلى اصطلاح داخل الاصطلاح، عبر التحول بالعبارة أو المفردة من وضع العرف العام للألفاظ إلى وضع الاصطلاح الخاص. وعليه فإنّ الوسائل والأدوات لا بدّ أن تخرج اللفظ عن معناه اللغوي، فإن لم يخرج عن معناه اللغوي فليس بمصطلح، فكلمة حبل أو مشط أو ما شابههما ليست بمصطلحات حيث إنّ وضعها بإزاء معانيها من وضع اللغة ولم تخرج عن هذا الوضع إلى معنى جديد.⁽³⁾

- **إقرار علماء الاختصاص للمصطلح،** ليغدو مقبولا وأخذا بالشرعية الإجرائية التداولية، وقبل إقراره يكون مجرد اقتراح أو مشروع مصطلح، أي في الوضع الوسط بين اللفظ اللغوي والمصطلح.

1 - محمد علي جمعة: المصطلح الأصولي ومشكلة المفاهيم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي - القاهرة، ط1، (1417 هـ - 1996 م)، ص: 18 - 19.

2 - المرجع السابق، ص: 14.

3 - محمد علي جمعة: المصطلح الأصولي ومشكلة المفاهيم، ص: 35.

- اختيار اللفظة المفردة - في العادة - لسهولة استعمالها وحفظها، غير أنّ هذا لا يعني وجوب التعسّف في التزام هذا المبدأ فثمة الكثير من المصطلحات المؤلفة من كلمتين فأكثر، وهو أمر تستدعيه الضرورة العلميّة في أحيان كثيرة⁽¹⁾.

- الابتعاد عن الألفاظ الغريبة والشاذة، لضمان رواج المصطلح وتداوله وتجنّب الكساد الإجرائي الذي قد ينتهي إلى تلاشي المصطلح، فلا يختار المهقعة مع وجود المكواة أو الكاوية ولا النقاخ للماء الصافي مع إمكان استعمال القراح، بمعنى ضرورة توفير الضوابط المتعلقة بدلالات اللغة في وظيفتها الإبلاغيّة وكذلك في مستوى مفاهيم المعارف في وظائفها النوعيّة من حيث هي خطاب علميّ يقتضي الوضوح والدقّة و"معلوم أنّ للاستخدام اللغوي نواميسه التي تتحدّد بضوابط التركيب والإيقاع ومقوّمات الرشاقة، وهو ضرب من البحث قائم بذاته عند أهل الدراية لا يستوفي حقه إلاّ بتعاقد المعرفة اللسانيّة و الخبرة الأسلوبية حتّى يتحقّق الانسجام بين مخارج الحروف وبنية الحركات وتركيبه المقاطع، ثمّ يتطابق الكلّ مع خصائص الإيحاء الدلالي⁽²⁾

- كذلك يدخل في هذه المسألة قولهم (لا مشاحة في الاصطلاح) أي لا منازعة، لأنّ هناك فرق بين الخلاف اللفظي بين فريقين وهو الذي لو اطّلع كلّ فريق على معنى ما يقوله الآخر لقال به، فالمعنى واحد والخلاف راجع للفظ، وعلى هذا لا يترتّب على الخلاف اللفظي أثر، وبين الخلاف المعنوي، والذي لو اطّلع كلّ فريق على معنى ما يقوله الآخر لم يقل به فيترتّب على ذلك الخلاف أثر، فالخلاف اللفظي يقال فيه لا مشاحة في الاصطلاح.⁽³⁾

- أن يشتهر ذلك المعنى و ظهر بحيث ينصرف الذهن إليه عند إطلاق اللفظ، فإن لم يشتهر لم يؤدّ وظيفته التي من أجلها كانت عمليّة الاصطلاح، وهي أن يصل

1 - جميل عيسى الملائكة: تقييس المصطلح و توحيدده في العالم العربي: المبادئ و الطرائق، مقال بـ: مجلّة المجمع العلمي العراقي، عدد 41 (1410هـ - 1990م)، ص: 54.

2 - عبد السلام المسدي: المصطلح النقدي، ص: 14.

3 - محمّد علي جمعة: المصطلح الأصولي ومشكلة المفاهيم، ص: 19.

المعنى إلى ذهن السامع من أقرب طريق للاستغناء به عن الإطالة في الكلام، وهذا الاشتهار هو ما يمكن أن نسميه القبول العام من أهل الفن.⁽¹⁾

د - أهمية وفوائد دراسة المصطلح:

لمعرفة المصطلح أهمية بالغة وضرورة ملحة لفهم المعاني والمراد بها، وربما تجد الرجلين يتشاحنا ويتجادلا على مصطلح ما وهما في الحقيقة متفقان على المعنى المراد، الذي يريد كل منهما أن يظهره.

فمعرفة معاني المصطلحات يبسر لك الوقوف على مراد المتكلم، ويجنبك الوقوع في الخلاف والشقاق المتوهم الذي لا حقيقة له، ويختصر لك المسافة الطويلة في الفهم وإدراك المعنى.

فالمصطلحات إذاً ضرورة علمية، ووسيلة مهمة من وسائل التعليم ونقل المعلومات، وقد أصبحت لضرورتها تمثل جزءاً مهماً في المناهج العلمية، مساعدة على حسن الأداء، ودقة الدلالة، وسرعة الاستحضار، وتقريب المسافة، وتوفير المجهود في الإلمام بالمتون.

وفيهما جمع أفكار المتعلمين على دلالات واضحة، وهي ملتقى العلماء في تناقل أفكارهم ومداركها، وعلى أساسها يقوم التأليف والنشر.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان أهمية معرفة المراد بالمصطلح والوقوف عليه: « فإن من قرأ كتب النحو أو الطب أو غيرها لا بد أن يعرف مراد أصحابها بتلك الأسماء ويعرف مرادهم بالكلام المؤلف وكذلك من قرأ كتب الفقه والكلام والفلسفة وغير ذلك وهذه الحدود معرفتها من الدين في كل لفظ هو في كتاب الله تعالى وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ثم قد تكون معرفتها فرض عين، وقد تكون فرض كفاية، ولهذا ذم الله تعالى من لم يعرف هذه الحدود بقوله: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ

1 - محمد علي جمعة: المصطلح الأصولي ومشكلة المفاهيم، ص: 36.

حَكِيمٌ ﴿١﴾ والذي أنزله على رسوله - صلى الله عليه وسلم - فيه ما قد يكون الاسم غريباً بالنسبة إلى المستمع كلفظ ضيزى وقسورة وعسعس وأمثال ذلك (٢). وبالجملة فالحاجة إلى معرفة هذه الحدود ماسة لكل أمة وفي كل لغة فان معرفتها من ضرورة التخاطب الذي هو النطق الذي لا بد منه لبني آدم» (٣).

والمصطلحات تدل دلالة واضحة على أصالة العلم وتاريخه المشرق وهي غالباً تكون مرتبطة بهذا النشأة ارتباطاً وثيقاً لما لها من الدلالة عليه.

يقول الشيخ بكر أبو زيد: « إن تاريخ العلوم تاريخ لمصطلحاتها، وأنه لا حياة لعلم بدونها، وعلمية الاصطلاح في العلوم كعلمية الاسم على المولود في إيضاح المقصود، وتحديد المفهوم.

وقد علم أن مصطلحات كل علم توجد معه أو بعده بالضرورة، فيسعى العلماء حين وجود الشيء إلى تسميته فتتم على أساس من العلاقة بين اللغة والاصطلاح» (٤).

« إن أهمية المصطلح، وقضية الوضوح في دلالاته، أمر ذو أهمية بالغة إلى درجة أصبح معها كثير من المؤلفين يفردون صفحات في مؤلفاتهم لمعجم المصطلحات المستعملة والدلالات التي أراوها من استعمال هذه المصطلحات، وهي طريقة محمودة فكرياً وثقافياً حتى يتحقق الوضوح ولا يحمل الكلام أكثر مما يحتمل» (٥).

1 - التوبة: 57.

2 - ضيزى: جائرة، قسورة: أسد، عسعس: أقبل بظلامه أو أدير. ينظر: تفسير الجلالين على الترتيب: 701-778 - 794 دار الحديث - القاهرة ، ط1.

3 - ينظر: ابن تيمية: الرد على المنطقيين، دار المعرفة - بيروت، ص: 49 - 51، بتصرف

4 - الشيخ بكر أبو زيد: المواضع في الاصطلاح، ط1 ، وزارة الإعلام السعودية (1405هـ)، ص: 148.

5 - محسن عبد الحميد: المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري، ط1 (1404هـ)، ص: 13،

7- المصطلح النحوي:

ذكرنا في التعاريف السابقة أن لفظ المصطلح والاصطلاح يرجعان إلى الصلح، وهو الاتفاق بين طرفين أو أكثر على أمر معين يكون مقبولاً عند كل المشتركين في هذا الاتفاق، والاصطلاح في مجال العلوم يراد به اتفاق العلماء في علم معين على كلمات تدل بمفردها على موضوعات معينة من ذلك العلم، بحيث إن ذكرت الكلمة المصطلح عليه عرف الموضوع بكامله، فالمصطلح بمثابة عنوان لموضوع علمي محدد... (1)

والغاية منه تسهيل البحث العلمي واختصار كثير من الكلمات في كلمة واحدة، لئلا يضطر الباحث إلى تكرير كلمات وجمل كثيرة كلما أراد أن يشير إلى الموضوع الذي يمثله المصطلح العلمي..

ولكل علم من العلوم مصطلحاته الخاصة ومجموع هذه المصطلحات بما تدل عليه من موضوعات وبما بينها من ترابط وعلاقات - يكون بناء العلم ومضمونه، وبه قوامه ووجوده، فكل علم من العلوم هو في الحقيقة دراسة لمصطلحاته بدلالاتها وارتباطاتها وتطبيقاتها.

ومن طبائع العلوم أن تمر مصطلحاتها بمراحل حتى تكتمل ويتحدد المراد بها بدقة، وبعض العلوم تستمر المصطلحات في التولد والتكاثر بحسب المستجدات في مجال تلك العلوم وبخاصة في العلوم التجريبية البحتة..

أ- معنى النحو لغة:

إن الحديث عن النحو يدعونا بالضرورة إلى الحديث عن اللغة، لأن النحو علم نشأ في أحضان اللغة وارتبط بها ارتباطاً وثيقاً، وهنا يبرز أمامنا سؤال هام، هو ما هي العلاقة بين النحو واللغة؟ وللإجابة عن هذا السؤال من الضروري أن نعلم أن اللغة تعني اسم الجنس للكلام المنطوق أو المكتوب، وأن النحو يعني العلم الذي يقيد

1 - سبق لنا تعريف المصطلح وأعطينا لذلك جملة من المفاهيم المختلفة وآراء العلماء في هذا الصدد. ينظر: المفاهيم المختلفة للمصطلح في اللغة - من هذا الفصل ص: 22 وما يليها.

ذلك الكلام بقوانين وأحكام خاصة، وكلاهما يعتمد على الآخر، فليس ثمة لغة بلا نحو، ويستحيل أن يقوم نحو بلا لغة. ومن أجل هذه الأسباب وغيرها فإن اللفظ دائماً مرتبط بالمعاني اللغوية ولا يمكن أن ينفصل عنها.

وقد ذُكرت للنحو لغة جملة من المعاني نلخصها فيما يلي (1):

- 1 - **القصْد**: يقال: نحوت نحوك، أي: قصدت قصدك. ونحوت الشيء، إذا أمتته.
- 2 - **التحريف**: يقال: نحنا الشيء ينحاه وينحوه إذا حرفه.
- 3 - **الصرف**: يقال: نحوت بصري إليه، أي: صرفت.
- 4 - **المثل**: تقول: مررت برجل نحوك، أي: مثلك.
- 5 - **المقدار**: تقول: له عندي نحو ألف، أي: مقدار ألف.
- 6 - **الجهة أو الناحية**: تقول: سرت نحو البيت، أي: جهته.
- 7 - **النوع أو القسم**: تقول: هذا على سبعة أنحاء؟ أي: أنواع.
- 8 - **البعض**: تقول: أكلت نحو السمكة، أي: بعضها.

لِلنَّحْوِ سَبْعُ مَعَانٍ قَدْ أَتَتْ لُغَةً
جَمَعْتُهَا ضِمْنَ بَيْتٍ مُفْرَدٍ كَمَلًا
صَدٌّ وَمِثْلٌ وَمِقْدَارٌ وَنَاحِيَةٌ
نَوْعٌ وَبَعْضٌ وَحَرْفٌ فَاحْفَظِ الْمَثَلَا

ويلاحظ أن النحاة لم يذكروا المعنى الثالث، ولذا عدوا المعاني اللغوية سبعة نظماً الداودي شعراً بقوله (2):

وأظهر معاني النحو لغة وأكثرها تداولاً هو (القصْد)، وهو أوفى المعاني اللغوية بالمعنى الاصطلاحي في رأي جماعة من العلماء.

1 - ابن منظور: لسان العرب، مادة (نحا) -/ ابن عقيل: حاشية الخصري على شرح ابن عقيل، دار الفكر
دت، ط، ص: 10.

2 - ابن عقيل: حاشية الخصري على شرح ابن عقيل، ص: 10.

ب- المعنى الاصطلاحي للنحو العربي:

اختلف الدارسون إلى اللغة العربية في المعنى الحقيقي للنحو العربي باعتباره يتضارب نحو مجالين اثنين هما مصطلح " النحو " و مصطلح " الإعراب "، حيث أن النظرة الشائعة إلى النحو ترى أنه ما هو إلا عملية تطبيقية تتم على مستوى أو آخر الألفاظ و أن مهمته تقتصر على صحة التراكيب من الناحية الإعرابية و أنه مجرد مراعاة للحركات و السكّنات و استعمال الحروف، و معرفة لمواضعها المقتضية لها، و هذه النظرة كثيرا ما يستعمل أصحابها مصطلح الإعراب في محل مصطلح النحو لاعتقادهم أنهما شيء واحد فأصبح النحو بذلك مقصورا على الإعراب⁽¹⁾.

لكن إذا سلمنا بهذا الرأي، فإن النحو سيكون مجرد عملية تتم على المستوى الخارجي للغة و تراكيبها، فيكون إعراب الكلمة بمراعاة توفر شروط معينة هي موضعها من السياق و حركتها الإعرابية، كل هذا ليس ما يستتبط بالفكر و العقل، إذن فكيف لنا الصبغة العقلية في النحو العربي؟

هذه النظرة السابقة الذكر إنما تعتبر إجحافا في حق النحو و إنقاصا من قيمته الحقيقية و تحريفا لوجهته وقتلا لجوهره، إذ أن الحركة الإعرابية ما هي إلا جانب واحد من جوانب النحو و أن الإعراب عنصر من عناصر النحو، فالنحو كل والإعراب بعض من هذا الكل ولو كان النحو هو الإعراب لكانت اللغات غير المعربة، كالإنكليزية مثلا لا يوجد بها نحو.

غير أن اقتصار المتأخرين في تعريفهم للنحو على أنه « يعرض كاتبه مجموعة من القواعد و القوانين التي تتعلق بالحركة الإعرابية و تخريجها بطريقة حديثة لتسيير تعلمها، تأخذ النحو يعني عند الدارسين إعراب الكلمات. في الجمل

1 - احمد سليمان، ظاهرة الإعراب في النحو العربي و تطبيقها في القرآن الكريم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر (1983)، ص 20.

والتفنن في تخريج الحركة لا عامل لها في الجملة أو يتأولون و إن لم تكن لتلك
الجملة معنى»⁽¹⁾.

وهذا فعلا ما فعله الدكتور " تمام حسان " حيث أنشأ نسقا و نطقا هوائيا غفلا
من كل معنى ثم قام بإعرابه وهو يقول: « إننا نستطيع أن نعرب كلمات لا توجد في
المعجم و ذلك من خلال المعنى الوظيفي، كما يسميه و لعل أهم ما ترتب عن هذا
الخطأ لدى دارسي العربية أنهم أخذوا ينظرون إلى النحو على أنه جانب قاعدي لا
جدوى منه أو لا خطر له في فهم بناء النصوص ثم تدرج الأمر إلى النظر إليه على
انه قيد ثقيل على المتكلم و هذا القيد يجب التخلص منه »⁽²⁾. كما تدعو الكثير من
المدارس الأدبية الحديثة. حيث تعتبر النحو بقواعده عائقا أمام التعبير عن التجربة
الشعرية و حاجزا أمام التدفق الشعوري.

ولا بأس أن نرى في ذلك لأحد قدمات النحاة في تأليف خاص: « بعد أن كان
مقصورا على التراكيب و صحة الإعراب في نظر كثير من النحويين على
الأقل»⁽³⁾

" فعبد القاهر الجرجاني " لا يفهم من النحو الإعراب « ذلك أن العلم بالإعراب
مشترك بين العرب كلهم و ليس مما يستتبط بالفكر و يستعان عليه بالرؤية، فليس
أحدهم بين بأن إعراب الفاعل الرفع، أو المفعول النصب، و المضاف إليه الجر
بأعلم من غيره، و لا ذاك المفعول مما يحتاجون فيه حدة ذهن و قوة خاطر، إنما
الذي دفع الحاجة فيه إلى العلم بما يوجب الفاعلية للشيء... و ليس يكون هذا علما
بالإعراب و لكن الوصف الموجب بالإعراب »⁽⁴⁾، فالنحو في نظر الجرجاني

1 - خليل أحمد عمارة: في نحو اللغة و تراكيبيها، عالم المعرفة جدة المملكة العربية السعودية ط1، (1984)،
ص 58.

2 - محمد حماسة عبد اللطيف، النحو و الدلالة، منشورات دار العلوم القاهرة، ط1، 1983، ص:86.

3 - إبراهيم سلامة: بلاغة أرسطو بين العرب و اليونان و المكتبة الأنجلو مصرية، ط2، دت، ص:367.

4 - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز. تح/د محمد التانجي دار الكتاب العربي، ط1، 1995، ص:60.

لايهدف إلى وضع فاعلية و مفعولية إنما يهدف إلى موجبهما و هنا إشارة إلى حضور العقل في الدرس النحويّ.

وهذا ما قرره في غير ما موضع « لسنا في ذكر تقويم اللسان و التحرز من اللحن و زيغ الإعراب...وإنما نحن في أمور تترك بالفكر اللطيفة، و دقائق يوصل إليها بثقاب الفهم »⁽¹⁾، ويقول في موضع آخر « واعلم أنني لست أقول: إن الفكر لايتفعل بمعان الكلم المفردة أصلاً، و لكني أقول: أنه لا يتعلق بها مجردة من معاني النحو، ومنطوقات بها على وجه لا يتأتى معه تقدير معاني النحو و توخيها فيها كالذي أريتك »⁽²⁾

إضافة إلى ذلك، هنالك خطأ آخر و هو اعتبار أن النحو تقتصر دراسته في حدود الألفاظ، وأنه لا يعني بالمعنى، إلا أن النحويين ينكرون هذا، فهم يراعون المعاني قبل مراعاة الألفاظ، وأن الألفاظ نفسها إذا ترتبت ترتيباً خاصاً مطابقاً لقواعد النحو، حفظ المعنى، بل أن المعنى هو الذي يملئ هذا الترتيب و كان النحويون يقدرون للمعاني قيمتها ويحاولون حفظ المعنى، بل أن المعنى هو الذي يملئ هذا الترتيب وكان النحويون يقدرون لمعاني قيمتها و يحاولون إرضاءها بطرق مختلفة من وجوه التصرف.

ومما يؤكد اعتبار تعامل النحو مع المعنى، أن ظاهرة الإعراب تعتمد أساساً على مراعاة المعنى، حيث أجمع النحاة العرب على أن " الإعراب فرع المعنى " فهذا " ابن جني " (ت 392 هـ) يهيب للنحويين أن يتركوا المعنى على ما هو عليه و أن يقصروا محاولاتهم على أوجه الإعراب الملائمة في غير مساس بالمعنى نفسه: « فإن أمكن أن يكون تقدير الإعراب على سمة تفسير المعنى فهو بالأغلبية، وإن كان تقدير الإعراب مخالفاً لتفسير المعنى على ما هو عليه و صححت طريق الإعراب »⁽³⁾

1 - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 91

2 - المصدر السابق، ص: 40.

3 - ابن جني أبو الفتح: الخصائص تح: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، ص: 292.

أما " عبد القاهر " فيرى أن: « الألفاظ معلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها و أن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، و أنه المعيار الذي يبين نقصان الكلام ورجحانه حتى يعرض عليه و المقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه و لا ينكر ذلك إلا من نكر حسه، و إلا من غالط في الحقائق نفسه أي للإعراب الدور الكبير في تحديد المعنى و إبرازه، و كذا تجليه وفق ما يقتضيه العقل لأنه مقياس تقيس به صحيح الكلام من سقيمه و لانقصد بصحيح الكلام من سقيمه إلا النظر إلى المعنى و تناسبه أو تنافره مع العقل صحيح أن النحو يبحث عن اللفظ و أن هدفه هو صحة التركيب إلا انه إضافة إلى ذلك يرمي إلى تصحيح المعاني و إذا أراد صحة التراكيب فلدلالة على المعنى»⁽¹⁾.

ج- علاقة المصطلح النحوي بالمعنى:

للمصطلح النحوي أهمية بالغة في اللغة العربية وقد أدركها علماء اللغة مبكرا ومنذ التباكير الأولى لبداية نشأة النحو لا سيما حينما ظهر علم المعاجم اللغوية والتأليف فيه، لذا يقول أبو الفرج محمد أحمد: « وكثير من اللغويين يعتقدون صلة دراسات النحو بين المعنى ويجعلون دراسة اللغة في النحو»⁽²⁾، وبعد هذا التقطن بدأ العلماء في وضع الكثير من المصطلحات النحوية بشكل خاص والمصطلحات العلمية العامة لمختلف الصناعات لإظهار الفروق بين المعاني في المصطلح، وإبعاد المتكلم عن اللحن.

وقد ارتكز العلماء في الربط بين المصطلح والنحو من خلال دلالة المعنى المعجمي أو السياقي على المعنى الصناعي لذا وضع مثلا ابن منظور في معجمه لسان العرب المصطلحات النحوية مرتبطة ارتباطا دائما بالمعاني اللغوية والمعجمية والسياقية فتجد مثلا يعطي المعنى اللغوي ثم المعاني السياقية فالمعنى الاصطلاحي

1 - عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، تح محمد رشيد رضا، دار المعارف، بيروت، لبنان، (1982م)، ص: 40.

2- محمد أبو الفرج: المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، دار النهضة العربية، ط1، (1966م)، ص: 13.

لك النحويّ ومثال ذلك ما ذكره ابن منظور عن مصطلح الخفض والذي هو مصطلح ورد عند الكوفيين أكثر من البصريين: « فقد أورد الفراء في معانيه (الخفض) ويريد به ما يريد به البصريون بالجر قال ابن يعيش: الجر من عبارات البصريين والخفض من عبارات الكوفيين، وكان غير دقيق فيما قاله، لأن الخليل استعمل هذا المصطلح، استخدم ابن منظور هذا المصطلح أيضاً، قال: (والمعقب: المتبع حقا له يسترده... قال لبيد يصف حماراً وأتاته:

حَتَّى تَهْجُرَ فِي الرِّوَا حِ وَ هَاجَهَا طَلَبَ الْمُعَقَّبَ حَقَّهُ الْمَظْلُومُ

وهذا البيت استشهد به الجوهري على قوله: عقب في الأمر إذا تردد في طلبه مجدا وأنشده، وقال: رفع المظلوم وهو نعت للمعقب على المعنى والمعقب خفض في اللفظ ومعناه أنه فاعل).⁽¹⁾

وقد تعرض الجاحظ أيضاً في كتابه لبيان والتبيين الكثير من الأمثلة التي تبرز لنا المعنى القائم بين المصطلح النحويّ والمعاني اللغوية للفظه مثل قوله في باب الظرف: «الظرف وعاء كل شيء، حتى أن الإبريق ظرف لما فيه الليث، والصفات في الكلام التي تكون مواضع لغيرها تسمى ظرفاً لما فيه وهو موضع لغيره. وقال غيره: الخليل يسميها ظروفًا والكسائي يسميها المحال، والفراء يسميها الصفات، والمعنى واحد...»⁽²⁾

والسياق من أهم العناصر التي يعتمد النحو عليها في تشكيل المصطلح النحويّ فهو مشكل له من خلال ارتباط معانيه داخل الجملة ما يعرف عند العلماء بمصطلح التركيب، فالإعراب النحويّ الذي هو الدعامة الأساسية في علم النحو له صلة وثيقة بالتركيب الذي يختص بدراسة العلاقات داخل نظام الجملة، انطلاقاً من حركة عناصرها وانسجامها مع السياق الذي وضعت فيه في كلام تام ومفيد.

1 - ينظر: علي أكرم قاسم و حسن أسعد محمد: المصطلح النحو الفرائي الكوفي في لسان العرب: مقال منشور في مجلة (دراسات تربوية)، العدد: 07 (تموز: 2009)، نينوى - العراق، ص: 79.

2 - أبو عثمان عمرو بن بحر(الجاحظ): البيان التبيين، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة (1948م)، ج1، ص: 97.

ومن أوائل العلماء الذين أدركوا هذا المصطلح هو عبد القاهر الجرجاني وسماه بنظرية النظم وذلك في كتابه الدلائل، ويقصد بالنظم التركيب، هذا ما قصده في قوله: « واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه، أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه سبب ذلك»⁽¹⁾، فعملية النظم عند الجرجاني يعنى بها توخي معاني بين عناصر الكلم وذلك بتلاؤم الأجزاء في الجملة تلاؤم الحروف والحركات في الكلمة الواحدة، فيتضح أنه يقصد بذلك التركيب في الجملة التي هي أهم عناصر النظم عنده.

فحينما تعرض عبد القاهر الجرجاني لهذه النظرية وتحدث عن النظم وعلاقات اللفظ بالمعنى لم يكن يفصد بها غير معنى السياق أي التركيب في المفهوم الحديث، ورأى أنه لا مفاضلة بين الألفاظ خارج السياق، فهي: « لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأن الألفاظ تثبت لها هذه الفضيلة، وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، وأن ترى الكلمة تروك وتؤنسك في موضع ثم تراها بعينك تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر»⁽²⁾

وظل هذا القانون هو المعيار الأساسي في فهم الجملة عند النحاة، ومن ذلك الوقت أصبح التركيب اللغوي يتم من خلال تناسق الدلالات وتلاقي المعاني في صورة لغوية يقبلها العقل، فكان سيبويه مثلاً: أول من استعمل مصطلحي المسند والمسند إليه وهي من أهم العناصر التركيبية للجملة في أبسط مكوناتها، حيث ذكر في كتابه أنه لا يمكن الاستغناء عنهما، كما أنه لا يمكن أن يستغني أحدهما عن الآخر، فالمبتدأ في الجملة يحتاج بالضرورة إلى خبر يخبر عنه، والفعل في الجملة يحتاج إلى فاعل يقوم به، وكل عنصر منهما عمدة في الكلام والتركيب لا تقوم الجملة إلا به وما عداها فهو فضلة يمكن الاستغناء عنه، وليس الغرض منه وضع

1 - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تح: رشيد رضا، دار المعارف - بيروت لبنان (1982م)، ص: 76.

2 - تمام حسان: الأصول، دراسة إستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، النحو - فقه اللغة - البلاغة، دار الشؤون الثقافية العامة - العراق بغداد (1988م)، ص: 138.

الألفاظ بعضها بجانب بعض بشكل يدخل تعقيدا معنويا على الجملة المركبة ويخل بالنظام العام لها؛ بل هو تناسق الألفاظ من حيث المعنى لكي يؤدي معنى سياقي.

وعلى هذا الأساس قام علماء اللغة العربية بإنشاء المصطلح النحويّ عن طريق خضوعه للتفكير المنطقي العقلي مرتبطا بجملة من الآليات التي خضعت له فيما بعد وقد راعوا فيه ارتباط المعاني اللغوية والسياقية بالمعنى الاصطلاحي. لذا سنفتتح هذا البحث بالأصول الأولي لتشكّل المصطلح النحويّ بداية مع ظهور علم النحو.

الفصل الثاني

نشأة المصطلح النحوي والمدرسة البصرية

- توطئة.

أولا - أصول المصطلح النحوي.

- 1- المصطلحات الدالة على النحو في القرآن الكريم.
- 2- المصطلحات الدالة على النحو في الحديث الشريف.
- 3- مصطلحات نحوية عند مفسري القرآن.

ثانيا - تأسيس المصطلحات النحوية قبل سيبويه.

- 1- علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - والمصطلح النحوي.
- 2- مصطلحات أبي الأسود الدؤلي النحوية.
- 3- تلاميذ أبي الأسود الدؤلي والمصطلح النحوي.

ثالثا - المصطلح النحوي عند المدرسة البصرية.

- 1- الخليل بن أحمد الفراهيدي وتشكيل المصطلح النحوي.
- 2- سيبويه والمصطلح النحوي.

أ- مصطلحات دالة على الأسماء.

ب- مصطلحات دالة على الأفعال.

ج- مصطلحات دالة على الحروف.

3- تنوع المصطلح عند سيبويه وتداخله.

توطئة:

اللغة العربية هي لغة العرب نشأت بنشأة أبنائها في قلب جزير العرب، صافية لهم من دون الناس، لا تشويها شائبة اللحن، ولا تختلط بها اللغات الأخرى، وبقيت على هذه الحال طول مدة إقامتهم داخل بلادهم، فاستقلوا بها، واستغنوا بأسواقها التي أقيمت هنا وهناك، فقد كان العرب ينطقون بها سليقة من غير قواعد تعويدية تضبط أصولها، وهي إحدى اللغات السامية وأقربها إلى أصلها. وقد جعل الله أمة الإسلام خير أمة أخرجت للناس قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾⁽¹⁾، بأن أنزل الله من بين ظهرانيها خاتم أنبيائه عربياً وجعل كتابه المبين باللغة العربية، قال تعالى: ﴿ الرَّبُّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ١ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾⁽²⁾ ثم إنه تعالى قد بشرنا بحفظ ذلك الكتاب بقوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾⁽³⁾ وكان هذا الحفظ من أقوى الأسباب التي أدت إلى حفظ العربية فنالت العربية شرف البقاء ببقاء القرآن ولأنه أنزل بالعربية.

ولعل من بين أسباب حفظ اللغة العربية أن قيظ الله لها من العلماء الأجلاء من تقصى حفظها خدمة لها وسعى في دراستها على أوجه مختلفة، ومن أبرز هذه الدراسات هي الدراسة الوصفية للغة العربية عن طريق ظاهرة المشافهة للغة العرب التي لم يخالطها اللحن لا سيما لغة البادية التي هي من أنقى اللغات، كما أن هذا الجمع لم يكن جمعا عشوائيا هكذا إنما ارتكز على قواعد دقيقة في عملية التقصي بمختلف أشكاله.

والدارس للغة العربية يدرك تمام الإدراك عظمتها التي لا تكمن في قواعدها فحسب بل تكمن في الصفات المتميزة بها من كل الجوانب، يقول الدكتور عبد الكريم

1 - آل عمران: 110.

2 - يوسف: 01-02.

3 - الحجر: 09.

اليافي في كتابه: (دراسات فنية في الأدب العربي): «أما مكانة اللغة العربية في اللغات لينبغي أن نعرف أنه لا توجد في القديم ولا في الحديث لغة تضاهيها في المزايا وتحاكيها في الخصائص والفضائل. وليس كلامنا من وحي العاطفة، وإن كنا نُجل العاطفة، ولا هو من قبيل الفخار ولا الحماسة، وإن أصبحنا سائغين لغرض التشجيع في هذا العصر المضرب البيان، ولكن كلامنا مبني على تلمس الصفات الموضوعية.

فاللغة العربية من أقدم اللغات الحية، بل هي أقدمها على الإطلاق، وقدمها هذا يحبوها تراثاً ثرياً ويمهد لها مرونة واسعة ويزودها بتجارب كبيرة.. ولقد نشأت وعاشت واكتملت وعمرت واستمرت الأحقاب الطوال وهي لا تزال في ريعان القوة والنمو، على رغم ما تصادف من صعاب، وما ذلك إلا لأنها تحوي فضائل ضمنية ليست للغات ماتت وانقرضت كاللغة اليونانية واللاتينية وأمثالهما»⁽¹⁾.

إن نزول القرآن عربياً له حكمة بالغة إذ كان لا بُدَّ أن يكون بلغة من اللغات الحية التي يتكلم بها الناس في ذلك العصر (عصر نزول القرآن)، و اللغة العربية كانت إحدى أهم تلك اللغات، ومن بين أهم الحكم التي أنزل الله بها القرآن باللغة العربية نجده في قوله تعالى: ﴿وَأَوْجَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشَفَءٌ ءَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقُرْءَانٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ءَأُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾⁽²⁾.

وحفظ القرآن الكريم هو من أسباب حفظ اللغة العربية - كما ذكرنا سابقاً - وقد جعل الله من أسرار القرآن الكريم في علمه أن جعله أول أصل من أصول النحو العربي متعلق به على أنه النص المقدس الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فلا تشوبه شائبة اللحن ولا التحريف على عكس النصوص الموثقة الأخرى وأصحابها على اختلاف مللها ونحلها.

1 - عبد الكريم اليافي: دراسات فنية في الأدب العربي، مكتبة لبنان ناشرون، ط1 (1996)، ص:7.

2 - فصلت:44.

أولاً - أصول المصطلح النحوي:

وإذ نبدأ حديثنا عن المصطلح النحوي ودلالته اللغوية فيجدر بنا الإشارة إلى القرآن الكريم وعلاقته بالمصطلح النحوي من خلال تساؤل مهم جداً، فهل ورد بعض المصطلحات التي تشير إلى النحو في القرآن الكريم؟ وهل كانت هذه المصطلحات تدل حقا على النحو أم لا؟

1- المصطلحات الدالة على النحو في القرآن الكريم:

في الحقيقة أن الحديث عن المصطلح النحوي في القرآن الكريم يدفعنا إلى التتقيب في معاني القرآن ومختلف التفسيرات التي أولت القرآن من خلال ألفاظه المختلفة والمعجزة، لكن ما وجد من مصطلحات لا تمت للمعاني الدلالية إلى النحو عدا مصطلح واحد يقرب المعنى فقط إلى معاني النحو والدلالة على معانيه وهو:

- مصطلح « اللحن »: وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَتَعْرِفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴾ (1) ومعناه: في نحو كلامهم؛ أي النحو هنا يعني دلالة كلامهم (2)، وقد اتفق معظم علماء التفسير على دلالة هذا المعنى في القرآن فساقوا المعنى على أن اللحن هو القصد من الكلام لذا يرى البغوي (ت 516هـ) أن اللحن هو إزالة الكلام عن جهته: ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ في معناه ومقصده.

واللحن: وجهان صواب وخطأ، فالفعل من الصواب: لحن يلحن لحناً فهو لحن إذا فطن للشيء، ومنه قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: (ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض). والفعل من الخطأ لحن يلحن لحناً فهو لحن والأصل فيه: إزالة الكلام عن جهته.

1 - محمد:30.

2- ينظر: يوخنا مرزا الخامس: موسوعة المصطلح النحوي (من النشأة إلى الاستقرار) ج1، دار الكتب العلمية - بيروت - ط1، (1433هـ-2012م) ص:36.

والمعنى: إنك تعرفهم فيما يعرضون به من تهجين أمرك وأمر المسلمين والاستهزاء بهم، فكان بعد هذا لا يتكلم منافق عند النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا عرفه بقوله، ويستدل بفحوى كلامه على فساد دخيلته.»⁽¹⁾

يتضح من خلال هذا المفهوم أنه لم يتجاوز المعنى اللغوي للمصطلح أما المعنى الاصطلاحي له فلا علاقة له على الإطلاق بالنحو وعليه فإن معاني المصطلح النحوي في القرآن الكريم

2- المصطلحات الدالة على النحو في الحديث الشريف:

إنَّ شأن المصطلح النحوي في الحديث الشريف هو ذات الحالة في القرآن الكريم من حيث البحث والتتقيب؛ فلا بد من تصفح أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم للكشف عن الأحاديث الدالة على المصطلحات النحويّة، ويجدر أن نشير إلى مسألة لها أهمية بالغة هو أن النحو العربي في هذه المرحلة لم ينشأ من أجل صون اللسان العربي من اللحن والخطأ الذي بدأ في النقشي على ألسنة الناس فحسب إنما كان هناك غرض آخر وهو إعراب القرآن الكريم وفهم معانيه وقد كان هذا دافعا كبيرا لوضع قواعده ومصطلحاته⁽²⁾. ومن أوائل هذه الأحاديث الدالة على المعاني النحويّة مصطلح:

أ- مصطلح « الإعراب »: الذي ورد في حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - « أَعْرَبُوا الْقُرْآنَ، وَاتَّمَسُوا غَرَائِبَهُ »⁽³⁾ وقال أيضا: « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَأَعْرَبَهُ، فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَمَنْ قَرَأَهُ وَلَحَنَ فِيهِ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ حَسَنَةٌ »⁽⁴⁾، وقد

1 - أبو محمد بن مسعود البغوي: تفسير البغوي (معالم التنزيل)، تح: محمد عبد الله النمر - سليمان مسلم الحرش - عثمان جمعة خميرية)، دار طيبة للنشر والتوزيع - الرياض (1412هـ)، ج 7، ص: 289.

2 - يوخنا مرزا الخامس: موسوعة المصطلح النحوي (من النشأة إلى لبعض الاستقرار)، ج 1، ص: 34.

3 - أبو عبد الله بن محمد النيسابوري: المستدرک على الصحيحين، تح: عبد السلام علوش، دار العرفة - بيروت - (1418هـ / 1998م)، ج 1، ص: 293.

4 - محمد بن القاسم الأنباري أبو بكر: إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، تح: محيي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية - دمشق (1390هـ - 1971م)، ج 1، ص: 22.

رُوِيَ عن أبي بكر - رضي الله عنه - : « لِبَعْضِ إِعْرَابِ الْقُرْآنِ أَعْجَبُ إِلَيْنَا مِنْ حِفْظِ بَعْضِ حُرُوفِهِ »⁽¹⁾، وتدل كلمة إعراب هنا عن الإفصاح والإبانة والتوضيح.

والملاحظ هنا أن اللفظة لم تخرج عن معناها اللغوي، إلا أن هناك بعض الأحاديث تخرج عن المعاني ومنها حديث النبي صلى الله عليه وسلم : « أَعْرَبُوا الْكَلَامَ كَيْ تَعْرَبُوا الْقُرْآنَ »⁽²⁾ ومن هذا الحديث يظهر معنى دلالي آخر لمفهوم الإعراب إذ القصد منه هو إبانة الكلام قبل الإبانة عن معاني القرآن.

وقد تواصل هذا المعنى للمصطلح في زمن الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - واستمرّ بالمعنى نفسه وهو المعنى اللغوي، فقد قال - رضي الله عنه - : « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَأَعْرَبَ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ أَجْرٌ شَهِيدٍ »⁽³⁾

لكن تحول هذا المعنى في زمن عمر بن الخطاب حيث أن هناك نص آخر ورد في الأثر حول مصطلح (الإعراب) ذلك أن عمر بن الخطاب أمر أبا الأسود الدؤلي بأن يعلم أهل البصرة الإعراب حينما وجه كتابا إلى أبي موسى الأشعري يقول فيه : « أما بعد، فتفقهوا في الدين وتعلموا السنة وتفقهوا في العربية وتعلموا طعن الدية واحسنوا عبارة الرؤيا، وليعلم أبو الأسود أهل البصرة الإعراب »⁽⁴⁾ فذكر السيوطي أن معنى الإعراب في هذا الأثر يقصد به: (النحو)⁽⁵⁾، وبالتالي يعتبر مصطلح الإعراب أول مصطلح يدل على معنى النحو بصفة عامة، حيث خرج عن المعنى اللغوي إلى معناه الاصطلاحي.

ب - مصطلح « اللحن » : لقد ذكرنا أن مصطلح اللحن ذكر في القرآن الكريم ودلالاته لغوية لا غير، ومعناه دلالة الكلام وقد ورد المصطلح أيضا في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ

1 - ينظر: يوخنا مرزا الخامس: موسوعة المصطلح النحوي (من النشأة إلى لبعض الاستقرار)، ج1، ص:35.

2 - محمد بن القاسم الأنباري أبو بكر: إيضاح الوقف والابتداء، ج 1 ، ص: 22.

3 - المصدر السابق، ص: 20.

4 - ينظر: المصدر نفسه، ج 1 ، ص: 20.

5 - يوخنا مرزا الخامس: موسوعة المصطلح النحوي (من النشأة إلى لبعض الاستقرار)، ج1، ص:35.

بعض، فمن قضيت له بحق أخيه شيئاً بقوله، فإنما أقطع له قطعة من النار، فلا يأخذها»⁽¹⁾ والمقصد هنا أن يكون أحد أفصح لسانا وأبلغ حجة من غيره، وعليه فإن لفظة (لحن) من الأضداد التي لها معنيان فيصد منه الخطأ والصواب « واللحن من الأضداد، يقال للخطأ لحناً، وللصواب لحناً، فأما اللحن على كون الخطأ فلا يحتاج فيه إلى شاهد، وأما كونه على معنى الصواب فشاهده قول الله عز وجل: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾⁽²⁾ معناه في صواب القول صحته.»⁽³⁾

كما يجدر الإشارة بأن مصطلح اللحن فسره الكثير من العلماء في الأثر الوارد عن الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - على أنه على أنه اللغة⁽⁴⁾، وعليه نستنتج مما ذكر آنفاً أن مصطلح اللحن أيضاً من المصطلحات التي كان لها سبقاً في أصول النحو العربي وانطلاقة جاءت عفوية دون تعديد لأصولها.

3- مصطلحات نحوية عند مفسري القرآن:

من أبرز عوامل ظهور المصطلح النحوي وتوسعه تفسير القرآن العظيم عند جملة من المفسرين في هذه المرحلة والتي تعد مرحلة شفوية بالنسبة للمصطلح النحوي وقد ظهر الدور الجلي للمفسرين في نشأة النحو والتمثل في دور عبد الله ابن عباس (ت68هـ)⁽⁵⁾ من خلال جملة من المسائل والمناقشات، إلى جانب إقامته حلقة لتعليم النحو مما يؤهله بجدارة ليكون مؤسساً من مؤسسي علم النحو في هذه المرحلة أو يكون أضعف الإيمان ضمن ثلاثة نفر أسسوا النحو، بالإضافة إلى

1 - المرجع السابق، ص:36. وقد ورد الحديث في صحيح البخاري برقم: 2680.

2 - محمد:30.

3 - محمد بن القاسم بن الأنباري: الأضداد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية(1407 - 1987م)، ص: 238.

4 - يوخنا مرزا الخامس: موسوعة المصطلح النحوي (من النشأة إلى لبعض الاستقرار)، ج1، ص:38.

5 - حبر الأمة، وفقه العصر، وإمام التفسير أبو العباس عبد الله، ابن عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - العباس بن عبد المطلب شيبه بن هاشم، واسمه عمرو بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر القرشي الهاشمي المكي الأمير - رضي الله عنه [محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة (1422هـ-2001م)، ج3، ص: 332 .

علي بن أبي طالب وأبي الأسود الدؤلي، ودوره الوارد عنه من عرض لأقواله ومناقشة لها أكبر بكثير مما ورد عن الاثنين الآخرين. ومن المصطلحات النحوية التي وردت في تفاسيره باختصار:

أ- **مصطلح « التوكيد »**: وهو من المصطلحات التي يوافق معناها اللغوي المعنى الاصطلاحي فالتوكيد لغة هو دخل في الكلام لإخراج الشكّ وفي الأعداد لإحاطة الأجزاء⁽¹⁾ أما في الاصطلاح فهو: تكرير اللفظ لتثبيته في النفس، اسماً كان أو فعلاً أو حرفاً أو ضميراً، وابن عباس قال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾⁽²⁾: «...وقال ابن عباس (لا) تأكيد كقوله: لا والله ما كان كذا، فكأنه قال: لا، أقسم بيوم القيامة ما الأمر على ما توهموه»⁽³⁾.

يفهم من هذا النص أن (لا) استعملت في الآية على أنها توكيدية ومعناها لا يختلف عن المعاني الاصطلاحية في صناعة النحو.

ب- **مصطلح « الاستثناء »**: وهذا المصطلح أيضاً يوافق معناه اللغوي الاصطلاحي فمعناه اللغوي ما أخرج من قاعة عامة أو حكم عام « واستثنيتُ الشيءَ من الشيء: حاشيته»⁽⁴⁾ أما اصطلاحاً فهو: إخراج الاسم الواقع بعد إلا أو إحدى أخواتها - أدوات الاستثناء - من حكم ما قبلها. أي إخراج المستثنى من حكم المستثنى منه. وعليه فإن المعنيين منطبقان.

ومن النصوص القرآنية التي استعمل فيها ابن عباس مصطلح الاستثناء في تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ

1 - ينظر: ابن منظور: لسان العرب، ج6، ص: 567 (مادة و ك د).

2 - القيامة: 01.

3 - أبو جعفر محمد بن الحسين الطوسي: التبيان في تفسير القرآن، تح: أحمد حبيب العاملي، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت(1409هـ) - نقلا عن- يوخنا مرزا الخامس: موسوعة المصطلح النحوي (من النشأة إلى لبعض الاستقرار)، ج1، ص: 43.

4 - ابن منظور: مادة (ث ن ي).

حَكِيمٌ عَلِيمٌ»⁽¹⁾ حيث قال: «الاستثناء يرجع إلى قوم سبق فيهم علم الله أنهم يسلمون فيخرجون من النار»⁽²⁾، ويتضح من خلال هذا القول ظهور عناصر الاستثناء (مستثنى - مستثنى منه ...) مما يدل على أن النحو بدأ في هذه المرحلة ميسر دون تعقيد يفهم من دلالة اللفظ مما يسهل على الدارس فهمه.

ت - مصطلحا « (النفى) و(الاستفهام) »: فالنفى هو أسلوب إنكار أو نقض فكرة أوحجة أو موضوع، ويراد به نفي جملة أو دليل وهو ضد الإثبات، أما الاستفهام هو أسلوب يطلب به العلم عن شيء كان مجهولاً، فالمعنى واضح في كلا المفهومين لغة واصطلاحاً، وقد جاء في تفسير ابن عباس المصطلحين عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾⁽³⁾: «ولو أنهم قالوا: نعم لكفروا، لأن حكم نعم أن يرفع الاستفهام، فلو قالوا نعم، كان التقدير: نعم لست ربنا وهذا كفر وإنما دل على إيمانهم قولهم بلى، لأن معناها يدل على رفع النفي،....»⁽⁴⁾

هذه بعض المصطلحات لعبد الله بن عباس - رضي الله عنه - التي وجدناها في بعض التفاسير وهناك غيرها مما لا يتسع المقام شرحها تفصيلاً وتبياناً، ويتضح من خلال هذا العرض حول هذه المرحلة أن المصطلح النحوي لم يبرز بشكل واضح وقد تعدد معانيه من لغوية تارة إلى اصطلاحية تارة أخرى إلا أن معظمها كان عفويا غير خاضع لمنهج معين ولا دراسة معمقة والهدف منها إما خدمة للقرآن وإعرابه (أي إبانته) أو لتفسيره، أو توضيح بيت شعري...

ثانياً - تأسيس المصطلحات النحوية قبل سيبويه:

1- علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - والمصطلح النحوي:

ما يكاد الحديث يثار عن تأسيس المصطلح النحوي إلا ويذكر معه أبو الأسود الدؤلي (ت23هـ) والروايات المختلفة التي تناقلها الرواة عن بداية تأسيس النحو

1 - الأنعام : 128.

2 - أبو محمد بن مسعود البغوي: تفسير البغوي (معالم التنزيل)، ج2، ص:445.

3 - الأعراف: 172.

4 - يوخنا مرزا الخامس: موسوعة المصطلح النحوي، ج1، ص:47.

ويذكر معها العديد من الشخصيات التي يعتبرها أصحابها بأنها كانت السبب في وضع علم النحو وبناءه وتطوره، وفي بحثنا لا نود البحث في صحة هذه الروايات أو عدم صحتها لأن هذا ليس في صميم البحث إنما نريد أن نسوق بعضها للتعرض لقضايا المصطلح النحوي وكيفية نشوئه على يد هذا العلم الجليل الذي كان آية في العلم.

وما إن يَذكر هذا العالم في مجال النحو إلا وتذكر معه أيضا الصحابي الجليل علي بن أبي طالب - رضي الله عنه وأرضاه - على اعتباره أنه هو من أوصاه بكتابة قواعد اللغة العربية من خلال الرواية الشهيرة: «... إذ يروون عن أبي الأسود نفسه أنه دخل عليه وهو بالعراق فرآه مطرقا مفكرا، فسأله فيم يفكر؟ فقال له: سمعت ببلدكم لحنأ فأردت أن أضع كتابا في أصول العربية، وأتاه بعد أيام فألقى إليه صحيفة فيها: « بسم الله الرحمن الرحيم: الكلام كله اسم، وفعل، وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمى والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم و لا فعل، ثم قال له: اعلم أن الأشياء ثلاثة: ظاهر، ومضمر، وشيء ليس بظاهر و لا مضمر، وإنما يتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بمضمر و لا ظاهر»⁽¹⁾.

والروايات التي توالت عن سبب كتابة النحو أن أبا الأسود الدؤلي دخل بيته ذات مرة، فقالت له ابنته: « يا أبت، ما أشدُّ الحرَّ، فقال لها: إذا كانت الصفعاء من فوقك، والرمضاء من تحتك، قالت: إنما أردت أن الحرَّ شديدٌ، قال: فقولي إذا: ما أشدَّ الحرُّ!»⁽²⁾. ويمكن أن نجمل التطور الحاصل مع الدؤلي فيما يلي:

- أنه: « نقط القرآن، وأعربه.

- وضع العربية.

- وضع أبواب في النحو، ومن أهمها: باب الفاعل، والمفعول، والمضاف، والرفع والنصب، الجر، والجزم.

1 - شوقي ضيف: المدارس النحوية، دار المعارف بمصر، كورنيش النيل القاهرة (1911م)، ص: 13، 14.

2 - محمد إبراهيم البناء: دراسات ونصوص لغوية، ص: 39.

- وضع باب التعجب.
- وضع حروف الرفع ، والنصب، والجر
- وضع أقسام الكلمة، وأنواع الاسم، وأبواب العطف، والنعته، والتعجب، والاستفهام، وحروف النصب.
- المختصر في النحو المنسوب إلى الدؤلي، والمعروف بالتعليقة⁽¹⁾.

وللوقوف على المصطلحات النحويّة التي كتبها الإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وتلميذه أبو الأسود الدؤلي لابد أن ندرج نص " التعليقة " التي كتبها الإمام وأكملها أبو الأسود والتي نقلت في كتاب (الأمالي الكبرى)⁽²⁾ للزجاجي (ت340هـ)⁽³⁾ والتي نصها:

« بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين:

وقال أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي النحويّ، قال:

حدثنا ابو جعفر محمد بن رستم الطبري، قال: حدثنا ابو حاتم السجستاني، قال: حدثني يعقوب بن إسحاق الحضرمي، حدثنا سعيد بن سالم الباهلي حدثنا أبي عن جدي عن أبي الأسود الدؤلي رضي الله عنه قال: دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فرأيتَه مطرقاً متفكراً فقلت فيم تفكر يا أمير المؤمنين؟ قال: إني سمعت ببلدكم هذا لحناً فأردت أن أصنع كتاباً في أصول العربية. فقلت: إن فعلت هذا أحببتنا وبقيت فينا هذه اللغة. ثم أتيتَه بعد ثلاث فألقى إلي صحيفة فيها: بسم الله الرحمن الرحيم

1 - د. طلال علامة، تطور النحو في مدرستي: البصرة والكوفة، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1. (1993م)، ص: 126.

2 - عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل - بيروت، ط2، (1407 هـ - 1987 م)، ص: 28.

3 - قام بكتابتها الدكتور محمد خيرى البقاعي بمجلة العرب - عدد محرم وصفر (1428هـ - 2007م) ص: 52-58 - ينظر: يوخنا مرزا الخامس: موسوعة المصطلح النحويّ، ج1، ص: 57.

الكلام كله **اسم** و**فعل** و**حرف**: فالاسم ما أنبأ عن المسمّى، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمّى، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل. ثم قال لي: تتبّعهُ وزدْ فيه ما وقع لك واعلم يا أبا الأسود أن الأسماء ثلاثة: **ظاهر** و**مضمر** و**شيء** ليس ب**ظاهر** ولا **مضمر**، وإنما يتفاضل العلماء في معرفة ما ليس ب**ظاهر** ولا **مضمر**. قال أبو الأسود: فجمعت منه أشياء وعرضتها عليه فكان من ذلك حروف النصب، فذكرت منها **إِنَّ**، و**أَنَّ**، و**وَلَيْتَ**، و**وَلَعَلَّ**، و**وَكَأَنَّ**، ولم أذكر لكنَّ فقال لي لم تركتها؟ فقلت لم أحسبها منها، فقال بل هي منها فزدها فيها.»

هذا هو نص الصحيفة وقد ورد فيها جملة من المصطلحات النحوية وهي:

أ- **مصطلح «اللحن»**: هو أول مصطلح ورد " التعليقة " ومن الواضح أن المعنى هنا تحدد بدقة لا كما ذكرنا عن المعنيين السابقين (الخطأ، والصواب) ولا حتى بمعنى الدلالة أي دلالة قولهم مثلما بينا في الآية: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾⁽¹⁾ فما يلاحظ أن معنى اللحن هو: الخطأ ولم يعد يدل لا على معنى النحو أي قواعد اللغة العربية وبالتالي تغيرت دلالة هذا المصطلح من المعنى اللغوي إلى المعنى الاصطلاحي وهذا أول تطور لدلالة هذا المصطلح.

ب- **مصطلح «أصول العربية»**: هو المصطلح الثاني الذي ورد في الصحيفة والذي قصد به: (قواعد اللغة العربية) أي **قواعد النحو** وهو يختلف تماما عما نعرفه الآن وهنا قصد الإمام علي رضي الله عنه - أن يوضع علم ترتكز عليه قواعد اللغة العربية ووجه الاختلاف في زماننا هو أن أصول النحو هو: «عَلْمٌ يُبْحَثُ فِيهِ عَنِ أَدَلَّةِ النُّحُوِّ الإِجْمَالِيَّةِ مِنْ حَيْثُ هِيَ أَدَلَّتُهُ وَكَيْفِيَّةُ الإِسْتِدْلَالِ بِهَا وَحَالُ الْمُسْتَدَلِّ»⁽²⁾، أما في الصحيفة يقصد به النحو ذاته، ومن هنا يتضح لنا المعنى الاصطلاحي تغير وتطور بعد هذه الفترة.

ت- **مصطلح «الكلام»**: وهو المصطلح الثالث الوارد في الصحيفة ويقصد به طريقة التعبير عند العرب حسب سياق المعنى لذلك أعقبه بأنواع الكلم من اسم وفعل

1 - محمد: 30.

2 - جلال الدين السيوطي: الاقتراح في أصول النحو، ص: 21.

وحرف، ولقد استر هذا التقسيم عبر مختلف أطوار النحو وقد قال أبو الأسود عندما سمع اللحن « هؤلاء الموالى قد رغبوا في الاسلام ودخلوا فيه فصاروا لنا إخوة فلو علمناهم الكلام» (1).

ث - مصطلح «الاسم»: يعتبر هذا المصطلح من أوائل المصطلحات المستقرة من الناحية العلمية إلى يومنا هذا وهنا نلاحظ الدقة التي حدد بها علي بن طالب - رضي الله عنه - هذا المصطلح وقد قارب معناه الاصطلاحي حيث لا يمكن الخلط فيه بأي حال من الأحوال.

ج - مصطلح «الحرف»: ورد هذا ذكر هذه اللفظة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ (2) وفي قول الرسول صلى الله عليه وسلم: « نزل القرآن على سبعة أحرف كلها كافٍ شافٍ» (3) ومعاني الحرف في اللغة هي: الطرف. ومنه حرف الجبل، أي: طرفه، أي: دخل في الدين على طرف، فإن وجد ما يحبه استقر، وإلا انشمر، والحرف في الأصل: الطرف والجانب، وبه سمي الحرف من حروف الهجاء (4).

وما يلاحظ أن المصطلحات الثلاثة دقق فيها الإمام وأورد لها تعاريف اصطلاحية وكلها مصطلحات مستقرة إلى يومنا هذا.

د - مصطلح «الحركة»: ورد هذا المصطلح في تعريفه للفعل: « والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى» ولعل الإمام ربط التعريف بالواقع وصفا بعد إمعان وتدقيق فالحركة هي فعل واقعي يقوم به الكائن مما يدل خضوع التعريف للدراسة الوصفية الواقعية مما يوافق المعنى الاصطلاحي للحركة.

1 - عوض أحمد القوزي: المصطلح النحوي نشأته وتطوره، ص: 9.

2 - الحج: 11.

3 - يوخنا مرزا الخامس: موسوعة المصطلح النحوي، ج1، ص: 62.

4 - ينظر: ابن منظور: لسان العرب (مادة: حرف) - بتصرف -

هـ - **مصطلح «الظاهر»:** ويقصد بهذا المصطلح هو ما ظهر نطقاً وهو أصل اللغة أو كتابة وهو ما عرفه النحاة قديماً وحديثاً ويلاحظ أن المعنى اللغوي متطابق مع المعنى الاصطلاحي.

و - **مصطلح «المضمر»:** الاضمار هو الاخفاء والسر وهو عكس الظاهر لذا جاء في نص الصحيفة مرافقا له وقد وافق المعنى اصطلاحاً لذا لا يزال هذا المعنى ثابتاً إلا أنه اتخذ فيما بعد معاني جديدة سيأتي لاحقاً تبيانها.

ز - **مصطلح «ما ليس بظاهر ولا مضمر»:** يتضح أن الإمام وصف المصطلح دون أن يقيده بلفظ معين وأعطى معناه، إلا أن هذا المعنى بقي مبهماً في بيانه لذا قد اختلف العلماء في بيانه فمنهم من يرى أنه اسم إشارة ومنهم من يرى أنه اسم الاستفهام وغيرها من الأسماء المبهمة، مما يظهر لنا عدم استقرار هذا المصطلح بتسمية ثابتة.

ما يلاحظ من نص هذه الصحيفة أن هذه المصطلحات النحوية من إنشاء سيدنا علي بن طالب رضي الله عنه ولم تحدث لحد الآن عن مصطلحات أبي الأسود الدؤلي على أن هناك الكثير من المصطلحات الأخرى التي لم تذكر في الصحيفة لكن ذكرتها الكثير من الروايات وهي منسوبة لعلي بن أبي طالب لا يتسع المقام لذكرها ونذكر منها مصطلحات⁽¹⁾: الرفع، النصب، الجر.

كما ينسب للإمام علي - كرم الله وجهه - **مصطلح «النحو»** أيضاً، والنحو لغة هو الاتجاه والجهة والقصد⁽²⁾ ومما ذكر من رواية حول هذا المصطلح أن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - لما أشار إلى أبي الأسود أن يضع علماً يقعد اللغة العربية؛ وعلمه الفعل والحرف وشيئاً من الإعراب، قال أنح هذا النحو يا أبا الأسود⁽³⁾.

1 - ينظر: بوخنا مرزا الخامس: موسوعة المصطلح النحوي، ج1، ص:62.

2 - سبق تعريفه في المدخل.

3 - ينظر: ابن أم قاسم المرادي: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، تح: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي (القاهرة)، ط1، (1422هـ-2001م)، ج1، ص:22.

نلاحظ من خلال هذه الرواية أن الإمام علي - رضي الله عنه - أطلق هذا المصطلح عن علم اللغة العربية هكذا دون أي تمحيص أو الخضوع لمنهج ما، مما يدل أن مصطلح النحو جاء عفويا واعتباطيا واطَّردَ عليه علماء اللغة دون إعادة لتسميته فجرت عليه السنة المتعلمين دون أي تطابق بين المعنى اللغوي (الاتجاه والمقصد) والمعنى الاصطلاحي في ذلك الزمن وفي زماننا أيضا.

2- مصطلحات أبي الأسود الدؤلي النحوية (ت69هـ):

رغم اختلاف الباحثين في واضع علم النحو، إلا أنهم يتفقون على المرويات التي تروي أن أكثر الآراء ترجح أن واضعه هو أبو الأسود الدؤلي. فهناك فريق يرى أن أول من وضع هذا العلم وأسس قواعده وحدد حدوده هو علي بن أبي طالب وأنه دفع إلى أبي الأسود رقعة وقد (ذكرنا هذا سابقا).

وفريق آخر يرى أن أبا الأسود الدؤلي هو المؤسس لهذا العلم وأول من وضعه. فقد روي أنه جاء إلى زياد أمير البصرة فقال: «إني أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم وفسدت ألسنتها، أفأتأذن لي أن أضع للعرب ما يعرفون به كلامهم؟ فقال له زياد: لا تفعل، قال فجاء رجل إلى زياد فقال: أصلح الله الأمير توفي أبانا وترك بنونا فقال زياد: ادع لي أبا الأسود، فلما جاءه قال له: ضع للناس ما كنت نهيتك عنه ففعل»⁽¹⁾.

وروي أن أبا الأسود قالت له ابنته: ما أحسن السماء! فقال لها: نجومها، فقالت إني لم أرد هذا، وإنما تعجبت من حسنها، فقال لها: إذن فقولي ما أحسن السماء! فحينئذ وضع النحو⁽²⁾.

ومهما قيل فإنه حينما تكثر الروايات المتشابهة والمتقاربة فإنها تقوي بعضها بعضا؛ ومما لا يدع مجالا للشك أن لعلي فضل إرشاد أبي الأسود والإشراف عليه

1 - شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص: 15.

2 - المرجع السابق: ن ص.

وتقرير ما صحّ في استنتاجه وإرشاده إلى الأساس، وأن لأبي الأسود فضل القيام بوضعه على ضوء هدى الإمام⁽¹⁾.

كما أن نشأة النحو من المواضيع التي حدث فيها الكثير من الجدل حول صحتها فإن هناك حديثاً آخر لا يقل جدلاً عما قبله وهو أسباب نشأة النحو. وقد أرجع علماء النحو هذه الأسباب المباشرة:

أولها: تسرب اللحن إلى اللسان العربي بسبب اختلاط العرب بالأعاجم واختلطت عاداتهم وطبائعهم وسلوكوا سلوك الأعاجم في الكثير من مناحي الحياة المختلفة⁽²⁾. وتفتشي ظاهرة اللحن (أي الخطأ) هو سبب من أسباب اللحن في القرآن الكريم لذا فإن أبا الأسود الدؤلي سمع رجلاً يقرأ قوله تعالى: ﴿ أَنْ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾⁽³⁾ بخفض (ورَسُولُهُ)، صنف (باب العطف) و(باب النعت)⁽⁴⁾.

ثانيها: حاجة هذه الأعاجم إلى تعلم اللغة العربية وانصوائهم تحت لواء الدولة الإسلامية بسبب اتساع رقعتها وكثرة الأجناس التابعة لها، ليستغلوا مواهبهم في تأسيس الحضارة الإسلامية ونيل حظهم من الحياة على جميع الأصعدة.

ولعل من بين الأخطاء التي نقع فيها حينما ننتشغل بالبحث عن الروايات وصحتها ونصرف جهدنا فيها وعن مؤسس هذا العلم ونسبته له، ومنتاسي أن هذا العلم العظيم هو جهد أمة من الناس أفنوا أعمارهم في خدمته والتفاني في التقريب عنه وسبر أغواره.

اختلف العلماء في المصطلحات التي وضعها أبو الأسود الدؤلي - رحمه الله - فمنهم من قال أن أبا الأسود وضع باب (الفاعل) و(المفعول) فقط كما يتضح من خلال الرواية الخاصة بابنة أبي الأسود حينما لحتت في تعجبها من جمال السماء أنه نطق بمصطلح التعجب والذي هو موافق للمعنى اللغوي ومنهم من قال أنه أضاف

1 - ينظر: عوض أحمد القوزي: المصطلح النحوي نشأته وتطوره، ص: 26.

2 - ينظر: المرجع السابق، ص: 30.

3 - التوبة: 3.

4 - ينظر: شوقي ضيف: المدارس النحوية: ص: 14-15.

باب العطف والنعته والتعجب والاستفهام، وباب إن وأخواتها وغيرها من الأبواب المختلفة⁽¹⁾، وقد تداخلت الروايات وتشابكت فيما صحت وزعمها وكل أتى بدليله على مروياته المختلفة وما اتفقوا عليه من مصطلحات نوردها على النحو التالي:

أ- مصطلحات « الحركات الاعرابية (الفتح - الضم - الكسر - الغنة أي التنوين) »:
تتفق غالبية الروايات أن الواضع الأول للمصطلحات الاعرابية، وواضع شكلها هو أبو الأسود الدؤلي وقد ذكرتها الكثير من المصادر التاريخية ومنها ابن النديم (ت 438هـ): «... فأتى بكاتب من عبد القيس، فلم يرَضَه، فأتى بآخر - قال أبو العباس المبرد: أحسبه منهم - فقال أبو الأسود: إذا رأيتني قد (فَتَحْتُ فَمِي) بالحرف فانقط نُقْطَةً على أعلاه. وإن (ضَمَمْتُ فَمِي) فانقط نقطة بين يَدَي الحرف. وإن (كَسَرْتُ فَمِي) فاجعل النقطة تحت الحرف. فإن أَتَبَعْتُ لك شيئاً من (غَنَّة) فاجعل مكان النقطة نقطتين. ففعل ذلك. فهذا نُقْطَ أبي الأسود...»⁽²⁾.

ما نلاحظه هنا أن أبا الأسود الدؤلي أخضع الحركات الإعرابية إلى حركة الفم وهي حركات تقوم بها يومياً فحينما تحدث عن الفتحة ربطها بحركة فتح الفم (إذا رأيتني فتحت فمي)، وحينما تحدث عن الضمة ربطها أيضاً بحركة ضم الفم (وإن ضممت فمي)، أما عندما ذكر الكسرة تحدث عن كسر الفم (وإن كسرت فمي)، لكن حينما أراد الحديث عن التنوين ربطها بالغنة والتي مخرجها الأنف لا الفم وهي صوت مسموع ولا حركة له بارزة (فإن أتبعْتُ لك شيئاً من غَنَّة) فكل من مصطلحات الفتح والضم والكسر والغنة التي يقصد بها التنوين هي متعلقة بالفم وجهاز النطق مما يدل على أنها حركات صوتية متعلقة بالجهاز الصوتي، كما أن هذه الحركات نسمعها ونرى من خلال نطقها شكل الشفتين، لكن يجب أن نشير هنا أن الهدف من وراء هذا هو نقط القرآن حتى لا يقع عليه اللحن مما يؤكد ما ذكرنا من أسباب وضع النحو.

1 - ينظر: يوخنا مرزا الخامس: موسوعة المصطلح النحوي، ج1، ص: 73-77.

2 - محمد بن إسحاق النديم: الفهرست، تح: رضا تجدد، دط، ص: 45.

ب- **مصطلح « التعجب »**: لقد ذكرنا هذا المصطلح في الرواية التي أوردناها في قصته مع ابنته حينما تعجبت من جمال السماء فلحنت، فظنها أنها تسأن عن جمال السماء فلما رد عليها، كان جوابها بأنها لم تسأله إنما تعجبت من جمال السماء، لذا فهي تدرك تمام الإدراك ما الذي تود قوله وفعله لذا كان ردها بما كانت تحس به من إعجاب بجمال السماء وهو شعور داخلي حينما يستعظم الإنسان شيئاً ما.

لكن لم نجد في التراث - حسب بحثنا المتواضع - ما إذا أفرد أبو الأسود باب التعجب القياسي (ما أفعل - وأفعل بـ) أم بقي الأمر على ما هو عليه عام وكفى وقد ذكرت بعض كتب السير والتراجم هذه الرواية وأردوا معها وضع باب التعجب دون تفصيل في كيفية وضعه.⁽¹⁾

ج- **مصطلحا « الفاعل و المفعول »**: الكثير من المصادر تتسبب هذين المصطلحين لأبي الأسود وهو تنمة لما دَوَّته له على بن أبي طالب - رضي الله عنه - بعدما بين له باب الاسم والفعل والحرف، فأتم هذا بباب (الفاعل) و(المفعول) إلا أن بعض المصادر تذكر بأنه لم يستعمل مصطلح الفاعل والمفعول لكن ابن النديم يذكر في كتابه الفهرست أنه: « فوضع باب الفاعل والمفعول »⁽²⁾ والذي يبدو أن السبب الذي جعله يضع هذين المصطلحين هو ابتكاره لمصطلحات النصب والرفع والكسر والتثوين، فظهر له أن الفاعل يكون مرفوعاً والمفعول يكون منصوباً من خلال السماع فقط وهذا كله علاجاً لظاهرة اللحن التي بدأت تتفشى خاصة عند الأعاجم⁽³⁾؛ والغريب أنه حتى في زماننا يصعب على العرب فهم الأعاجم حينما يتحدثون فيصعب من خلال حديثهم تحديد الفاعل من المفعول به حتى باللهجات المنتشرة في الأقطار العربية.

1 - ينظر: يوخنا مرزا الخامس: موسوعة المصطلح النحوي، ج1، ص:79 . و: عوض أحمد القوزي:

المصطلح النحوي نشأته وتطوره، ص:35.

2 - محمد بن إسحاق النديم: الفهرست، ص:45.

3 - ينظر: عوض أحمد القوزي: المصطلح النحوي نشأته وتطوره، ص:36.

د - مصطلح « حروف النصب »: وهو مصطلح جاء في التعليقة التي ذكرناها سابقاً «... فكان من ذلك حروف النصب، فذكرت منها **إِنَّ، وَأَنَّ، وَلَيْتَ، وَلَعَلَّ، وَكَأَنَّ،** ولم أذكر لكنَّ فقال لي لم تركتها؟ فقلت لم أحسبها منها، فقال بل هي منها فزدها فيها « والملاحظ هنا أن المقصود بها (**إِنَّ** وأخواتها)، كما يلاحظ أنه تنبّه لـ: (**إِنَّ، وَأَنَّ، وَلَيْتَ، وَلَعَلَّ، وَكَأَنَّ**) ولم يتنبّه لـ: (**لكنَّ**)، حتى أرشده لها على بن أبي طالب - رضي الله عنه -، كما يستقرأ أيضاً أنه أسماها حروف النصب لأنها إذا جاءت قبل الأسماء جعلت حركتها منصوبة مما يدل على أنه تنبّه للعوامل من خلال تجربة المشافهة للكلام، كما أنه يتضح أنه أسماها حروف (**النصب**) ولم يسمها (**إِنَّ** وأخواتها) كما سميت فيما بعد.

هـ - مصطلح « حروف الرفع، والجر، والجزم »: يبدو والله أعلم أن الكلام عن هذه المصطلحات لا تختلف عما قبلها لأنه لم يشر إليها في دراسات أخرى إلا على سبيل المعنى نفسه مما ذكر في باب نقط القرآن ولعل الدليل على ذلك ما أورده الزبيدي (ت 397هـ) في كتابه لحن العوام حيث يقول: « فكان أول من استدك ذلك، وحاول إصلاح فساده (أبو أسود ظالم بن عمر الدؤلي) فألف أبواباً في النحو، ذكر فيها عوامل الرفع والنصب والجر والجزم، ودل على الفاعل والمفعول به»⁽¹⁾

و - مصطلح « **النعته** »: تعرض أبو الأسود لمصطلح **النعته** حينما بدأ في دراسة الجمل ولم يسم هذا المصطلح **الصفة** إذ أن مصطلح **النعته** أسبق عند أبي الأسود وقد ذكره ابن الأنباري (ت 577هـ) في كتابه **نزهة الألباب**: «... ثم قال: وضعت بابي **العطف والنعته**...»⁽²⁾. و « **النعته**: **وَصَفُّكَ الشَّيْءَ، تَتَعْتُهُ** بما فيه وتُبَالِغُ فِي **وَصْفِهِ؛ وَالنَّعْتُ: مَا نُعِتَ بِهِ**»⁽³⁾ وعليه فإن المعنى يتطابق مع ما ذهب إليه أبو الأسود.

1 - محمد بن حسن الزبيدي أبو بكر: لحن العوام، تح: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، ط2، (1420هـ - 2000م)، ص: 59.

2- محمد بن القاسم الأنباري أبو بكر: نزهة الألباب في طبقات الأدباء، تح: إبراهيم السامرائي، مكتبة الأندلس - بغداد - (1405هـ - 1985م)، ص: 18.

3 - ابن منظور: لسان العرب (مادة: ن ع ت).

ز - مصطلح « العطف »: إن مصطلح العطف عند أبي الأسود الدؤلي هو الرواية التي ذكرناها سابقا عن الأعرابي الذي قرأ قوله تعالى: ﴿ أَنْ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾⁽¹⁾ بخفض (وَرَسُولُهُ)، صنف (باب العطف) و(باب النعت)⁽²⁾، والملاحظ هنا أن للعطف دور كبير في إعراب القرآن الكريم واستنباط معانيه وأحكامه ويمكن هذا في الفهم الصحيح لمعاني الآيات.

ح - مصطلح « الاستفهام »: هو من المصطلحات التي نسبها العلماء لأبي الأسود ومن هؤلاء العلماء السيوطي في كتابه الاقتراح: «... ثم صنف باب التعجب، وباب الاستفهام...»⁽³⁾ وشأنه أيضا شأن التعجب في قصة أبي الأسود مع ابنته حينما لحت ثم بنت له أنها لم تسأل أي تستفهم إنما تعجبت...، فيتضح أن معنى الاستفهام كان واردا في هذه القصة، فتطابق المعنى اللغوي مع المعنى الاصطلاحي والذي يعني التساؤل عن الشيء.

ط - مصطلح « الإضافة »: وهو من المصطلحات التي ذكرتها كتب التراث إلا أن الروايات لم تذكر سبب وضع هذا المصطلح ومن العلماء الذين ذكروا هذا المصطلح (أحمد بن مصطفى) الشهير (بطاش كبرى زادة) في كتابه (مفتاح السعادة ومصباح السيادة): «...باب الفاعل والمفعول به والمضاف...»⁽⁴⁾، والمسألة التي لاحظتها من خلال تنقيبي المتواضع حول هذا المصطلح لم أجد سببا معينا لهذه التسمية غير أن تكون لها علاقة بحروف الجر وهو استقرار شخصي لا علاقة له بأقوال العلماء⁽⁵⁾.

1 - التوبة: 3.

2 - ينظر: شوقي ضيف: المدارس النحوية: ص: 14-15. (تم ذكر الرواية في ص: 76)

3 - جلال الدين السيوطي: الاقتراح في أصول النحو، ص: 432.

4 - طاش كبرى زاده، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، دار الكتب العلمية - بيروت -، ط1، (1405هـ-1985م)، ج1، ص: 143.

5 - هذا الرأي وجدته أيضا عند الدكتور يوخنا مرزا الخامس فوافق رأيي رأيه - والله أعلى وأعلم - ينظر: يوخنا مرزا الخامس: موسوعة المصطلح النحوي، ج1، ص: 86.

نود الإشارة قبل طي صفحة أبي الأسود الدؤلي أن ثمة بعض المصطلحات الأخرى التي ذكرت عند أبي الأسود إلا أنها لم تُسمَّ بمصطلحات معينة وإنما بقيت معنى فقط ومنها (لولا)، وقد ذكر ابن عبد ربه (ت328هـ) في كتابه (العقد الفريد) في باب نواذر الكلام: «...وقال أبو الأسود: من العرب من يقول، لولاي لكان كذا وكذا...»⁽¹⁾

إن ما يمكن قوله عن هذه المرحلة من المصطلح النحوي أنه جاء تلبية لشيوع ظاهرة اللحن ويتضح ذلك من خلال الروايات المختلفة التي نقلت عن سيرة بعض العلماء في ذلك الزمن فكلما حدث لحن ما عن ظاهرة نحوية وإلا وجاء ابتكار المصطلح ما يوافق الخطأ (اللحن)، لا سيما عند الأعاجم الذين اختلطوا بالعرب، كما أنه تميز بشفوية أكثره إلا ما ندر منه.

كتب الله تعالى لبعض المصطلحات البقاء إلى يومنا هذا في هذه المرحلة مثل: الاسم، الفعل، الحرف، النحو، الفاعل، المفعول، الاستفهام، ...، وقد تميزت الكثير منها بقربها من المعاني اللغوية وموافقتها لها أو على قربها من المعاني مما سهل على المتعلمين في هذه الفترة تعلم النحو بسهولة وفهمه دون عناء أو حاجة لفهم المعاني خاصة.

3- تلاميذ أبي الأسود الدؤلي والمصطلح النحوي:

لقد نبغ أبو الأسود الدؤلي في هذه الفترة في تدريس النحو للكثير من طلابه الذين غاصوا فيه وأحبوه حبا عظيما فكانوا نعم الطلاب، إذ صارت لهم معرفة بعلم النحو ونبغوا فيه حتى صاروا بعده شيوخا في هذا التخصص وقد ذكرت الروايات بعضهم ومن بينهم ما ذكره (طاش كبرى زاده-ت 968 هـ) في كتابه (مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم): وتخرج بأبي الأسود: معاذ بن مسلم

1 - أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد (ط. العلمية)، تح: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، ط1، (1404هـ - 1983م)، ج3، ص: 279.

الهاء، أبو مسلم، وقيل أبو علي. وهو أول من وضع التصريف. وأدب عبد الملك بن مروان...^(١) وذكر أن أبا الأسود خلف خمسة نفر قعدوا وأدبوا الناس:

(أولهم) عنبسة بن معدان الفيل (كان حيا سنة 110هـ): ولم يكن فيمن أخذ عنه النحو أبرع منه، وروى الأشعار وظرف وفصح، وروى شعر جرير والفرزدق. و(ثانيهم) ميمون الأقرن (ت 110هـ): أخذ النحو عن عنبسة، وقيل عن أبي الأسود وأن عنبسة أخذ عنه.

و(ثالثهم) يحيى بن يعمر العدواني التابعي (ت 90هـ - أو 128هـ - أو 129هـ): علامة مقرئ، كان قاضي مرو، ويقال أنه من نقط المصاحف، وكان من فضلاء الناس وعلمائهم، وله أحوال ومعاملات، حدث عن أبي هريرة وعبد الله بن عباس.

و(ورابعهم - وخامسهم) أبناء أبي الأسود: عطاء (كان حيا سنة 109هـ) وأبو حرب (ت 109هـ): ثم خلف هؤلاء رجال كثيرون أمثال: عبد الله بن أبي إسحاق زيد الحضرمي، وعيسى بن عمر التقفي، ونصر بن عاصم الليثي (ت 90هـ) وغيرهم كثير الذين برعوا في علم النحو وطوروا ما توصل إليه أبو الأسود من مصطلحات نحوية: « ونحن لا نملك إلا حقيقة واحدة واضحة وهي أنهم جيعا اشتركوا في إرساء ما كان أصله أبو الأسود، واستطاعوا أن يطوروا بعض الاصلاحات بل نقلوا بعضها من المعنى اللغوي الذي شاهدناه عند أبي الأسود إلى المعنى العلمي...»⁽²⁾، ومن المصطلحات التي نسبت لتلاميذ أبي الأسود: **مصطلح الاعجام والنقط ومصطلح التنوين** وقد نسبا إلى نصر بن عاصم، و**مصطلحات عوامل الرفع والنصب والخفض والجزم** وقد ذكرنا أنها نسبت لأبي الأسود وطورها نصر بن عاصم وعبد الرحمن بن هرمز⁽³⁾.

1 - ينظر: طاش كبرى زاده، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، ج 1، ص: 143.

2 - عوض أحمد القوزي: المصطلح النحوي نشأته وتطوره، ص: 43.

3 - ينظر: يوخنا مرزا الخامس: موسوعة المصطلح النحوي، ج 1، ص: 94-101.

وقد اختلفت الروايات في المصطلحات ونسبتها إلى أصحابها لكن مما لا يدع مجالاً للشك أن الجميع اشتركوا في هذه المصطلحات وطورها وكل واحد من هؤلاء العلماء أضاف شيئاً جديداً، أو شرحه ودرسه لغيره.

وفي هذه المرحلة بدأت تظهر ظاهرة جمع اللغة العربية والاهتمام بغريبها ورصد اللحن الذي بدأ يتفشى عند عوام الناس وخاصتهم ما سماه علما اللغة بظاهرة السماع اللغوي.

والمقصود بالسماع الأخذ عن الإعراب الفصحاء الذين لم تختلط لغتهم بلغة الأعاجم، و نقل لغاتهم و تسجيل شعرهم و نثرهم و قضاء زمن طويل في النقل عنهم، ومتابعتهم في حياتهم اليومية أو استعمال كلمة أو تراكيب بدليل نقلي مع سنده إلى عربي فصيح اللسان سليم السليقة⁽¹⁾ و يعد السماع الهدف الذي كان العلماء يسعون إلى تحقيقه، و مبتغى الرواة، و مقصد النحاة الأوائل، حين كانت الرحلة البادية أمراً ميسوراً، و كانت مشافهة الإعراب تكاد تكون الطريق الطبيعي للإحاطة باللغة الفصيحة و الوقوف على أسرارها، أما التعريف الاصطلاحي فقد حدده (السيوطي) في كتابه (الاقتراح في علم أصول النحو = بقوله: « يعني به ما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته، فشمّل كلام الله تعالى و هو القرآن، و كلام نبيه صلى الله عليه و سلم و كلام العرب قبل بعثته و في زمانه و بعده إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المولدين نظماً و نثراً عن مسلم أو كافر، فهذه ثلاثة أنواع لا بد في كل منها من الثبوت»⁽²⁾

ثالثاً - المصطلح النحويّ عند المدرسة البصرية:

1- الخليل بن أحمد الفراهيدي وتشكيل المصطلح النحويّ:

إن هذه المرحلة التي أعقبت أبا الأسود وتلاميذه تعتبر هي المرحلة الحقيقية لتهيئة النحو البصري الذي استقر على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه ويرى الكثير من الباحثين أن المصطلح النحويّ في هذه الفترة لم يعرف استقرار

¹ - ينظر: سعيد الأفغاني، في أصول النحو العربي، المكتب الإسلامي، دط، (1407 - 1987)، ص: 13.

² - السيوطي، الاقتراح، ص: 48.

ونضوجاً واضحاً، حيث أن النحو لا يزال في مرحلة النمو ومن أكثر العلماء الذين حملوا رايته عبد الله بن إسحاق الحضرمي (ت117هـ) الذي يمثل نقطة تحول واضحة في الدرس اللغوي والمصطلح النحوي، وفيه يقول ابن سلام: « كان أول من بعج النحو - أي: فتنه-، وفصل القول فيه، ومد القياس، وشرح العلل، وكان مائلاً إلى القياس في النحو، ... سمعت أبي يسأل يونس بن أبي إسحاق وعلمه فقال: هو والبحر سواء، أي هو الغاية. قال: فأين علمه من علم الناس اليوم! قال لو لم يكن في الناس اليوم أحد لا يعلم إلا علمه يومئذ لضحك منه ولو كان فيهم من هو له ذهنه ونفاذه، ونظر نظرة لكان أعلم الناس.»⁽¹⁾

كان هذا العالم الجليل هو الذي علم الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ) النحو وعلم اللغة العربية إذ يعد الخليل بن أحمد الفراهيدي هو المؤسس الفعلي للنحو البصري بدون منازع فقد كان له دور كبير جداً في تعويد اللغة العربية وابتكار بعض علومها كعلم العروض وما يكاد يذكر سيبويه رائد المدرسة البصرية وإلا وللخليل الفضل له في تلقين علوم العربية، فسيبويه لا يكاد يستدل في حديثه عن النحو إلا ويذكر شيخه الخليل بن أحمد الفراهيدي فقد قال عنه الدكتور (عوض بن حمد القوزي)⁽²⁾: « لم تر العربية عبقرياً كالخليل، وهو قول لا ينكره أحد، فقد انعقدت آراء الدارسين العرب والمستعربين على سمو قامته العلمية، وسبقه إلى اختراعات متنوعة، فهو الذي استنبط المقاييس الموسيقية التي أخضع لها الشعر العربي في بحوره وأوزانه، وهو أول من حصر ألفاظ العربية وحدد المستعمل منها والمهمل في كتابه (العين) وكانت اللغة العربية شغله الشاغل، وسلوته في الحضور والخلوة، وقد ترجم انشغاله هذا إلى أفعال، فالى جانب "العين" وما تطلبه من جهد فكري غير عادي، لم يغيب عنه أن يحصر حروف المعجم، فكان أول من نظمها في بيت واحد هو قوله:

1 - محمد بن الحسن الزبيدي أبو بكر: طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار المعارف - مصر)، ط2، ص: 31-32 (بتصرف).

2 - عوض بن حمد القوزي: جهود الخليل في صناعة المصطلحات النحوية، مقال: مقدم إلى (ندوة الخليل بن أحمد الفراهيدي في جامعة آل البيت بالتعاون مع سفارة سلطنة عُمان في الأردن)، (1427هـ-2006م).

صِفْ خَلْقَ خَوْدٍ كَمَثَلِ الشَّمْسِ إِذْ بَزَغَتْ يَحْظِي الضَّجِيعُ بِهَا نَجْلَاءُ مِعْطَارُ¹

وهو الذي وضع رموز الشكل المعروفة لضبط الكتابة العربية بالحركات التي نعرفها اليوم، فقد روى أبو الحسن بن كيسان عن محمد بن يزيد المبرد أنه قال: «الشكل الذي في الكتب من عمل الخليل، وهو مأخوذ من صور الحروف، فالضمة واوٌ صغيرة الصورة في أعلى الحرف؛ لئلا تلتبس بالواو المكتوبة، والكسرة ياء تحت الحرف، والفتحة ألف مبطوحة فوق الحرف»⁽¹⁾، وقال أبو عمرو الداني: «أول من صنّف النقط ورسمه في كتاب، وذكر علله الخليل بن أحمد، ثم صنّف ذلك بعده جماعة من النحويين والمقرئين، وسلكوا فيه طريقه، واتبعوا سنته، واقتدوا بمذاهبه»⁽²⁾ ومفهوم النقط هنا الشكل بالحركات إلى جانب نقط الحروف بنقط الإعجام، وعامة اللفظ عند الداني لا يفرق بين الحركة ونقط الحرف في مسمى النقط، إلا أنه يفرق بينهما بلون الحبر المستخدم في الإعجام والشكل.

وهو الذي استنبط من علم النحو ما لم يسبق إليه، فإذا ما ذكر النحو ذكر سيبويه، وما أن يذكر سيبويه حتى يقفز اسم الخليل إلى الذاكرة، وما ذلك إلا لتأثر سيبويه بالخليل، حتى إن عامة الحكاية في كتاب سيبويه عن الخليل، وكما قال سيبويه: «سألته»، أو قال: «قال»، من غير أن يذكر القائل، فهو الخليل بن أحمد⁽³⁾، وقد صدق سفيان الثوري عندما قال: «من أحب أن ينظر إلى رجل خلق من الذهب والمسك، فليُنظر إلى الخليل بن أحمد»⁽⁴⁾ لكثرة عبادته وصلاحه، وزهده وغزارة علمه، وحسن أدبه، وفضله على العربية وأهلها، لقد كان رحمه الله تعالى الغاية في تصحيح القياس، واستخراج مسائل النحو وتعليقه⁽⁵⁾.

1 - أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني: المحكم في نقط المصاحف، تح: عزة حسن، (دار الفكر) دمشق، ط2، (1418هـ / 1997م)، ص:7.

2 - المصدر السابق، ص:9.

3 - محمد بن القاسم الأنباري أبو بكر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص:46. - ينظر: شوق ضيف: المدارس النحوية، ص: 34.

4 - محمد بن القاسم الأنباري أبو بكر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص:48.

5 - عوض بن حمد القوزي: جهود الخليل في صناعة المصطلحات النحوية (مقال)، (بتصرف).

لقد كان للخليل بن أحمد الفراهيدي عقلا فذا، جعله يمس لب النحو واستتباط قوانين اللغة العربية، حيث تمكن من تسخيرها في اكتشافها اكتشافا دقيقا، ومعظم ما وصل إليه سيبويه فهو من صنيع الخليل وللوقوف على المصطلحات النحوية التي تنسب إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي لدينا ثلاث مصادر وهي:

أ- **الكتاب لسبويه**: وردت بعض مصطلحات الخليل بن أحمد عند تلميذه سيبويه نفسه فقد كان يستدل بها في المسائل النحوية وهي أوثق المصادر مما يوافق ما ذكرنا سابقا أن المؤسس الفعلي للمدرسة البصرية هو الخليل ومن أمثلة ذلك في (باب ما يكون المستثنى فيه بدلا مما نفى عنه ما أدخل فيه) إذ يقول سيبويه: «...قال الخليل رحمه الله: ألا ترى أنك تقول: ما رأيتَه يقول ذاك إلا زيد، وما ظننته يقول إلا عمرو...»⁽¹⁾

ب- **كتاب العين**: للخليل بن أحمد الفراهيدي نفسه وهو من الكتب التي شكك في نسبته للخليل إلا أن جل العلماء ينسبونه له، وقد ارتبط تاريخ المعاجم العربية، بأول معجم عربي وهو معجم العين لمصنفه الخليل بن أحمد الفراهيدي.

ج- **كتاب الجمل**: وهو من الكتب التي نسبت أيضا للخليل بن أحمد لكن هو على خلاف الكتابين السابقين من حيث التشكيك في نسبته للخليل فقد شكك الكثير في نسبته له على أن الأمر يبقى دائما نسبيا حسب كل مشكك وما وقع بين يديه من أدلة ومن هؤلاء الذين شككوا الدكتور فائز فارس⁽²⁾.

- مصطلحات الخليل بن أحمد الفراهيدي:

إن المصطلحات النحوية التي ورت عند الخليل بن أحمد الفراهيدي هي مصطلحات تمت عند الخليل عن طريق التفكير المنطقي وإخضاع النحو للتفكير العقلي والتمحيص وعليه فإن معظم مصطلحات الخليل ربطها بالدلالة الوظيفية للمصطلح انطلاقا من معناه اللغوي والاصطلاحي حيث ربط بينهما ليحصل على

1 - أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: كتاب سيبويه، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط3(1408هـ-1988م)، ج2، ص:314.

2 - ينظر: يوخنا مرزا الخامس: موسوعة المصطلح النحوي، ج1، ص:157-158.

تطابق المعنيين، فالخليل عرف بتلك القوة العقلية التي حباه الله بها فجعلته المؤسس الفعلي للنحو إلا أن الكثير من النحويين يرون أن الخطأ الذي وقع فيه الخليل هو عدم التدوين (أي التأليف) لذا فإنّ جل مصطلحاته وردت عند تلميذه سيبويه في مؤلّفه الشهير (الكتاب) ويمكن أن نجمل تلك المصطلحات في:

1- مصطلح « الاسم والمصدر »: لقد أحاط الخليل بن أحمد الفراهيدي بأحوال الاسم إحاطة جيدة، وجعله في باب واحد بينه وبين المصدر لقرب معناها اللغوي ببعضهما البعض فقد قال سيبويه: « قال الخليل: إذا جعلت (وزن) مصدراً نصبت وإن جعلته اسماً وصفت به، وشبه ذلك بالخلق، قال: قد يكون الخلق المصدر، وقد يكون الخلق المخلوق»⁽¹⁾، وعلى هذا فرق الخليل بين الاسم والمصدر في الدلالة فالمصدر عنده ما دل شيء غير الاسم على الرغم من أن المصدر هو من الأسماء إلا أنه أصبح عنده الاسم المنصوب على المفعولية المطلقة، وما عدا ذلك فهو الاسم.

2- مصطلح « الاعراب والبناء »: طور الخليل الحركات في اللغة العربية على ما كانت عليه عند أبي الأسود بناءً على تجاربه الصوتية فبعدما كانت نقطا حولها إلى حركات كما نستعملها اليوم فبدأت مرحلة رسم الحركات.

أما من حيث الاستعمال والدلالة فقد استعمل الرفع والنصب والجر، قال سيبويه: « وزعم الخليل أنّ الجرين أو الرّفعين إذا اختلفا منهما بمنزلة الجر والرفع وذلك قولك: هذا رجلٌ وفي الدار آخر كريمين»⁽²⁾، واستعمل الخليل الضمّ والفتح والكسر في البناء في أواخر الكلم كما هو معمول به اليوم⁽³⁾.

1- سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط1 (1988م - 1408هـ)، ج2، ص: 120.

2 - سيبويه: الكتاب، ج2، ص: 59.

3 - ينظر: المصدر السابق، ج2، ص: 207 وما يليها.

3- **مصطلح « الأفعال »**: طور الخليل مصطلحات الأفعال فقسمها إلى الماضي والمستقبل والأمر وهذا التقسيم حسب الأزمان مما يدل على تطابق المعنى اللغوي والاصطلاحي⁽¹⁾ وقد ذكر هذا التقسيم أيضاً في كتاب العين في باب الفعل.

4- **مصطلح « التثنية والجمع »**: استعمل الخليل هذين المصطلحين بالتفصيل في الباب الواحد قال سيبويه « قال الخليل رحمه الله: فإن تثنيت أو جمعت فإن الأحسن أن تقول: مررت برجل قرشيان أبواه ومررت برجل كهلون أصحابه تجعله اسماً بمنزلة قولك: مررت برجل خز صفته.»⁽²⁾

5- **مصطلح « الإلغاء »**: والذي يقصد به في اللغة ما سقط من الكلام ولا يعتد به فلا تحصل به الفائدة ولا النفع واستعمله الخليل في معنيين هما:

أ- في باب ظن وأخواتها وقصد بها إبطال عمل ظن وأخواتها لفظاً ومحلاً لتوسط هذه الأفعال بين مفعولين أو تأخرها وهذا المعنى لم يقصده الخليل، قال سيبويه: « قال الخليل: إنما لا تعمل فيما بعدها كما أن أرى إذا كانت لغواً لم تعمل»⁽³⁾

ب- بمعنى الزائدة والمعنى هنا يناسب المصطلح قال سيبويه: « وسألت الخليل عن مهما فقال: هي ما أدخلت معها ما لغوا...»⁽⁴⁾

6- **مصطلح « الإلقاء »**: وهو من المصطلحات الجديدة التي استعملها الخليل إذ لم يستعمل أحد قبله هذا المصطلح وهو بمعنى الطرح لغة، وهذا هو المعنى الاصطلاحي الذي أراده الخليل قال سيبويه: « وزعم الخليل رحمه الله أنه إنما جرّ هذا على نية الألف واللام ولكنه موضع لا تدخله الألف واللام كما كان الجماء الغير منصوباً على نية إلقاء الألف واللام نحو طراً وقاطبةً والمصادر التي

1 - المصدر السابق: ج3، ص:60-63. (بتصرف)

2 - المصدر نفسه: ج2، ص:41.

3 - سيبويه: الكتاب، ج2، ص:138.

4 - يوخنا مرزا الخامس: موسوعة المصطلح النحوي، ج1، ص:173 (بتصرف).

تشبهها.»⁽¹⁾ وما يلاحظ أن الخليل استعمل هذا المصطلح ليدل على معنى الحذف والمضمر ، والالقاء وهي عدة مصطلحات تدل على معنى واحد.

7- **مصطلح «الإضافة»:** المضاف في اللغة هو: «الملصق بالقوم الممال إليهم وليس منهم»⁽²⁾ أما في الاصطلاح فهي: «نسبة تقييدية بين اسمين توجب لثانيهما الجر، والشائع أن الأول يسمى مضافا والثاني مضافا إليه...»⁽³⁾، وقد استعمله الخليل بهذا المعنى المعروف قال سيبويه: «زعم الخليل أن التحقير إنما يكون في الصدر لأن الصدر عندهم بمنزلة المضاف والآخر بمنزلة المضاف إليه»⁽⁴⁾.

8- **مصطلح «ألف الاستفهام»:** بمعنى همزة الاستفهام وهنا يظهر لنا مصطلح الألف أقدم من الهمزة: «وزعم الخليل أن الألف واللام اللتين يعرفون بهما حرفا واحدا كقد، وأن ليست واحدة منهما منفصلة من الأخرى كأنفصال ألف الاستفهام في قوله: أأريد...»⁽⁵⁾

9- **مصطلح «البدل»:** يعد الخليل أول من ابتكر هذا المصطلح الذي لم يرد قبله وهو التابع المقصود بالحكم بلا واسطة⁽⁶⁾، وقد ورد في الكتاب على لسان الخليل حينما سأله سيبويه عنه قال: «وسألت الخليل عن قوله:

متى تأتينا تلمم بنا في ديارنا ... تجد حطباً جزلاً وناراً تاججاً⁽⁷⁾

قال: تلمم بدل من الفعل الأول. ونظيره في الأسماء: مررت برجل عبد الله»⁽⁸⁾

1 - سيبويه: الكتاب، ج2، ص:13.

2 - ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (ضيف)، ج9، ص:210.

3- محمد ابراهيم عبادة: معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية، مكتبة الآداب (القاهرة)، ط1(1432هـ-2011م)، ص:194.

4 - سيبويه: الكتاب، ج3، ص:475.

5 - المصدر السابق، ج3، ص:324.

6 - محمد ابراهيم عبادة: معجم مصطلحات النحو، ص:60.(ينظر في تعريفات البدل في مختلف كتب النحو).

7 - البيت لعبيد الله بن الحر الجعفي: ينظر شعره في كتاب (شعراء أمويون).

8 - سيبويه: الكتاب، ج3، ص:86.

10- مصطلح « التثنية »: هذا المصطلح يعني ما دل على اثنين وهذا ما ذكره الخليل في مصطلحاته إلا أنه أضاف له معنى آخر ويتضح ذلك في قول سيبويه في لفظ (حنانيك) أن الخليل زعم: « أن معنى التثنية أنه أراد تحنناً بعد تحنن... »⁽¹⁾ وكأنه يريد بذلك التوكيد والتكثير.

11- مصطلح « التوكيد »: ذكرنا هذا المصطلح ودلالاته قبل الخليل لكن في هذه المرحلة عنده أضاف لنا معنى (الزيادة) وفي هذا الباب ذكر سيبويه فيما يرويه عن الخليل: « ... مررت برجل حسبك به من رجل : وزعم الخليل رحمه الله أن به ههنا بمنزلة هو، ولكن هذه الباء دخلت ههنا توكيداً »⁽²⁾

12- مصطلح « الصفة »: ظهر هذا المصطلح عند الخليل في كل من كتاب سيبويه وكتاب العين للخليل وبمعنيين هما:

أ- المعنى المعروف وهو التابع، قال سيبويه: « وزعم الخليل أنه يجوز له صوت صوت الحمار على الصفة لأنه تشبيبه، ثم جاز أن توصف النكرة به »⁽³⁾.

ب- بمعنى الاسم المشتق مثل اسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، واسم التفضيل، كما عبر عنه بمصطلح النعت...⁽⁴⁾، قال سيبويه: « وسألت الخليل عن قولهم: مذ عامٌ أوّل، مذ عامٍ أوّل، فقال أوّل ههنا صفة، وهو أفعل من عامك... »⁽⁵⁾

13- مصطلح « المبتدأ »: وجاء أيضاً بلفظ الابتداء في باب أحوال الاسم عند سيبويه فيما يرويه عن شيخه الخليل، ولم يطلق عليه الخليل هذا المصطلح لظاهر المعنى الدلالي، فيبين أن موضع المبتدأ الرفع دائماً⁽⁶⁾، ويعتبر الخليل أول من استعمل مصطلح المبتدأ يقول سيبويه: « وزعم الخليل رحمه الله أنه يستضعف أن

1 - سيبويه: الكتاب، ج1، ص: 348-351.

2 - المصدر السابق، ج2، ص: 26.

3 - المصدر نفسه، ج1، ص: 237.

4 - ينظر: عوض أحمد القوزي: المصطلح النحوي نشأته وتطوره، ص: 108.

5 - سيبويه: الكتاب، ج3، ص: 288.

6 - ينظر: عوض أحمد القوزي: المصطلح النحوي نشأته وتطوره، ص: 105.

يكون كلهم مبنياً على اسم أو على غير اسم ولكنه يكون مبتدأً أو يكون كلهم صفة. فقلت: ولم استضعفت أن يكون مبنياً؟ فقال: لأن موضعه في الكلام أن يُعمَّ به غيره من الأسماء بعدما يُذكر فيكون كلهم صفةً أو مبتدأً⁽¹⁾. ويفهم من هذا كله أنه استعمل المصطلح بمعناه اللغوي صدارة الكلام وأوله.

وقد قال الخليل في قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾⁽²⁾: «فإنما وقعت أنما ههنا لأنك لو قلت لأنك أنَّ إلهك إله واحد، وأنك تقتل النيام كان حسناً، وإن شئت قلت: إنما تقتل النيام على الابتداء، زعم ذلك الخليل. فأما إنما فلا تكون اسماً وإنما هي فيما زعم الخليل بمنزلة فعل ملغى مثل: أشهد لزيد خير منك لأنها تعمل فيما بعدها ولا تكون إلا مبتدأً بمنزلة إذا لا تعمل في شيء». ⁽³⁾

14- مصطلح « المفعول »: سبق ذكر استعماله قبل هذه المرحلة من نشأة المصطلح النحوي واستعمله الخليل فقد قال سيبويه: « وقال الخليل رحمه الله: إن شئت جعلت: رجعت عودك في بدئك مفعولاً بمنزلة قولك: رجعت المال عليّ أي رددت المال عليّ كأنه قال: تثبت عودي على بدئي». ⁽⁴⁾

15- مصطلح « الحذف »: وهو قطع الشيء من طرفه، يأتي أيضاً بمعنى الإسقاط ويراد به اصطلاحاً في علم صناعة النحو: « إسقاط كلمة من بناء جملة، وقد تكون هذه كلمة ركناً من أركانها: كالمبتدأ أو الخبر... وقد تكون حرفاً... ويراد به في الصرف إسقاط حرف أو أكثر...»⁽⁵⁾، ومعناه اللغوي قريب من المعنى الاصطلاحي ومطابق له قال سيبويه: « وسألته: لم لم يجز والله تفعل يريدون بها معنى ستفعل

1 - سيبويه: الكتاب، ج3، ص:288.

2 - الكهف: 110.

3 - سيبويه: الكتاب، ج3، ص:130.

4 - المصدر السابق، ج1، ص:395.

5 - محمد ابراهيم عبادة: معجم مصطلحات النحو...، ص:101-102.

فقال: من قبل أنهم وضعوا تفعل ها هنا محذوفة منها لا وإنما تجيء في معنى لا أفعل فكرها أن تلتبس إحداهما بالأخرى.»⁽¹⁾.

16- مصطلح « المضمَر »: وقد استعمل الخليل هذا المصطلح بمعنى الحذف أيضا وهو المصطلح الثاني قال سيبويه: « وزعم الخليل رحمه الله أن رجلاً لو قال: أتميمي يريد: " أنت " ويضمرها لأصاب.»⁽²⁾

17- مصطلح « الحكاية »: الحكاية لغة: « كقولك حكيت فلاناً وحاكيتُه فعلتُ مثل فعله أو قلتُ مثل قوله سواء لم أجازه »⁽³⁾، وهو من المصطلحات التي ابتكرها الخليل ولم تكن قبله قال الخليل: « ويقويّه في ذلك قوله وهو الربيع الأسدي:

عَلَى حِينٍ أَنْ كَانَتْ عَقِيلٌ وَشَائِظًا وَكَانَتْ كِلَابٌ خَامِرِي أُمَّ عَامِرٍ

فإنما أراد: كانت كلاب التي يقال لها خامري أم عامر. وقد زعم بعضهم أن رفعه على النفي كأنه قال: فأبيتُ لا حرج ولا محروم بالمكان الذي أنا به... وقال الخليل رحمه الله: كأنه حكاية لما كان يُتكلّم به قبل ذلك فكأنه حكى ذلك اللفظ.»⁽⁴⁾

18- مصطلح « اليمين »: استعمله الخليل بمعنى الحلف وهو ذات المعنى اللغوي قال سيبويه: « وسألته عن قوله لتفعلنّ؛ إذا جاءت مبتدأةً ليس قبلها ما يحلف به فقال: إنّما جاءت على نيّة اليمين وإن لم يتكلّم بالمحلف به.»⁽⁵⁾

19- مصطلح « الظرف »: وهو أيضا من المصطلحات التي استعملت لأول مرة حيث أن الظرف هو « وعاء كلُّ شيءٍ »⁽⁶⁾ وفي الاصطلاح: « ما ضمن من اسم وقت أو مكان معنى (في) باطرادٍ لواقعٍ فيه مذكورا أو مقدر ناصب له »⁽⁷⁾، وقد استعمله الخليل بمعنى الظرفية الزمانية والمكانية، وبمعنى المفعول فيه، قال سيبويه:

1 - سيبويه: الكتاب، ج3، ص:106.

2 - المصدر السابق، ج3، ص:16.

3 - ابن منظور: لسان العرب، مادة (حكي)

4 - سيبويه: الكتاب، ج2، ص:85.

5 - المصدر السابق، ج3، ص:106.

6 - ابن منظور: لسان العرب، ج9، ص:299(مادة ظرف).

7 - محمد ابراهيم عبادة: معجم مصطلحات النحو...، ص:202.

« وزعم الخليل رحمه الله أن النصب جيد إذا جعله ظرفاً وهو بمنزلة قول العرب: هو قريب منك وهو قريباً منك أي مكاناً قريباً منك. »⁽¹⁾

20- مصطلح النصب على الشتم: وهو أيضاً من أول المصطلحات التي ذكرها الخليل في قول الشاعر حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله عنه):

لا بأسَ بِالْقَوْمِ مِنْ طُولِ وَمِنْ عِظَمِ جِسْمِ الْبِغَالِ وَأَحْلَامِ الْعَصَافِيرِ⁽²⁾

قال سيبويه: « قال الخليل رحمه الله : لو جعله شتما فنصبه على الفعل كان جائزاً »⁽³⁾

21- مصطلح « النداء »: استعمل هذا المصطلح من قبل لكن الخليل طوره بأن وضع له أبوابا لذا قال سيبويه: « وزعم الخليل رحمه الله أن الألف واللام إنما منعهما أن يدخلوا في النداء من قبل أن كل اسم في النداء مرفوع معرفة. وذلك أنه إذا قال يا رجل ويا فاسق فمعناه كمعنى يا أيها الفاسق ويا أيها الرجل وصار معرفة لأنك أشرت إليه وقصدت قصده واكتفيت بهذا عن الألف واللام وصار كالأسماء التي هي للإشارة نحو لهذا وما أشبه ذلك وصار معرفة بغير ألف ولام لأنك إنما قصدت قصدَ شيء بعينه. »⁽⁴⁾

22- مصطلح « الندبة »: والندبة أن تدعوَ النادية الميتَ بحسنِ الثناء في قولها: وأفلاناه! واهناه! واسم ذلك الفعل: الندبة⁽⁵⁾، واصطلاحاً: « يراد به : نداء المتفجع عليه لفقده حقيقة أو حكماً، أو المتوجع منه لكونه محل ألم، أو سببا له؛ مثل: واعمره، وارأساه... »⁽⁶⁾.

1 - سيبويه: الكتاب، ج1، ص:409.

2 - حسان بن ثابت (رضي الله عنه): ديوان حسان بن ثابت، تح: عبد أمهنا ، دار الكتب العلمية (1414هـ - 1994م)، ط. العلمية، ص:129.

3 - سيبويه: الكتاب، ج2، ص:74.

4 - المصدر السابق، ج2، ص:197.

5 - ينظر: ابن منظور: لسان العرب، ج1، ص:197.

6 - محمد إبراهيم عبادة: معجم مصطلحات النحو...، ص:287.

فحينما نقف عند المعنيين اللغوي والاصطلاحي نجد أن المعنيين متطابقان لذا استقر هذا المصطلح ليومنا هذا.

23- مصطلح « العطف »: هو من المصطلحات التي تم وضعها قبل الخليل وكتب لها البقاء ليومنا؛ والعطف في اللغة هو الميل إلى الشيء واصطلاحاً: « التابع الذي يتوسط بينه وبين متبوعه أحد حروف العطف »⁽¹⁾ قال سيبويه: « وقال الخليل رحمه الله: إذا قلت يا هذا وأنت تريد أن تقف عليه ثم تؤكد به باسم يكون عطفاً عليه فأنت فيه بالخيار: إن شئت رفعت وإن شئت نصبت وذلك قولك يا هذا زيد وإن شئت قلت زيداً يصير كقولك: يا تميم أجمعون وأجمعين.»⁽²⁾

تجدر الإشارة أن هذه معظم المصطلحات التي ابتكرها الخليل بن أحمد الفراهيدي - رحمه الله - والتي ذكرها تلميذه سيبويه في كتابه الشهير (الكتاب) والتي منها بعض المصطلحات التي ذكرت قبل الخليل ومنها ما طورها ومنها ما هو جديد من ابتكار الخليل؛ لكن هناك الكثير من المصطلحات الأخرى التي جاءت في الكثير من المواضيع لا سيما كتابه (العين) وكانت هذه المصطلحات هي النواة الرئيسية لمرحلة تقعيد المصطلح النحوي والتي قادها بعده تلميذه سيبويه ومن المصطلحات التي ذكرها الخليل في كتابه العين: « مصطلح : الاعراب وغير الاعراب - الخفض - الإجراء والصرف - الكناية - اللازم والمتعدي والمجاور - الحال والقطع - الإغراء - الفعل - الماضي والغابر - النقص - الأداة - الصفة - الأزمان - إضمار الصفات - حروف الجزاء - الزيادة - الحشو - الزائد - الصلة - العماد - التثبية - النعت - المصدر - النفي والجحد - السقط - الطرح - الكف.»⁽³⁾

كما تظن الخليل بن أحمد إلى الحركات الاعرابية والتي أخضعها للتجربة مبتكراً بذلك تجديداً في هذه الحركات غير ما وضعه أبو الأسود الدؤلي مما يدل على قوة ذكائه فتوصل إلى مصطلحات الحركات الاعرابية و العمل الذي مارسه

1 - محمد ابراهيم عبادة: معجم مصطلحات النحو...، ص:212.

2 - سيبويه: الكتاب، ج2، ص:192.

3 - ينظر: يوخنا مرزا الخامس: موسوعة المصطلح النحوي، ج1، ص:181...199.

الخليل بن أحمد في هذا الصدد يعد نقلة فكرية تطويرية قُدَّت على غير قياس، فقد استعاض الشكل بالنقط للدلالة على حركات الإعراب، حيث استعمل الشكل بصور تدل على الحركة الصوتية للحرف، فالفتحة من الألف، والضمّة من الواو، والكسرة من الياء⁽¹⁾. لكن ما يجب الإشارة إليه أن هذه المصطلحات لها علاقة بالجانب الصوتي أكثر منها الجانب النحويّ مثل: (الإمالة - الرّوم - الإشمام - التضعيف).

2- سيبويه والمصطلح النحويّ:

سيبويه هو: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر البصري، المعروف بسيبويه (140 هـ/760 م - 180 هـ/796 م) إمام العربية وشيخ النحاة الذي إليه ينتهون وهو أول من بسّط علم النحو. وله كتاب في النحو يسمى "الكتاب" وهو أول كتاب منهجي ينسق ويدون قواعد اللغة العربية، « لم يكتب الناس في النحو كتاباً مثله ».

ولد في مدينة البيضاء قرب شيراز في بلاد فارس، كان مولى بني الحارث بن كعب، ثم مولى آل الربيع بن زياد الحارثي. وقدم إلى البصرة غلاماً، وقد اختلف في موعد قدومه تحديداً، ونشأ فيها وأخذ عن علمائها، وعلى رأسهم الخليل بن أحمد الفراهيدي، وأغلب الظن أن وفاة سيبويه لم تكن طبيعية، فإنه حين علم بعد مناظرة الكسائي أنهم تحاملوا عليه وتعصّبوا للكسائي خرج من بغداد وقد حمل في نفسه لما جرى عليه، وقصد بلاد فارس ولم يعرج على البصرة، وأقام هنالك مدةً إلى أن مات كمدًا، ويُروى أنه ذرّبت معدته فمات. وفي مكان وفاته والسنة التي مات بها خلافٌ عريض، والراجح من الأقوال أن ذلك كان في شيراز سنة ثمانين ومائة من الهجرة (180 هـ الموافق 796 م).

تتلمذ سيبويه على يد علماء كثيرين أهمهم وأبرزهم:

- الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170هـ) واضع علم العروض ومؤسسه وهو يعتبر أكثر العلماء تأثيراً فيه حيث روى عنه خمسمائة واثنين وعشرين مرة في (الكتاب) وقد ذكرنا في مصطلحات الخليل الكثير من هذه المسائل.

1 - ينظر: عوض بن حمد القوزي: جهود الخليل في صناعة المصطلحات النحوية (مقال).

- ثانيهم : (الأخفش الأكبر ت: 177 هـ) واسمه: أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد.

- وثالثهم: (عيسى بن عمرَ الثقفي، ت: 149 هـ)

- ورابعهم: (أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري البصري، ت: 215 هـ)⁽¹⁾

وليس المقام هنا مقام ترجمة لسيبويه إلا بما يخدم الغرض الذي نحن بصدده وإظهار مدى الملكة التي حبا الله تعالى بها هذا العالم فجعله يرتاد مرتبة " إمام النحاة"؛ لا لشيء إلا لأنَّ نحوه يعتبر مرحلة حقيقية لتقعيد المصطلح النحوي؛ فقد انطلق النحو على يده انطلاقاً حقيقية، ولعل السبب في ذلك أن أول كتاب وصلنا في النحو هو كتابه الموسوم بـ: (الكتاب)، ويعد هذا الكتاب الخزانة الأولى للمسائل النحويّة الجامعة لعلم النحو وقد تعدى في هذا المؤلف إلى مسائل لغوية أخرى كالصوتيات مثلاً.

وأما الأثر الذي تركه هذا الكتاب فهو أثر بالغ في العربية بصفة عامة ولا يمكن إدراكه في هذه الرسالة إلا بالنزر اليسير نظراً لطبيعة موضوع الرسالة ومدى اتساع موضوع المصطلح النحويّ عبر التاريخ ، وقد درج العلماء على استعظام هذا الكتاب لذا يقول الدكتور شوقي ضيف : « ... وقد بلغ من إعجاب الأسلاف به أن سموه " قرآن النحو" وكأنما أحسوا فيه ضرباً من الإعجاز لا لتسجيله فيه أصول النحو وقواعده تسجيلاً تاماً فحسب، بل أيضاً لأنه لم يكن ظاهرة من ظواهر التعبير العربي إلا أتقنها فقهاً وعلماً وتحليلاً »⁽²⁾.

كما لا يفوتنا هنا أن نبين أن هذا المؤلف يعتبر أيضاً مرحلة التدوين للنحو إذ أن العلماء قبل هذا المؤلف لم يدونوا النحو إلا ما جاء بشيء من العفوية كتعليقة

1 - وردت تراجم متعددة لهذا العالم الجليل منها : أبو بركات ابن الأنباري: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح: إبراهيم السمرائي، مطبعة المعارف- بغداد(1959م)، ص: 38 - ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح عبد الحميد محي الدين، القاهرة(1948م) ج3، ص: 143 - جلال الدين السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، مطبعة السعادة، 1326 هـ، ص: 366- أبو الطيب اللغوي : مراتب النحويين، تح: أبو الفضل إبراهيم، مكتبة النهضة القاهرة، 1955، ص: 65...(بتصرف)

2 - شوقي ضيف: المدارس النحويّة، ص: 6.

على بن أبي طالب - رضي الله عنه -، لذا فإن المرحلة التي كانت قبل سيبويه هي مرحلة شفويته، وحتى الخليل بن أحمد وما بلغ من نكاه إلا أن من أبرز سلبياته هو أنه لم يدون ما توصل إليه وإلا لكان هو واضع علم النحو بلا منازع، وعلى هذا يقول أبو الطيب اللغوي عن سيبويه: « وهو أعلم الناس بالنحو بعد الخليل...»⁽¹⁾.

ومن الأسباب التي تجعل الكتاب لسيبويه أول كتاب يدون النحو على قواعده وأصوله:

- تواصل واستمرار استعمال المصطلحات التي وردت في الكتاب إلى يومنا هذا ولم تتغير إلا ما توسع فيها علماء النحو كما سيرد لاحقاً.

- تطابق الدلالة في المصطلحات الواردة في الكتاب بين المعاني اللغوية والمعاني الاصطلاحية - غالباً - مما حال دون ابتداع مصطلحات جديدة خيراً منها فجعلها مستقرة وأصيلة تدل على المعنى بقوة دلالية غير متأثرة بالأفكار الأعجمية كالفكر اليوناني والسريالي، على الرغم من اختلاط العرب بهذه الأقوام الأعجمية، كما أنه يسهل على المتلقي فهم قواعد اللغة بيسر ودون حاجة إلى التعاريف.

- تعدد تسمية المصطلحات النحوية مما منح حرية للدارس في صناعة النحو في اختيار ما يناسب ذوقه وطبيعته لا سيما الطبيعة البيئية واختلاف السنة الناس وما جرى على لسانها⁽²⁾.

- براعة التبويب الذي بوبه سيبويه لهذا العلم إذ يعتبر الكتاب أول مصنف يتقن فيه صاحبه تصنيف هذا العلم جامعاً فيه ما توصل إليه السابقون وبخاصة الخليل بن أحمد، وما توصل إليه هو وطوره فقد قال أبو الطيب اللغوي: «... وألف كتابه الذي سماه الناس " قرآن النحو"، وعقد أبوابه لفظه ولفظ الخليل...»⁽³⁾

وقد بنى سيبويه كتابه على الأبواب - كما أسلفنا الذكر -، والأحكام والقواعد يبدأها بقوله: (اعلم...) وقد تتدرج في أثناء الكلام، وقد يستطرده بضرب أمثلة

1 - أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين، ص: 65.

2 - ينظر: يوخنا مرزا الخامس: موسوعة المصطلح النحوي، ج1، ص: 213.

3 - أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين، ص: 73.

أو أحكام تتعلق بالباب نفسه قال شوقي ضيف: « يغلب على سيبويه أن يعنى في توضيح الباب الذي يتحدث عنه بذكر أمثله التي تكشفه »⁽¹⁾. وقد شرح الكثير من المصطلحات النحوية متخذاً في شرحه شكلين اثنين، فإما أن يشرح المصطلح لوحده دون إطناب ، أو يردفه بمصطلح آخر فيصير أحدهما موضح للآخر، ومن أمثلة ذلك مصطلح الدعاء: فقد فرق سيبويه بين **مصطلح الدعاء** الذي هو ضرب من ضروب الأمر ويكون من العابد إلى المعبود وبين مصطلح الأمر العادي وقد وضع ذلك قائلاً: « واعلم أن الدعاء بمنزلة الأمر والنهي، وإنما قيل: (دعاء) لأنه استعظم أن يقال: أمر ونهي. وذلك قولك: اللهم زيدياً فاغفر ذنبي، وزيداً فاصلح شأنه، وعمراً ليجزه خيراً »⁽²⁾، إذاً نلاحظ من خلال هذا النص أن سيبويه أورد مصطلح الدعاء وفرق بينه وبين مصطلحي الأمر والنهي وأخضع هذا كله إلى الربط بين المعاني اللغوية والاصطلاحية.

ومما يجب الإشارة إليه قبل الحديث عن المصطلحات التي ابتدعها سيبويه يجب الإشارة إلى أمرين مهمين:

أولهما: التبويب الذي بوبه سيبويه في كتابه فقد دأب في وصف كل باب يقوله (هذا باب كذا كذا... وذلك قولك: كذا كذا) ثم يستوفي أمثلة الباب مثلاً مثلاً (وتقول... وتقول...) أو (ومثل ذلك...) أو (إذا قلت...) أو (لو قلت...) و(أما قوله...)

وفقسّم المصطلح النحويّ إلى قسمين اثنين متسلسلة على النحو التالي:

القسم الأول: اشتمل على ما يأتي:

الكلمة ، فاعل اللازم والمعتدي من الأفعال وأشباهاها، أسماء الأفعال، إضمار الفعل، المصادر المنصوبة، الحال، المفعول فيه، الجر والتوابع، عمل الصفات بعض المنصوبات، المبتدأ والخبر ، النكرة والمعرفة، الابتداء، إن وأخواتها، كم، النداء،

1 - شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص: 63.

2 - سيبويه: الكتاب، ج1، ص: 142. ينظر أيضاً: يوخنا مرزا الخامس: موسوعة المصطلح النحوي، ج1، ص: 231.

النسبة، الترخيم، لا التبرئة، الاستثناء، الضمائر، أي، من، ذا، نواصب الفعل المضارع وجوازمه، أسماء الشرط، توكيد الأفعال، إن وأن، أم، أو ..

القسم الثاني: اشتمل على:

ما ينصرف وما لا ينصرف، النسب، التصغير، حروف القسم، نونا التوكيد، إدغام المضعف، المقصور والممدود، تمييز الأعداد، التكسير، أوزان المصادر، صيغ الأفعال ومعاني الزوائد، زنة المصادر ذوات الزوائد، أسماء الأماكن، اسم الآلة ما أفعله، أحكام حلق العين، الإمالة، هاء السكت مع ألف الوصل، الوقف، هاء الضمير، الترتم، حروف الزوائد، القلب، الإعلال، وزن أفعلاء، التضعيف، الإدغام، ما خفف شذوذاً.

وسيبيويه لم يرتب الأبواب ترتيباً يوافق أبوابها، بل قام بالتقديم والتأخير بما يوافق المنطق الذي عمل به ، مراعيًا مواقف الإطالة حسب طبيعة كل موضوع باليسر المعقول مما قد يؤدي عنده إلى الاستدراك والاستطراد إلى تعدد الأبواب⁽¹⁾.

ثانياً: الكثير من المصطلحات الواردة في الكتاب هي مصطلحات ابتدئها شيوخ وأساتذة سيبويه وبخاصة الخليل كما أسلفنا الذكر فالكتاب صورة صادقة لجهود سيبويه وجهود من سبقوه من أساتذته من الطبقات السابقة لذا سنكتفي في هذا المبحث بذكر بعض المصطلحات التي ابتكرها فقط دون تكرار مصطلحات الخليل التي وردت في الكتاب، كما أن المصطلح عند سيبويه مجاله واسع يحتاج إلى دراسة لوحدها لذا سنقوم بتقسيم هذه المصطلحات على فكرة تقسيم النحويين للكلم إلى : اسم، فعل، حرف وعليه فإن التقسيم سيكون: مصطلحات دالة على الأسماء، ومصطلحات دالة على الفعل، ومصطلحات دالة على الحرف:

1 - فهد عبدالعزيز محمد العبد: منهج كتاب سيبويه وكتاب التصريف والمفصل والأصول والجمال واللمع والفية ابن مالك والتصريف الملوكي والشافية (مقال منشور على الموقع <http://faculty.ksu.edu.sa> بتاريخ:

2008/23/8 الساعة: 10:23)

المصطلحات التي ابتكرها سيبويه:

أ- مصطلحات دالة على الأسماء:

1- مصطلح « العلامة: قصد بها سيبويه الحركات الاعرابية.

2- مصطلح « الأسماء الغالبة»: ذكرها سيبويه حينما تحدث عن الترخيم وقد قصد بها أسماء العلم، قال سيبويه: « واعلم أنه ليس من اسم لا تكون في آخره هاء يُحذف منه شيء إذا لم يكن اسماً غالباً نحو زيد وعمرو من قبل أن المعارف الغالبة أكثر في الكلام وهم لها أكثر استعمالاً وهم لكثرة استعمالهم إياها قد حذفوا منها في غير النداء نحو قولك: هذا زيد بن عمرو ولم يقولوا هذا زيد ابن أخيك.»⁽¹⁾، وقد أسماها في موضع آخر مصطلح العلم الغالب⁽²⁾.

3- مصطلح « الكنية»: قال سيبويه: « ثعلبة وتقول: هذا أبو عمرو بن العلاء لأن الكنية كالاسم الغالب. ألا ترى أنك تقول: هذا زيد بن أبي عمرو فتذهب التتوين كما تذهب في قولك: هذا زيد بن عمرو لأنه اسم غالب.»⁽³⁾، فما يلاحظ هنا أن هذا المصطلح استعمله هنا بالمعنى الذي نستعمله في زماننا مما يدل على استقرار هذا المصطلح.

4- مصطلحات « الضمائر»: وقد قسم سيبويه مصطلحات الضمائر أيضاً بالتقسيم الذي نستعمله في زماننا أي: المتكلم، المخاطب، الغائب، واستعملها في باب من أبوابه قائلاً: « باب لا تجوز فيه علامة المضمَر المخاطب: ولا علامة المضمَر المتكلم ولا علامة المضمَر المحدث عنه الغائب وذلك أنه لا يجوز لك أن تقول للمخاطب: اضربك ولا اقتلك ولا ضربتك لما كان المخاطب فاعلاً وجعلت مفعوله نفسه قبْح ذلك لأنهم استغنوا بقولهم اقتل نفسك وأهلك نفسك عن الكاف ها هنا وعن إياك.»⁽⁴⁾.

1 - سيبويه: الكتاب، ج2، ص:256.

2 - ينظر: المصدر السابق، ج3، ص:507.

3 - المصدر نفسه، ج3، ص:506.

4 - المصدر نفسه، ج2، ص:366.

واستعمل أيضا مصطلح ضمير الجماعة قاصدا بها (واو الجماعة)⁽¹⁾.

5- مصطلح « الاسم المبهم »: المبهم في اللغة هو غير الواضح الذي لا يفهم معناه وقد جاء هذا المصطلح في الحقيقة عند سيبويه في الكثير من الأسماء لكن أهمها اسم الإشارة حيث قال: « واعلم أن الأسماء المبهمة التي توصف بالأسماء التي فيها الألف واللام تنزل بمنزلة أي وهي هذا وهؤلاء وأولئك وما أشبهها وتوصف بالأسماء. وذلك قولك يا هذا الرجل ويا هذان الرجلان. صار المبهم وما بعده بمنزلة اسم واحد...»⁽²⁾

6- مصطلح « الموصول والصلة »: قال سيبويه في هذا المصطلح « وتقول: أتاني القوم ما عدا زيدا وأتوني ما خلا زيدا. فما هنا اسمٌ وخلا و عدا صلة له كأنه قال: أتوني ما جاوز بعضهم زيدا. وما هم فيها عدا زيدا كأنه قال: ما هم فيها ما جاوز بعضهم زيدا وكأنه قال: إذا مثلت ما خلا وما عدا فجعلته اسماً غير موصول قلت: أتوني مجاوزتهم زيدا مثلته بمصدر ما هو في معناه كما فعلته فيما مضى.»⁽³⁾ ويلاحظ هنا أيضا أنه استعمل المصطلح بالمعنى المعروف عندنا. وقد استعمل أيضا مصطلح الحشو بمعنى (صلة الموصول): « ... لا يكون ما ومن إذا كان الذي بعدهما حشواً وهو الصلّة، إلا معرفة»⁽⁴⁾

7- مصطلحا « المسند والمسند إليه »: وقد استعمل هذين المصطلحين للدلالة على ركني الجملة الاسمية (المبتدأ والخبر) قال سيبويه: « فالمبتدأ كل اسم ابتدى ليبنى عليه كلاماً. والمبتدأ والمبني عليه رفع. فالابتداء لا يكون إلا بمبني عليه. فالمبتدأ الأول والمبني ما بعده عليه فهو مسند ومسند إليه.»⁽⁵⁾ وجاء أيضا مصطلح الاسم المبني عليه بمعنى الخبر في المقتبس نفسه.

1 - سيبويه: الكتاب، ج1، ص: 79.

2 - المصدر السابق، ج1، ص: 189.

3 - المصدر نفسه، ج2، ص: 349.

4 - المصدر نفسه، ج2، ص: 107.

5 - المصدر نفسه، ج2، ص: 126.

8- مصطلح « النفاذ »: جاء في لسان العرب في مادة (نفذ): « النَّفَّاذُ: الجـواز، وفي المحكم: جوازُ الشيء والخلوصُ منه. تقول: نَفَذْتُ أَي جُزْتُ، وقد نَفَذَ يَنْفِذُ نَفَازًا وَنُفُوزًا.»⁽¹⁾، وقد قال سيبويه في هذا المصطلح: « فإن قلت: ضرب زيد اليد والرجل جاز " على " أن يكون بدلا وأن يكون توكيدا. وإن نصبته لم يحسن لأن الفعل إنما أنفذ في هذه الأسماء خاصة إلى المنصوب إذا حذفته منه حرف الجر إلا أن تسمع العرب تقول في غيره وقد سمعناهم يقولون: مطرتهم ظهراً وبطناً.»⁽²⁾، ومما يبدو أن هذا المصطلح يعني التعدي ومنه التعدي إلى المفعول به إلا أنه من خلال قوله: " أن يكون بدلا وأن يكون توكيدا" يلاحظ أنه استعمل مصطلح النفاذ أوسع من التعدي، فالتعدي في النحو هو للمفعول به أما النفاذ فقد وسعه لبقية المنصوبات كالبديل أو التوكيد (إذا كانا منصوبين) أو التمييز... إلخ⁽³⁾.

9- مصطلح « الاشتغال »: قال سيبويه: « فإن قلت: ما أنا زيد لقيته رفعت إلا في قول من نصب زيدا لقيته لأنك قد فصلت كما فصلت في قولك: أنت زيد لقيته." وإن كانت ما التي هي بمنزلة ليس فكذلك كأنك قلت: لست زيد لقيته " لأنك شغلت الفعل " بأنا " وهذا مبتدأ بعد اسم وهذا الكلام في موضع خبره وهو فيه أقوى لأنه عامل في الاسم الذي بعده.»⁽⁴⁾ والحق أن هذا المصطلح لم يتغير وهو ثابت إلى يومنا بالمعنى نفسه.

10- مصطلح « الاختصاص »: معنى الاختصاص في اللغة هو أفراد الشيء دون غيره أما في المعنى الاصطلاحي: « أن يتقدم ضمير ينلوه اسم معرفة يفسر ذلك الضمير. وهذا الاسم يكون منصوبا بفعل محذوف تقديره أخص...»⁽⁵⁾، وعند سيبويه يعتبر من المصطلحات التي ابتدعتها: « هذا باب من الاختصاص يجري على ما جرى عليه النداء فيجيء لفظه على موضع النداء نصباً لأن موضع النداء نصب

1 - ابن منظور: لسان العرب، ج3، ص:514. مادة (نفذ).

2 - سيبويه: الكتاب، ج1، ص:160.

3 - ينظر: يوخنا مرزا الخامس: موسوعة المصطلح النحوي، ج1، ص:247.

4 - سيبويه: الكتاب، ج1، ص:147.

5 - محمد ابراهيم عبادة: معجم مصطلحات النحو...، ص:125.

ولا تجري الأسماء فيه مجراها في النداء لأنهم لم يجروها على حروف النداء ولكنهم أجروها على ما حمل عليه النداء. وذلك قولك: إنا معشر العرب نفعل كذا وكذا كأنه قال: أعني ولكنه فعلٌ لا يظهر ولا يُستعمل كما لم يكن ذلك في النداء.»⁽¹⁾

11- مصطلح « التفسير »: التفسير لغة هو: البيان... وفسرهُ: أبانه، والتفسيرُ مثله. ابن الأعرابي: التفسيرُ والتأويل والمعنى واحد.⁽²⁾ وقد استعمله سيبويه بمعنى التمييز، قال سيبويه: « ولا يجوز لك أن تقول نعمَ ولا رَبِّه وتسكت لأنهم إنما بدأوا بالإضمار على شريطة التفسير وإنما هو إضمار مقدّم قبل الاسم والإضمار الذي يجوز عليه السكوت نحو زيدٌ ضربته إنما أضمر بعد ما ذكر الاسم مظهراً فالذي تقدم من الإضمار لازمٌ له التفسير حتى يبيّنه ولا يكون في موضع الإضمار في هذا الباب مظهر.»⁽³⁾، وقد استعمل أيضاً مصطلح التبيين بمعنى التمييز: «... فصار هذا تبييناً لموضع ما ذكرت كما صار الدرهمُ...»⁽⁴⁾

12- مصطلح « المفعول فيه »: قال سيبويه: « فأنّ الأسماء التي تعمل فيها صلة لها كما أنّ أن الأفعال التي تعمل فيها صلة لها. ونظير ذلك في أنه وما عمل فيه بمنزلة اسم واحد لا في غير ذلك قولك: رأيت الضارب أباه زيد فالمفعول فيه لم يغيّره عن أنه اسم واحد بمنزلة الرجل والفتى. فهذا في هذا الموضع شبيهة بأنّ إذ كانت مع ما عملت فيه بمنزلة اسم واحد فهذا ليعلم أنّ الشيء يكون كأنه من الحرف الأوّل وقد عمل فيه.»⁽⁵⁾، وما يلاحظ أنّ سيبويه استعمل هذا المصطلح بمعنى (المفعول به) في حين ما هو متعارف في النحو أنّ المفعول فيه يتعلّف بالاسم المنصوب على الظرفية الزمنية.

1 - سيبويه: الكتاب، ج2، ص:233.

2 - ابن منظور: لسان العرب، ج5، ص:55. مادة (فسر).

3 - سيبويه: الكتاب، ج2، ص:176.

4 - المصدر السابق، ج2، ص:191.

5 - سيبويه: الكتاب، ج3، ص:120.

13- مصطلح « الاستغاثة »: يراد بالاستغاثة: « نداء من يفرج كربة أو يُنقذ من خطر... »⁽¹⁾، واستعملها سيبويه بهذا المعنى في الكثير من المواضع في كتابه وهو المشهور عند جمهور النحاة لاسيما الذين خلفوه وقد قال: «... وقالوا: يا للعجب ويا للماء لما رأوا عجباً أو رأوا ماء كثيراً كأنه يقول: تعال يا عجب أو تعال يا ماء فإنه من أيامك وزمانك. ومثل ذلك قولهم: يا لدواهي أي تعالين فإنه لا يُستتكر لكن لأنه من إيانك وأحيانك. وكل هذا في معنى التعجب والاستغاثة وإلا لم يجز. »⁽²⁾ واستعمل مصطلحي المدعو ويقصد به (المستغاث) والمدعو له قاصداً به (المستغاث له) بالمعنى نفسه أيضاً⁽³⁾.

14- مصطلح « الترخيم »: الترخيم في اللغة يقصد به: « والتَّرخِيمُ التلبيس؛ ومنه الترخيمُ في الأسماء لأنهم إنما يحذفون أو آخرها لِيَسَهَّلُوا النطق بها، وقيل: التَّرخِيمُ الحذف؛ ومنه تَرْخِيمُ الاسم في النداء... »⁽⁴⁾، وفي الاصطلاح: حذف حرف من آخر الاسم المنادى إذا كان علماً أو نكرة مقصودة... »⁽⁵⁾، أما عند سيبويه فقد وضع له باباً قال: « هذا باب الترخيم: والترخيم حذف أو آخر الأسماء المفرد تخفيفاً كما حذفوا غير ذلك من كلامهم تخفيفاً وقد كتبناه فيما مضى وستراه فيما بقي إن شاء الله تعالى. »⁽⁶⁾

15- مصطلحات « الظروف »: استعمل سيبويه الكثير من مصطلحات الظروف للدلالة إما على الزمان أو المكان ومنها:

- **ظرفا الزمان والمكان:** قال: « واعلم أن لا وما عملت فيه في موضع ابتداء كما أنك إذا قلت: هل من رجل فالكلام بمنزلة اسم مرفوع مبتدأ. وكذلك: ما من رجل وما من شيء والذي يُبنى عليه في زمان أو في مكان ولكنك تضمه وإن شئت أظهرته.

1 - محمد ابراهيم عبادة: معجم مصطلحات النحو...، ص: 225.

2 - سيبويه: الكتاب، ج2، ص: 217.

3 - ينظر: بوخنا مرزا الخامس: موسوعة المصطلح النحوي، ج1، ص: 252.

4 - ابن منظور: لسان العرب، ج12، ص: 234. (ماد: رخم).

5 - محمد ابراهيم عبادة: معجم مصطلحات النحو...، ص: 140.

6 - سيبويه: الكتاب، ج2، ص: 239.

وكذلك لا رجل ولا شيء إنما تريد لا رجل في مكان ولا شيء في زمان.»⁽¹⁾ واستعمل من المصطلحات الأماكن المختصة، والأماكن، والوعاء، والحين، وأسماء الدهر، وغيرها .. لكن كل هذه الاستعمالات لم تعد كونها لغوية فحسب⁽²⁾.

ب- مصطلحات دالة على الأفعال:

1- مصطلح « الفعل المضارع »: « المضارعة لغة المشابهة. والمضارعة للشيء: أن يُضارِعَه كأنه مثله أو شَبْهه. »⁽³⁾ وقد وقع اختيار هذا المصطلح من سيبويه بسبب حروف الزوائد الواردة في أوائلها المجموعة في كلمة (أنيت). قال سيبويه: «وللأفعال المضارعة لأسماء الفاعلين التي في أوائلها الزوائد الأربع: الهمزة والتاء والياء والنون. وذلك قولك: أفعَلُ أنا وتفعل أنت أو هي ويفعل هو ونفعل نحن.»⁽⁴⁾

2- مصطلح « فعل المستقبل »: ما يعرف أن فعل المستقبل هو من الأفعال الدالة على المضارع إذ يقسم علماء النحو الأفعال إلى: ماضي، ومضارع، وأمر ويقسم المضارع إلى: حاضر، ومستقبل، كما أن فعل الأمر هو ضرب من ضروب المستقبل إذ أن الأمر لا يتم إلا في المستقبل حينما يطلب فعله، عند سيبويه ففعل المستقبل هو (المضارع) وهو (الأمر) قال سيبويه: «فأما بناء ما مضى فذهب وسمع ومكث وحمد. وأما بناء ما لم يقع فإنه قولك أمراً: اذهب واقتل واضرب ومخبراً: يقتل ويذهب ويضرب ويقتل ويضرب.»⁽⁵⁾ فالفعل الذي لم يقع هو في المستقبل وهو عند سيبويه يدل على (المضارع والأمر) لذا نجده في الكتاب يتحدث عن (الماضي والمستقبل)⁽⁶⁾. قال سيبويه: «وذلك قولك: هذا بسراً أطيب منه رطباً. فإن شئت جعلته حيناً قد مضى وإن شئت جعلته حيناً مستقبلاً. وإنما قال الناس هذا

1 - سيبويه: الكتاب، ج2، ص:275.

2 - ينظر: يوخنا مرزا الخامس: موسوعة المصطلح النحوي، ج1، ص:250-251.

3 - ابن منظور: لسان العرب، ج8، ص: 223.(مادة: ضرع)

4 - سيبويه: الكتاب، ج1، ص:13.

5 - المصدر السابق، ج1، ص:12.

6 - ينظر: يوخنا مرزا الخامس: موسوعة المصطلح النحوي، ج1، ص:257.

منصوب على إضمار إذا كان فيما يستقبل وإذا كان فيما مضى لأن هذا لما كان ذا معناه أشبه عندهم أن ينتصب على إذا كان.»⁽¹⁾

3- مصطلح « فعل الأمر »: استعمل سيبويه هذا المصطلح للدلالة على المعنى الذي نعرفه في زماننا قال سيبويه: « وأما يا فتنيبه. ألا تراها في النداء وفي الأمر كأنك تتبه المأمور. قال الشاعر وهو الشماخ:

أَلَا يَا اسْتِقْيَانِي قَبْلَ غَارَةِ سَنْجَالٍ وَقَبْلَ مَنَايَا قَدْ حَضَرْنَ وَأَجَالٍ

وأما من فتكون لابتداء الغاية في الأماكن وذلك قولك: من مكان كذا وكذا إلى مكان كذا»⁽²⁾، ف: (استقْيَانِي) فعل أمر. كما استعمل أيضا مصطلح الأمر للدلالة على النهي على اعتبار أن النهي هو ضرب من النهي أي: الأمر بالكف عن فعل ما قال: « وتقول: كتبت إليه أن لا تقل ذلك وكتبت إليه أن لا يقول ذلك وكتبت إليه أن لا تقول ذلك. فأما الجزم فعلى الأمر. وأما النصب فعلى قولك لئلا يقول ذلك. وأما الرفع فعلى قولك: لأنك لا تقول ذلك أو بأنك لا تقول ذلك تحبره بأن ذا قد وقع من أمره.»⁽³⁾ أي: فأما الجزم فعلى النهي⁽⁴⁾

وقد استعمل سيبويه مصطلح فعل التقريب أيضا في باب كاد وأخواتها، وأفعال الشروع والرجاء⁽⁵⁾.

ج- مصطلحات دالة على الحروف:

1- مصطلح « الأداة »: استعمل سيبويه هذا المصطلح للدلالة على حروف القسم إلا أن الخليل استعمله للدلالة على حروف المعاني كما وسبق لنا أن ذكرنا في

1 - سيبويه: الكتاب، ج1، ص:400.

2 - المصدر السابق، ج5، ص:224.

3 - المصدر نفسه، ج3، ص:166.

4 - ينظر: يوخنا مرزا الخامس: موسوعة المصطلح النحوي، ج1، ص:259.

5 - ينظر: المرجع السابق، ج1، ص:260.

مصطلحات الخليل والسبب في ذكره هو تغير الدلالة من الخليل إلى سيبويه قال سيبويه: « وللقسم والمُقَسِّم به أدوات في حروف الجر... »⁽¹⁾.

2- مصطلح « حروف الإضافة »: استعمله سيبويه بمعنى حروف الجر قال سيبويه: « بالحقُّ ويجرُّ بحروف الإضافة كما يجرُّ حقُّ إذا قلت: إنك ذاهب بحقٍّ وذلك قولك: الله لأفعلن. »⁽²⁾. وقد بين سيبويه سبب هذه التسمية في قوله: « وإذا قلت: مررت بزيد فإنما أضفت المرور إلى زيد بالباء وكذلك هذا لعبد الله. وإذا قلت: أنت كعبد الله فقد أضفت إلى عبد الله الشبه بالكاف »⁽³⁾.

3- مصطلح « حروف (لام: القسم، واليمين، التوكيد، الابتداء) »: استعمل سيبويه كل لامٍ حسب معناها اللغوي⁽⁴⁾.

4- مصطلح « النون الثقيلة والخفيفة »: وهو من المصطلحات الجديدة التي استعملها سيبويه وأخضعها للجهاز الصوتي من حيث الدلالة إذ أن الخفيفة لا يحدث فيها تشديد على الحرف أما النونية فيتم من خلالها التشديد على الحرف قال سيبويه: « اعلم أن كل شيء دخلته الخفيفة فقد تدخله النونية. كما أن كل شيء تدخله النونية تدخله الخفيفة »⁽⁵⁾.

هذه معظم المصطلحات الجديدة التي ابتكرها سيبويه كما هناك الكثير من المصطلحات المشتركة بين الاسم والفعل والحرف التي توصل لها إذ لا يتسع المقام لشرحها إلا على سبيل الذكر فحسب ومنها :

مصطلح التشريك، الاشراك على التوهم، الوصف، التوكيد والتكرير، بدل الغلط والنسيان، الصفة المشبهة، الصفات الفاعلة وغير الفاعلة، أسماء الأفعال،

1 - سيبويه: الكتاب، ج3، ص:496.

2 - المصدر السابق، ج3، ص:497.

3 - المصدر نفسه، ج1، ص:421.

4 - ينظر: يوخنا مرزا الخامس: موسوعة المصطلح النحوي، ج1، ص:262-263-264.

5 - سيبويه: الكتاب، ج3، ص:508.

القلب، الموات، الأناسي، تمام الاسم ومنتهى الاسم، الاكتفاء، الصحبة، العدول،
التقاء الساكنين، المقصور والممدود والمنقوص...

وعليه فإن المصطلح النحويّ عند سيبويه قد عرف مرحلتة المهمة وهي
المرحلة التقييدية إلا أن هناك الكثير من الملاحظات عن المصطلح البصري وريادة
سيبويه ومن أبرزها تداخل المصطلح وتنوعه.

3- تنوع المصطلح عند سيبويه وتداخله:

إنّ ما يجعل كتاب سيبويه أكثر غموضاً استدراكاته الكثيرة، فقد يستدرك على
الباب نفسه فيلتبس الأمر على مَنْ يقرأه ولم يتدبر مسائله، وقد يبلغ بالاستدراك عدداً
من الأبواب إلا أن الباعث على انتهاج سيبويه هذا النمط هو مسaire مؤلفي وقارئ
عصره، الذي كان لا يهتدي إلى استخدام الحواشي، بل يدونها في متن الكتاب نفسه.

ومما لا شك فيه أن أسلوب الكتاب فيه الكثير من الغموض، وأمر آخر يواجه
قارئه في زمننا هذا، و مصطلحاته الجزئية وكثيراً من عباراته النحويّة قد غُيرت
وأصبحت الكتب المتأخرة الموضوعية في النحو ذات طابع أسلوبية يباين طابع
سيبويه بل من بعد عهد سيبويه من علماء النحو بعهد طويل.

« ومنهج سيبويه في كتابه، أنه إذا اختلفت أقوال العلماء فإنه يحكيها ويوازن
بينها ثم يحكم بالترجيح، وقد ضم إلى أقوال هؤلاء العلماء ما استخرجه بنفسه من
القواعد اعتماداً على سماعه من العرب الخالص، وأضاف تعليقات لم يسبق إليها فقد
كون سيبويه كتابه من أقوال العلماء، ومما استنتبه هو بنفسه، فكان جماع الفن
شاملاً كل ما يحتاج إليه طالبه مع الترتيب والتبويب.»⁽¹⁾

ومن أبرز الظواهر التي يلاحظها المتصفح والدارس لكتاب سيبويه والمصطلح
النحويّ في هذه المرحلة هي تعدد التسميات للمصطلح الواحد ومن بين هذه
المصطلحات على سبيل المثال لا الحصر:

1 - فهد عبدالعزيز محمد العبد: منهج كتاب سيبويه... (مقال)

- فجاء مصطلح الابتداء، والعامل المعنوي، والمبتدأ، والاستئناف، وصدارة الكلام، وبداية الكلام، والمسند و المسند إليه للدلالة على معنى واحد وهو المبتدأ وإن اختلفت التسمية.
- وجاء مصطلح المبهم للدلالة على عدة معانٍ منها: أسماء الإشارة، الضمائر، الأسماء الموصولة، الكنايات عن الأعداد.
- أما مصطلح المضمر فجاء بمعنى: المحذوف، والضمير، الصلة.
- ومصطلح الصلة جاء بمعنى: صلة الموصول، تمام الكلام، الحشو، الفعل المتعدي.
- ومصطلح الفاعل جاء بمعنى: الفاعل بمعناه الكامل في زماننا، وبمعنى الفعل اللازم، واسم الفاعل، والمبتدأ.
- ومصطلح العلم فسماه بهذا المصطلح وألق عليه مصطلح: العلامة، والعلم الخاص.
- ومصطلح الضمير سماه: الإضمار، والمضمر، وعلامة الإضمار.
- والأمثلة عن التداخل كثيرة لا يمكن حصرها، وقد أشار إليها الكثير من الباحثين.⁽¹⁾ ومعلوم أن هذا التداخل دائما يكون سببا في صعوبة فهم المصطلح وتشنت الذهن في إدراك المعنى المقصود منه.
- إن المتتبع لهذه المصطلحات التي وردت عند المدرسة البصرية ممثلة في أهم شيوخها: الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه على اختلاف تنوعها ومن يقارنها بالمصطلحات الحالية يجد أن معظم هذه المصطلحات قد كُتِب لها البقاء رغم التعدد والتنوع الذي ذكرنا والسبب في ذلك هو دقة الدراسة التي درسها هذان العالمان في انتقاء المصطلحات وربط الاصطلاح بالمعاني اللغوية مما يسهل على دارس النحو بديهية الفهم السريع.

1 - ينظر: يوخنا مرزا الخامس: موسوعة المصطلح النحوي، ج1، ص:279 وما يليها / وينظر: عوض أحمد القوزي: المصطلح النحوي نشأته وتطوره، ص:130 وما يليها.

لكن لم يبق المصطلح النحويّ على حاله بل زاد اتساعاً عند الكثير من النحويّين سواء من المدرسة البصرية من جاؤوا بعد سيبويه أو من النحويّين الذين اختلفوا مع المدرسة البصرية مشكلين بذلك تكتلاً علمياً جديداً أطلق عليه مدرسة الكوفة.

الفصل الثالث

توسع المصطلح النحوي في ظل المدرسة الكوفية

- توطئة.

أولا- المدرسة الكوفية والمصطلح النحوي.

1- نشأة المدرسة الكوفية.

2- طبقات المدرسة الكوفية و أهم نحاتها.

3- خصائص المدرسة الكوفية.

4- طبيعة المصطلح النحوي عند الكوفيين.

ثانيا- توسع المصطلح النحوي عند أشهر نحاة المدرسة الكوفية.

1- المصطلح النحوي عند الكسائي.

2- المصطلح النحوي عند الفراء.

3- المصطلح النحوي الكوفي بعد الفراء.

ثالثا- بعض أوجه الاختلاف بين البصريين والكوفيين.

1- أسباب الاختلاف بينهم وبين البصري.

2- المصطلح النحوي بين المدرستين (مقارنة).

3- نتائج الخلاف بين المدرستين.

توطئة:

حينما نبدأ الحديث عن المدرسة الكوفية قد يؤدي بنا ذلك إلى الحديث عن مدينة الكوفة التي كانت في ذلك الزمان حاضرة من حواضر الدنيا ومقصد الكثير من العلماء بمختلف مللهم ونحلهم ومشاربهم وتخصصاتهم لا سيما منهم علماء النحو العربي، وقراء القرآن. وقد نمت الكوفة نموا علميا سريعا نظرا لعدة عوامل حتى صارت في مطلع القرن الرابع الهجري إلى ما صارت إليه، والدارس لهذه المدينة لا بد له أن يراعي فيها الجانب الجغرافي، حيث أنها تتمركز في موقع يجعلها مقدا مهما بالنسبة لطلاب العلم فقد ذكر الدكتور مهدي المخزومي عن هذا الموقع في قوله: « وتم تخطيط الكوفة على يد سعد بن أبي وقاس بعد تخطيط البصرة بسنتين أو ثلاث، وكان قد نزل بها المسلمون في السنة السادسة عشرة للهجرة، أو في السنة السابعة عشرة، وقد خطت في الوادي الأوسط الخصيب، حيث كان يكثر النخيل ويزدحم على جانبيه، ويمتد إلى مسافات بعيدة بحذاء النهر»⁽¹⁾

كما كانت ولا تزال تتميز بمناخ جميل، فأرضها خصبة، وتنتشر فيها الأزهار والرياحين، وكثرة أمطارها الغزيرة سهلت من إخصابها مما جعل الخير يعم عليها وعلى أهلها وزوارها، فساعد كل هذا على جعلها مدينة حضارية بحق.

أما من الناحية التاريخية فإنه يرى بظواهرها منازل النعمان بن المنذر، والحيرة، والنجف، والخورنق، والسدير، والغريان، وما هنالك من المنتزهات والديارات الكثيرة⁽²⁾.

وقد اختار سعد بن أبي وقاس هذه الأرض لتكون حاضرة الدنيا كما أسلفنا ذلك من قبل ويذكر المرجع نفسه - أي مهدي المخزومي - بأنها كان يتعايش بها عدة

1 - مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة (ومنهجها في دراسة اللغة والنحو)، مكتبة مصطفى البابي، (1377هـ-1958م)، ط2، ص:3، ينظر أيضا: خديجة الحديثي: المدارس النحوية، (دار الأمل-الأردن -) ط3 (1422هـ-2001م)، ص:111.

2 - المرجع السابق، ص:4.

شعوب زيادة على العرب منها: الفرس، والبعض الشعوب السريانية، وبعض النصارى واليهود، والنبط.

ورغم تمصير البصرة قبل الكوفة إلا أن الكوفة كانت أيضا مقصد العرب وزعمائهم وقادتهم فقد نزلت فيهم بعض القبائل العربية كالشيبانيين، ونزل بها سبعون من صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، ممن شهدوا بدرًا، وثلاث مائة من أصحاب الشجرة، وقد مر على الكوفة زمن الخلافة الإسلامية قاعدة لها، وكان ذلك في عهد خلافة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) مؤسس علم النحو رفقة أبي الأسود الدؤلي فكانت بذلك متجه الأنظار من العلماء وأصحاب المصالح، وكان أبو العباس يقول - بعد أن استمع إلى ابن عياش الكوفي وأبي بكر الهذلي البصري في مناظرة طويلة-: « الكوفة بلاد الأدب، ووجه العراق، وهي غاية الطالب، ومنزل خيار الصحابة، وأهل الشرف»⁽¹⁾

ومع انتشار المسلمين في الأمصار الإسلامية انتشر معهم القرآن الكريم وحفظته وقرأه ممن تلقوا القرآن عن النبي - صلى الله عليه وسلم- على قرب عهدهم منه، أما عن طريق المشافهة والسماع المباشر، أو ممن أقرأهم على قراءاتهم، وكان حظ الكوفة من هؤلاء القراء على غرار الأمصار الأخرى، إذ اعتنى علماءها بقراءة القرآن اهتماما بالغا؛ كانت الكوفة على خلاف البصرة مشغولة بالفقه ووضع أصوله وفتاواه وبالقرارات وروايتها رواية دقيقة مما جعلها تحظى بمذهب فقهي هو مذهب أبي حنيفة وبمجموعة من القراء الذين شاعت قراءاتهم في العالم العربي وهم: ومن أبرز العلماء الذين اهتموا بالقراءات في الكوفة، علقمة بن قيس النخعي، والأسود بن يزيد النخعي، ومسروق بن الأجدع الهمذاني، وعمر بن شرحبيل، والحارث بن قيس، والربيع بن خثيم، وعمرو بن ميمون، وأبو عبد الرحمن السلمي، وزر بن حبيش، وعبيد بن نضيلة، وسعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي، وعامر بن شراحيل الشَّعْبِي...⁽²⁾.

1 - ينظر: مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة، ص: 11-12 (بتصرف).

2 - ينظر: المرجع السابق، ص: 18.

في هذه الأجواء نشأت مدرسة الكوفة التي تعتبر المدرسة الثانية التي ظهرت بعد المدرسة البصرية والتي اشتهرت بعلمائها وآرائها النحوية لاسيما منها الآراء حول المصطلح النحوي الذي نحن بصدد دراسته عند علماء هذه المدرسة.

أولاً- المدرسة الكوفية والمصطلح النحوي:

01- نشأة المدرسة الكوفية:

مما لا شك فيه أن المدرسة البصرية كان لها فضل السبق الزمني عن المدرسة الكوفية و لم يكن هذا بدافع النشاط العلمي إنما كان لعدة أسباب ومن بينها ظهور البصرة وتمصيرها قبل تمصير الكوفة وهذا ما يذهب إليه كل علماء النحو بغير خلاف، فانشغلت البصرة بنقط الحروف والاعراب في القرآن الكريم والنظر في المسائل النحوية والصرفية على اختلاف شؤونها وقد تبلور جزء منها عند عبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي (ت 117 هـ) في مسائل القياس والتعليل، وقد ذكرت بعض المراجع أن المدرسة الكوفية انشغلت بالفقه ورواية الحديث والقراءات القرآنية واتخذت لنفسها مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي (ت:150هـ) واهتمت أيضا برواية الشعر وتصنيف دواوينه: « إذ كانت في شغل عن كل ذلك بالفقه ووضع أصوله ومقاييسه وفتاواه وبالقراءات وروايتها رواية دقيقة، مما جعلها تحظى بمذهب فقهي هو مذهب أبي حنيفة وبثلاثة من القراء السبعة الذين شاعت قراءاتهم في العالم العربي، وهم: عاصم وحمزة والكسائي. وعُنيت بجانب ذلك عناية واسعة برواية الأشعار القديمة وصنعة دواوين الشعر، وإن كانت لم تعن بالتحري والتثبت فيما جمعت من أشعار، حتى ليقول أبو الطيب اللغوي: (الشعر بالكوفة أكثر وأجمع منه بالبصرة، ولكن أكثره مصنوع ومنسوب إلى من لم يقله، وذلك بين في دواوينهم) (1) « (2).

وتذكر معظم المراجع التاريخية أن مرجعية نشأة النحو الكوفي تعود لأبي جعفر الرؤاسي (قيل ت:187هـ) وعمه أي مسلم معاذ الهراء(ت:187هـ)-وقيل

1 - مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ص:74. (نقلا عن): شوقي ضيف : المدارس النحوية، ص:153.

2 - شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص:153.

190هـ) ، ثم عاد الرؤاسي إلى الكوفة بعدما أخذ النحو عن عيسى بن عمر وأبي عمر بن العلاء، وبدأ في تلقين النحو فأخذ عنه الكسائي، وألف لتلاميذه كتاباً أسماه (الفَيْصَل)⁽¹⁾، فكانت هذه أول بدايات النحو الكوفي إلا أن هذه البداية كانت مجرد مؤشرات لظهور المدرسة الكوفية كيانا مستقلاً بأفكاره عن المدرسة البصرية وإنما البداية الحقيقية للمدرسة الكوفية كانت للكسائي وتلميذه الفراء: «إنما يبدأ النحو الكوفي بدءاً حقيقياً بالكسائي وتلميذه الفراء، فهما اللذان رسما صورة هذا النحو ووضعاً أسسه وأصوله، وأعداه بحذقهما وفطنتهما لتكون له خواصه التي يستقل بها عن النحو البصري، مرتبين لمقدماته ومدققين في قواعده، ومتخذين له الأسباب التي ترفع بنيانه»⁽²⁾.

وقد نشأ النحو الكوفي بناءً على عدة عوامل أرست معالمه وأسست بنيانه وساعدت على انتشاره و ذكرت الدكتورة خديجة الحديثي وغيرها بعض هذه العوامل جاعلة منها مراكزاً ثقافية أدت إلى اتساع النحو في الكوفة ونلخصها فيما يلي:

- **مسجد الكوفة** الذي كان من مدرسة يلحق فيها العلم لا سيما تلقين القرآن الكريم وعلومه - على اعتبارنا ما ذكرنا - أن المدرسة الكوفية تعتبر مدرسة الرواية من قرآن وحديث وشعر ويعد نحاتها من أشهر القراء للقرآن الكريم وعلومه (كعاصم بن أبي النجود، وحمزة بن حبيب الزيات، وعلي بن حمزة الكسائي) ، وقد حفى هذا المسجد بحلقات العلم بمختلف تخصصاتها من فقه وحديث ورواية ووعظ ولغة حتى نمت الدراسة الأدبية بنمو جميع العلوم على اعتبار أن اللغة هي القلب والجامع بين كل هذه العلوم ومن بين العلماء الذين اشتهروا بهذه الحلقات الفراء الذي كانت له حلقة. فكان للمسجد دوراً مهماً في تلقين العلم ونشره.

1 - ينظر: شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص: 153. / خديجة الحديثي: المدارس النحوية، ص: 121 وما بعدها/ إبراهيم السامرائي: المدارس النحوية (أسطورة وواقع)، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط1 (1987م)، ص: 32.

2 - شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص: 154.

- **المناظرات** التي كانت تعقد في هذا المسجد وفي غيره بين الفقهاء وأهل العلم بثنتى صنوفهم من شعراء وأدباء ونحاة وغيرهم فكانت مرجعا ثقافيا أسهم بدوره في نشر الثقافة الكوفية آنذاك وازدهارها ولم يقتصر الحضور لهذه المناظرات على عامة الناس وطلبة العلم فحسب؛ بل تعدت إلى الأمراء والوزراء والولاة وأهل الساسة باختلافهم ومنهم ما كانت تعقد في مجالسهم. وقد كانت تشد الرحال في هذا السبيل من مصر إلى مصر كالتنقل من البصرة إلى الكوفة أو العكس وأدت هذه الرحلات أيضا للتوسع في نشر العلم عبر الأمصار ومن بين هذه الرحلات رحلة الكسائي للبصرة وسماعه من الخليل بن أحمد ورحلة أبي معاوية شيبان الذي أخذ عن الخليل ورحل إلى الكوفة واتخذ لنفسه مجلسا يلقي فيه النحو لأهلها.

- كان أيضا **للأمراء والخلفاء والوزراء والوجهاء وأهل المال** دورا مهما في نشر العلم في الكوفة إذ كانوا يتخذون من مجالسهم وبيوتهم دورا للعلم ومنهم من اتخذ لأولادهم معلمين ومؤدبين في دورهم ومنهم أبو معاوية شيبان وابن عبد الرحمن التميمي النحوي (ت 164 هـ)، وبالتالي كانت هذه الظاهرة سببا في انتشار العلم كزماننا⁽¹⁾.

وقد اهتمت الكوفة منذ تأسيسها بالعلوم الدينية ومن الأسباب في ذلك هو جماعة من الصحابة الذين بعثهم عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لتلقي القرآن وعلومه للكوفة على غرار الأمصار الأخرى والذين تحملوا عبئ هذه المهمة التي عرفوا قيمتها ومنزلتها، ومن بين هؤلاء الصحابة: أبو موسى الأشعري - رضي الله عنه - الذي بعث معلما ثم أمره عمر بن الخطاب على الكوفة، ثم جاء من بعده على بن أبي طالب - رضي الله عنه - الذي اهتم بشؤون السياسة وجعل عبد الله بن مسعود الذي عرف في زمانه بحفظه الجيد للقرآن ومعرفته بأحكامه وأسباب نزوله وملازمته للرسول صلى الله عليه وسلم فنشأت مدرسة للقرآن ثم بدأت تنشأ مدرسة

1 - ينظر: خديجة الحديثي: المدارس النحوية، ص: 113-114.

النحو التي كان لعلمائها الفضل في اتساعها ومنهم : يحيى بن وثاب (ت103هـ) وحمزة بن حبيب الزيات(ت106هـ)، وعاصم بن أبي النجود(ت127هـ)⁽¹⁾.

كانت هذه هي بداية نشأة مدرسة الكوفة التي اتفقت مع البصرية في بعض المسائل النحويّة واختلفت في الكثير منها وخاصة في المصطلح النحويّ.

02- طبقات المدرسة الكوفية وأهم نحاتها:

اختلفت الآراء في طبقات المدرسة الكوفية إذ أنّ بعض هذه الطبقات تزامنت مع المدرسة البصرية لا سيما منها الطبقة الثالثة، وآراء العلماء في هذا المجال (أي تحديد طبقات المدرسة الكوفية) ليس موضوعنا - لأن ندلي به ونبين هذه الآراء - لكن اخترنا منها الرأي الذي يحدها بخمس طبقات والحق: أن الكسائي وتلميذه الفراء هما اللذان أساسا المدرسة الكوفية(حسب رأي العديد من النحويين)⁽²⁾، إلا أن القدماء من نحاة الكوفة أنفوا أن تبدو مدرستهم متأخرة في نشأتها عن مدرسة البصرة، وأبوا إلا أن يذكروا أشخاصاً قبل الكسائي ينسبون إليهم المشاركة في نشأة مدرسة الكوفة، بل ويزعمون أنهم من رؤساء هذه المدرسة ومؤسسيها. وأول هذه الطبقات³:

أ- الطبقة الكوفية الأولى:

وتضم عالمين من علماء الكوفة بالقرن الثاني الهجري، وهما: الرؤاسي(ت....)، ومعاذ الهراء(ت190هـ)، فقد نسب إليهما أبو العباس ثعلب، وأبو بكر بن الأنباري قيام مدرسة الكوفة.

الرؤاسي: هو أبو جعفر محمد بن الحسن مولى محمد بن كعب القرظي، لقب بالرؤاسي لكبر رأسه، كانت نشأته بالكوفة، لكنه ورد البصرة ليتعلم العربية فأخذ عن عيسى بن عمر، وأبي عمرو بن العلاء، ثم رجع إلى الكوفة، حيث اشتغل فيها بالنحو مع عمه معاذ بن مسلم الهراء وغيره، وتتلذذ عليه الكسائي والفراء، وبه

1 - ينظر: خديجة الحديثي: المدارس النحويّة، ص: 117.

2 - من الآراء مهدي المخزومي ، وشوقي ضيف، وخديجة الحديثي، وإبراهيم السامرائي.

3 - ينظر: محمد الطنطاوي: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، دار المعارف- كورنيش النيل- القاهرة، ط2. ص: 115...120.

وبعمه تكونت الطبقة الأولى الكوفية، ويذكر ثعلب أنه صنّف في النحو كتاباً سماه (الفیصل)، وأن هذا الكتاب هو أول كتاب صنّف في نحو الكوفة⁽¹⁾.

وقد توفي الرؤاسي بالكوفة في عهد الخليفة هارون الرشيد، ولم يحدد العلماء تاريخاً لوفاته، ومعلوم أن الرشيد توفي سنة مائة وثلاثٍ وتسعين من الهجرة.

معاذ الهراء (ت190هـ) وقيل (180هـ): هو أبو مسلم معاذ بن مسلم الهراء يقال: إنه لُقّب بالهراء لأنه كان يبيع ثياباً هروية منسوبة إلى هراه كان يقيم بالكوفة، وهو عم أبي جعفر الرؤاسي، ومولى محمد بن كعب القرظي، وقد اشتغل مع ابن أخيه الرؤاسي بالنحو إلا أن عنايته بالأبنية غلبت عليه حتى عده بعض المؤرخين واضع علم الصرف، ولم يوقف لهم على مصنف في النحو، ولم ترو له كتب النحو أقوالاً أو آراءً نحوية، لكنه اشتغل مؤدباً لأولاد عبد الملك بن مروان⁽²⁾.

وهناك من ينسب لهذا النحوي مصطلح علم الصرف كالإمام السيوطي في كتابه (بغية الوعاة): «فقد حكى عن أبي بكر الزبيدي في (الطبقات) ما وقع لمعاذ بن مسلم مع رجل سمعه يسأل بعض تلاميذه، ويقول له: كيف تقول من ﴿تَوَزَّهُمَّ أَزًّا﴾⁽³⁾ يا فاعل افعل من ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾⁽⁴⁾، حيث أنكر الرجل ذلك في أبيات شعرٍ، وأجابهم معاذ بأبيات شعر كذلك»⁽⁵⁾.

ويقول الدكتور مهدي المخزومي: «ليس في القصة ما يثبت أن معاذاً هو واضع علم التصريف، وذلك لأن علم التصريف لم يُعرف في ذلك العهد، وإنما كان

1 - أبو بركات ابن الأنباري: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص: 50 - ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنبياء أبناء الزمان، ج3، ص: 176 - جلال الدين السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ص: 312 - أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين، ص: 24.

2 - أبو بركات ابن الأنباري: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص: 50. (توجد له تراجم في المصادر السابقة وهي متقاربة مع ما ذكرنا)

3 - مريم: 83

4 - التكوير: 08.

5 - جلال الدين السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ص: 421/. ينظر: شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص: 154.

جزءاً من النحو، وكانت مسأله تعد مسائل نحوية يخوض فيها النحاة دون تفريق بين باب وباب، ودون إشارة إلى أن ما يتصل منها بالصرف من وادٍ، وما يتصل منها بالنحو من وادٍ آخر، ولم تتفصل مسائل التصريف عن مسائل النحو إلا بعد سبويه بزمان طويل، ولم يثبت أيضاً أن معاداً عالج مسائل الصرف قبل أن يعالجها البصريون، فالناظر في كتاب سبويه يجد التصريف قد اجتاز مرحلة طويلة من النمو مهدت له سبيل الاستقلال، مما يدل على أن أصوله كانت تجري على السنة الدارسين قبل سبويه، فإن لم تكن هذه القصة موضوعة فليس معاداً بمبتكرٍ مثل هذه المسألة، بل كان في أكبر الظن مسبوقةً إلى أمثالها»¹.

ب- الطبقة الكوفية الثانية:

عاصرت هذه الطبقة زمن سبويه، فقد عد العلماء هذه الطبقة لعالم واحد هو:

علي بن حمزة الكسائي:

هو أبو الحسن علي بن حمزة مولى بن أسد، من أصل فارسي، وُلد بالكوفة سنة تسع عشرة ومائة للهجرة (119هـ)، ويقال: إنه سئل عن سبب تلقيبه بالكسائي، فقال: لأنني أحرمت في كساء، ويقال أيضاً: إنه كان يحرم مجلس حمزة بن حبيب الزيات مقرئ أهل الكوفة، وكان يلبس كساء أسود ثميناً، وحدث أن غاب فترة فافتقده أستاذه، فقال: ما صنع صاحب الكساء الجيد؟ فسمي بالكسائي لأجل ذلك، وقد نشأ بالكوفة أيضاً، وحرص منذ صغره على حضور مجالس القراء، فكان يجلس في حلقة سليمان بن أرقم راوي قراءة الحسن البصري، وفي حلقة أبي بكرٍ شعبة بن عياش راوي قراءة عاصم بن أبي النجود، وفي حلقة سفيان بن عيينة راوي قراءة عبد الله بن كثير، ثم لزم حلقة حمزة حتى حذق قراءته، وظل يُقرئ الناس بها، ثم

1 - مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة (ومنهجها في دراسة اللغة والنحو)، ص: 76.

اختار لنفسه قراءة صارت بعد ذلك إحدى القراءات السبع المتواترة، ثم اتجه إلى تعلم النحو؛ لأنه رأى أنه لن يبرع في قراءة الذكر الحكيم إلا إذا عرف إعرابه⁽¹⁾.

ولم تكن اللغة العربية وحدها مصدر ثقافة وشهرة الكسائي، فقد كان قارئاً قبل أن يتعلم النحو - كما أسلفنا الذكر - ، وكان إماماً للناس في القراءة بعد أستاذه حمزة، وأحد الأعلام الذين يُرجع إليهم في القراءات، ومكث مدة لا بأس بها في بغداد يعلم الناس القرآن بقراءة حمزة، ثم اختار لنفسه قراءة، وأقرأ بها خلقاً كثيراً، وكان يجلس بالمجلس الجامع على مقعد مرتفع، والناس من حوله يكتبون المصاحف بقراءته وينقطنونها ويضبطونها، ويرسمون مقاطع الآيات ومبادئها، وكان الرشيد يقربه ويعظم من شأنه، وكان يلزم الرشيد في حله وترحاله، والرشيد يأنس بمجالسته ومصاحبته، ويشيد بعلمه وفضله⁽²⁾.

ومما لا شك فيه أن الكسائي هو المؤسس الفعلي لمدرسة الكوفة، فقد اختار لنفسه منهجا استطاع به أن يثيق طريقه، وأن يزاحم منهج أهل البصرة، ففرض نفسه على البيئات الدراسية ببغداد، فهو إمام مدرسة الكوفة، وهو الذي وضع رسومها، ووطأ منهجها بما كان له من نشاط ملحوظ في الدرس والتصنيف - كما سنلاحظ ذلك -، يقول أبو الطيب اللغوي عن الكسائي: « كان عالم أهل الكوفة وإمامهم، إليه ينتهون بعلمهم، وعليه يعولون في روايته⁽³⁾، وقد خلف الكسائي تصانيف كثيرة تدل على غزارة علمه في النحو واللغة والقراءات، يذكر منها العلماء: كتاب (معاني القرآن)، وكتاب (القراءات)، وكتاب (مقطوع القرآن وموصله)، وكتاب (مختصر النحو)، وكتاب (اختلاف العدد)، وكتاب (الحدود في النحو)، وكتاب (الهجاء)، وكتاب (الحروف)، وكتاب (النوادر الأوسط)، وكتاب (النوادر الكبير) وكتاب (ما تلحن فيه العوام).

1 - أبو بركات ابن الأنباري: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص: 50 - ابن خلكان: وفيات الأعيان و أبناء الزمان، ج3، ص: 188 - جلال الدين السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ص: 403- أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين، ص: 74.

2 - ينظر: مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة (ومنهجها في دراسة اللغة والنحو)، ص: 99.

3 - أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين، ص: 74.

ج- **الطبقة الكوفية الثالثة:** وهي طبقة بزعامة الأخفش، يمثلها أربعة من علماء الكوفة، وهم: الأحمر، والفراء، وهشام الضرير، والحياني، وفيما يلي تفصيل القول عنهم:

الأحمر: هو أبو الحسن علي بن الحسن المعروف بالأحمر، وقيل: هو علي بن المبارك، وبه جزم الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد) كان جندياً من رجال النوبة على باب الرشيد، ثم سمت نفسه إلى العلم، فكان يترصد في الطريق الكسائي عند حضوره للرشيد، ويسير في ركابه وبحاشيته جيئة وذهاباً يستفيد منه المسألة بعد الأخرى حتى عدّ في أصحاب الكسائي. كان الأحمر يقظاً فطناً فأجاد التعلم والتعليم حتى بزّ أصحاب الكسائي، وأصبحت له مكانته، وكان كثير الحفظ للقوائد وأبيات الغريب حتى قال عنه ثعلب: كان يحفظ أربعين ألف شاهد في النحو، وقد أملى شواهد نحوية، واجتمع عليه الناس، ثم أراد الفراء أن يتممها فلم يجتمع له الناس كما اجتمعوا للأحمر (1).

الفراء: هو أبو زكريا بن زياد بن عبد الله بن مروان الديلمي مولى بني أسد، لُقّب بالفراء؛ لأنه كان يثري الكلام - أي: يقطعه - ويفصل القول فيه، وُلِدَ بالكوفة من أصل فارسي سنة أربع وأربعين ومائة للهجرة، وتلقى اللغة والنحو على أبي جعفر الرؤاسي والكسائي، وتبحر في علوم متنوعة؛ حيث كان يختلف منذ نشأته إلى حلقات المحدثين والقراء أمثال أبي بكر بن عياش وسفيان بن عيينة، كما اختلف إلى حلقات الفقهاء ورواة الأشعار والأخبار والأيام، فكان فذاً في معرفة أيام العرب وأخبارها وأشعارها، والطب والفلسفة والنجوم، وتقصى أطراف علم النحو حتى قيل فيه: الفراء أمير المؤمنين في النحو، وهو الذي قال: أموت وفي نفسي شيء من حتى؛ لأنها ترفع وتتصب وتخفض (2).

1 - ينظر: أبو بركات ابن الأنباري: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص:70. - أبو الطيب اللغوي : مراتب النحويين، ص:89.(بتصرف)

2 - أبو بركات ابن الأنباري: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص:81. - أبو الطيب اللغوي : مراتب النحويين، ص:86.(بتصرف)

وقد سار الفراء على نهج أستاذه الكسائي، فأكثر من الرواية عن الأعراب الذين لم تخالطهم شائبة اللحن ولم يأبه بمنهج البصريين، وقد قرأ كتاب سيبويه قراءة دقيقة ومضى يدون ملاحظاته عليه، ثم بدأ في التصنيف لطلابه في اللغة والنحو والدراسات المتصلة بالقرآن الكريم، حتى كثرت تصانيفه في ذلك، ومنها: كتاب (لغات القرآن)، وكتاب (المصادر في القرآن)، وكتاب (الجمع والتنثية في القرآن)، وكتاب (الوقف والابتداء في القرآن)، وكتاب (اختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام في المصاحف)، وكتاب (آلة الكتاب)، وكتاب (الفاخر)، وكتاب (النوادر)، وكتاب (مُشكل اللغة)، و(كتاب الأيام والليالي والشهور)، وكتاب (الواو)، وكتاب (المقصود) و(الممدود)، وكتاب (فعل وأفعل)، وكتاب في النحو سماه (الكتاب الكبير).

هشام الضرير: هو أبو عبد الله هشام بن معاوية الضرير، يوصف بأنه أذكى أنبه تلاميذ الكسائي بعد الفراء، وقد صحبه وأخذ عنه، وصار أبرع أصحابه في صناعة الإعراب بعد الفراء، ويدل على ذلك ما دوّنه له النحاة في كتبهم من أقوال وآراء نحوية، وقد قضى حياته في التدريس والإملاء على الطلاب، وعُني بالتصنيف في النحو فألّف فيه ثلاثة كتب هي: "الحدود"، و(المختصر)، و(القياس)⁽¹⁾.

الليثاني: وهو علي بن الحسن، أو علي بن المبارك، وقيل: ابن حازم، وكنيته أبو الحسن، ولقبه الليثاني لكونه من بني لحيان بن هذيل بن مدركة، وقيل: سُمي الليثاني لعظم لحيته، كان من مقدم أهل الكوفة، أخذ عن الكسائي وأبي عمرو الشيباني من الكوفيين، وعن أبي زيد والأصمعي وأبو عبيدة من البصريين، لكن جُلَّ اعتماده كان عن الكسائي، كما لقي الفصحاء من الأعراب، وكان أحفظ الناس للنوادر عن الكسائي وغيره، واشتهر بكتاب في اللغة يسمى (النوادر)، وكان يتصدر للإملاء في زمن الفراء، ومن نواتجه في النحو جملة حكايات.⁽²⁾

د - الطبقة الكوفية الرابعة: يمثلها أربعة من علمائهم: يعقوب بن السكيت إمامها، وابن سعدان، والطوال، وابن قادم:

1 - أبو بركات ابن الأنباري: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص: 129. (بتصرف)

2 - المصدر السابق، ص: 137. - أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين، ص: 90. (بتصرف)

يعقوب بن إسحاق بن السكيت: صاحب كتاب (إصلاح المنطق) كنيته أبو يوسف، من علماء بغداد، ممن أخذ عن الكوفيين، وكان من أصحاب الكسائي، حسن المعرفة بالعربية، عالماً بنحو الكوفيين وبعلم القرآن والشعر، ولهذا وصفه ثعلب بأنه كان متصرفاً في أنواع العلوم، وقد لقي فصحاء الأعراب وأخذ عنه، حكى في كتبه ما سمعه منهم، وخلف مصنفاً غالبها في اللغة منها: (الألفاظ)، و(المقصود) و(الممدود)، و(المذكر والمؤنث)، وكتاب (الفرق)، وكتاب (فعل وأفعل)، و(الأصوات)، و(الأضداد)، و(النوادر)، و(معاني الشعر)، و(القلب والإبدال)، ويقال: إنه لم يكن متعمقاً في علم النحو، وقد توفي سنة ست وأربعين ومائتين⁽¹⁾.

ابن سعدان: أبو جعفر محمد بن سعدان الضرير، نشأ بالكوفة، وأخذ عن أبي معاوية الضرير وغيره، ثم اشتهر بالعربية والقراءات، لكنه ليست له أقوال كثيرة في النحو، وكان ثقة يُعلم العامة القرآن وقراءاته، وكان يقرأ بقراءة حمزة، ويقال: إنه صنف كتاباً في النحو، وكتاباً في القراءات، وقد توفي يوم عيد الأضحى سنة إحدى وثلاثين ومائتين للهجرة⁽²⁾.

الطوال: أبو عبيد الله محمد بن أحمد بن عبد الله الطوال، نشأ بالكوفة، وسمع من الكسائي وغيره، وقدم بغداد، وسمع منه أبو عمر الدوري المقرئ، وصفه ثعلب بأنه كان صادقاً بالقاء العربية، وتوفي سنة مائتين وثلاث وأربعين للهجرة.

ابن قادم: أبو جعفر محمد بن عبد الله بن قادم، أخذ النحو عن الفراء، وأخذه عنه ثعلب، وكان حسن النظر في علل النحو، واشتغل التدريس لأبناء الأمراء، وألف في النحو (الكافي)، و(المختصر)، وتوفي ببغداد سنة إحدى وخمسين ومائتين من الهجرة.

هـ - الطبقة الكوفية الخامسة: وهي الطبقة الأخيرة من طبقات الكوفيين يمثلها شيخها ثعلب:

1 - أبو بركات ابن الأنباري: نزهة الألباء، ص: 138 - أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين، ص: 95 (بتصرف).

2 - أبو بركات ابن الأنباري: نزهة الألباء، ص: 123.

هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن يزيد المعروف بثعلب، كان أبوه من موالي بني شيبان، ويُحتمل أن يكون فارسي الأصل، وقد وُلِدَ ببغداد في عصرها الذهبي سنة مائتين للهجرة، وبها نشأ، ودفع به والده منذ صغره إلى كُتَّاب لتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن وأشعار العرب، وما أن بلغ التاسعة من عمره حتى يأخذ يتردد على حلقات العلماء، فأخذ النحو عن سلمة بن عاصم، واللغة عن ابن الأعرابي، وروى كتب أبي زيد الأنصاري، وأبو عبيدة، والأصمعي عن تلاميذهم، واستكمل ثقافته فدرس القراءات والحديث والتفسير ورواية الأخبار والأشعار، مما يجعله يشتهر بين علماء عصره بغزارة علمه، وسعة حفظه، وقوة ذاكرته، وصار موضع ثقتهم وإعزازهم وإكبارهم، وقد منحه الله حافظاً واعية مكنته من أن يستظهر ما يقرأه، فحفظ كتب الكسائي والفراء، وعكف على قراءة كتاب سيبويه وكتب الأخفش، ويقال: إنه لم يقرأ كتاب سيبويه على العلماء، وإنما قرأه بنفسه، ويبدو أنه قرأه بنفسه لأن ظرفه الخاص الذي وُجِدَ فيه منافساً للمبرد وغيره اضطره إلى الوقوف عليه ليتخذ منه وسيلة للرد على خصومه في المناظرات التي عُقدت بينه وبينهم، وكان جُلُّ عنايته في الدرس والإقراء متجهاً إلى كتب الكسائي والفراء، وبخاصة كتاب (معاني القرآن) للفراء⁽¹⁾.

ملاحظة: قد يطرح سائل عن السبب في هذه التراجم وبيان هذه الطبقات في حين لم تبين في المدرسة البصرية والغرض من ذلك هو بيان مدى اتساع المدرسة الكوفية في المصطلح النحوي الذي نشأ مع المدرسة البصرية (الفصل الثاني)، كما أن بيان مصادر دراسة النحو من خلال دراسة تراجم هؤلاء النحاة يبرز لنا مدى تطور المصطلح النحوي والأسباب التي أدت إلى تطوره كدراسة القرآن الكريم والحديث والشعر واتساع الشواهد النحوية التي عادة ما تعطي الكثير من المفاهيم والدلالات التي قد تغير في معاني المصطلحات وبالتالي تغير التسمية وتقريبها من المعنى الدلالي الذي يسهل على المتلقي الفهم السريع للنحو ومعانيه.

1 - ينظر: أبو بركات ابن الأتباري: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص: 173. - أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين، ص: 97. (بتصرف)

03- خصائص المدرسة الكوفية:

أولاً: اعتمادهم على السماع واحترامهم له : ذكرنا فيما سبق أن المدرسة الكوفية تعد مدرسة الرواية بمختلف مناهلها ونضجت ونمت في عصرهم حتى أصبح لها قواعد ومناهج يلتزمون بها، ولذلك انتشر علم القراءات القرآنية وكان الشعر العربي - وهو المعول عليه في كثير من الأحكام النحوية - أكثر وأفشى في الكوفة منه في البصرة، ولهذا اشتهر المذهب الكوفي عند كثير من الباحثين بأنه مذهب سماع فأصبح عندهم مقدساً، ويهون على الكوفيين نقض قاعدة نحوية، أو نقض أصل من أصول النحو، ولا يهون عليهم اقتراح المسموع.

والإتساع في الرواية عندهم هو فتح الأبواب على مصارعها لرواية الأشعار والأقوال والقراءات الشاذة، فهم لم يقتصروا على رواية المستعمل الشائع على الألسنة، ولا على رواية المأثور عن أعراب البادية، بل مدوها لتشمل ما ينطق به العرب المتحضرين مما يمكن أن يكون اللحن قد دخل على ألسنتهم، ولتشمل الشاذ والنادر من لغات العرب، وذلك لأنهم كانوا في الغالب من القراء، وكانت تجري في قراءتهم حروف تشدُّ على قواعد النحو البصري التي تلقاها عن البصريين، فخشي أن يُظن فيها أنها غير جائزة، أو أنها لا تجري على العربية السلمية، وربما خشوا اندثارها، فرأوا أن يتوسعوا في قواعد النحو والصرف حتى تشملها، فأفسحوا في تلك القواعد للقراءات واللغات الشاذة، كما أفسحوا فيها للأشعار الشاذة التي لا يعتد بها البصريون في تقنين قواعدهم.

ويتمثل الإتساع في السماع عندهم في أخذهم بجميع لغات العرب سكان البادية والحاضرة، سواء كانوا منعزلين أو مخالطين من غيرهم من الأمم، يقول "جولد ثيل" في تقديمه (للإنصاف): « إن الكوفيين يعدُّون كل تعبير منقول صحيحاً إذا صحت عندهم الرواية، وتصبح دلالته ذات قوة تعدل قوة القاعدة، أي: أنهم يجيزون كل مسموع عن العرب بصرف النظر عن القائل، ولا يمنعون ذلك من تغيير أقيستهم

وقواعدهم لتوافق ما يسمعون، فهم يريدون أن يضعوا قواعد للموجود حتى الشاذ، من غير أن يهملوا شيئاً.⁽¹⁾

ثانياً: التوسع في القياس: اعتنى الكوفيون بالقياس عناية بالغة، كما عني به البصريون أيضاً، إلا أنهم اختلفوا عنهم في التطبيق، فالبصريون لا يقيسون إلا على ما هو شائع وكثير وناتج من استقراء الكثير من الشواهد؛ للوصول إلى قاعدة مضبوطة. أما الكوفيون فتوسعوا في القياس من حيث أنهم يقيسون على الكثير والقليل والنادر والشارد، فهم أكثر قياساً من البصريين إذا راعينا من حيث الكثرة والكم، ومنه فإننا نستنتج أن البصريين أكثر دقة في القياس واستنباط القاعدة من الكوفيين؛ لأنهم لا يقيسون إلا على الأغلب الأكثر، أما توسع الكوفيين في القياس ناتج عن احترامهم للمسموع عند العرب، فأجازوا للناس أن يستعملوا استعمالهم ولو كان قليلاً لا يدخل في القواعد العامة التي توصل إليها البصريون، فهم يجعلون القليل والنادر أصلاً وأساساً لوضع القاعدة.

فالكسائي-مثلاً- فكان يكتفي بالشاهد الواحد إذا سمعه من أعرابي يثق بفصاحته ليقس عليه، ويبني عليه القاعدة، وإن كان هذا الشاهد لا نظير له مما يعده البصريين شاذاً لا يعتد فيه.

ويعلل الدكتور "شوقي ضيف" تعويل الكسائي على الشاذ؛ بأنه كان من القراء وكانت تجري في قراءته حروف تشذ على قواعد النحو البصري، فخشي أن يُظن أنها غير جائزة أو أنها لا تجري على العربية السليمة، ولكن ليس معنى ذلك أن الكوفيين اعترفوا بكل شاذ وقاسوا عليه، فقد وصف الفراء بعض الأساليب والاستعمالات بالشذوذ، ولم يقس عليها كقوله: وحكي عن الحسن البصري: أنا ككأ وأنت كي، واستعمال هذا في السعة شذوذ لا يلتفت إليه، وقوله عن عسى الغوير

1 - أبو البركات بن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر للطباعة والنشر، ج1، ص:05.

أبوساً: عسى لا يقاس، ولا يجوز إلا مع أن، وقوله عن أيش عندك: لا يجوز القياس على هذا في شيء من الكلام⁽¹⁾.

ثالثاً: الاعتماد على النقل واجتنابهم التأويل، والأحكام العقلية:

لقد ترتب على توسع الكوفيين في الرواية، وقياسهم على كل مسموع وإجراؤهم الكلام في الغالب على ظاهره، وتوسيعهم للقواعد، أنهم تخففوا وتقللوا من التأويل، ومن صور الحذف والتقدير، وقَلَّ عندهم ما كثر عند البصريين من التأويل والحمل على الشذوذ، والاضطرار، والاستتكار.

فالكوفيون لم يحاولوا كثيراً أن يوفقوا بين مثال مخالف للقاعدة، وبين القاعدة نفسها، أو أن يدرجوا النصوص تحت القاعدة بشيء من التأويل، بل كانوا يذهبون إلى وضع القواعد الفرعية التي تشمل ما خرَجَ عن القاعدة الأصلية.

ويوضح منهج الكوفيين في التسليم للمسموع، وجعله أصلاً للتقعيد، إجابة الكسائي عندما سئل عن شذوذ أي للموصولة في الاستعمال عن سائر أخواتها، حيث قال: أيُّ كذا خلقت، وذلك يشير إلى منهج الكوفيين القائم على التبع اللغوي، وعدم الدخول في التأويلات البعيدة، أو الإمعان العقلي الذي جَنَحَ إليه مدرسة البصرة في تعليقاتها للظواهر النحويّة، وهذا يختلف عما أجازوه الكوفيون من قياس النظر، فهو قياس كلام لم يُسمع على كلام سمع، وليس من قبيل الأحكام العقلية.

رابعاً: الاتساع في مخالفة البصريين اتساعاً قد يؤول إلى مد القواعد وبسطها بآراء لا تسندها الشواهد اللغوية، بل قد يؤول أحياناً إلى رفض المسموع الشائع.

يقول الدكتور شوقي ضيف: «وله - ويقصد: الكسائي - في نواصب المضارع أحكام كثيرة لا تسندها الشواهد ولا القياس، من ذلك أن سيبويه كان لا يجوز الفصل بين "لن" والفعل المضارع المنسوب بعدها، وتابعه في ذلك البصريون وهشام وخالفه الكسائي، فجوز الفصل بين "لن" والفعل بالقسم وبمعموله، فنقول: "لن والله أقرأ الكتاب"، "ولن الكتاب أقرأ"، وأحس الفراء بما في المثال الأخير من النبوء، فلم

1 - شوقي ضيف: المدارس النحويّة، ص: 161.

يوافقه إلا على الفصل بالقسم، غير أنه عاد فجوّز الفصل بكلمة "أظن" مصيغاً أن يقال: "لن أظن أزورك" بالنصب، وكذلك بالشرط مثل: لن - إن تزُرني - أزورك وهما صيغتان نابيتان وليس هناك ما يؤيدهما من الشواهد..»⁽¹⁾.

ثم يقول: « ولعل في ذلك وأمثاله مما نجده عند نحاة الكوفة ما يدل أكبر الدلالة على خطأ من يحاولون رفع المدرسة الكوفية فوق المدرسة البصرية في الحس اللغوي، وتبين روح اللغة، زاعمين أنهم لم يكونوا يتعدون الرواية والسماع وهما قد تعدوهما كثيراً كما تعدوا حدود القياس السديد، وقد حاولوا جاهدين أن يخالفوا سيبويه وغيره من نحاة البصرة في كثير من وجوه الإعراب، والتقدير في العبارات مما جرهم في كثير من الأمر إلى صور مختلفة من التعقيد والبعد في التأويل »⁽²⁾.

04- طبيعة المصطلح النحويّ عند الكوفيين:

إن المتأمل في المدارس النحويّة على اختلافها وتنوعها لا سيما أهم مدرستين: البصرية والكوفية يلاحظ أن الخلاف الحادث بينهما ليس خلافاً في الأصول والأركان العامة في النحو، فإن المدرسة الكوفية أساساً بدأت منهجها انطلاقاً على نحو المدرسة البصرية واعتماداً على ذلك المنهج والأركان استطاعت أن تشق لنفسها مذهباً نحويّاً جديداً، له طابعه المميز، وله أسسه ومبادئه الخاصة بها.

فعندما تنبّه الكوفيون لأهمية دراسة النحو والاشتغال به بدأ أوائل نحاتهم في التنقل إلى البصرة لتلقي النحو على يد نحاتها، فقد أخذ أبو جعفر الرّوآسي النحو عن عيسى بن عمر الثقفي، والكسائي عن الخليل بن أحمد... وغيرهم، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن المدرسة البصرية هي مصدر من مصادر النحو الكوفي أو بالأحرى المدرسة الكوفية، وكان من جملة ما تأثروا به في دراساتهم النحويّة (كتاب

1 - شوقي ضيف: المدارس النحويّة، ص: 182.

2 - المرجع السابق، ص: 184.

سيبويه) فإن الكسائي درس هذا الكتاب على الأخفش، وكان الفراء كثير النظر فيه واحتفظ لنفسه بنسخة منه⁽¹⁾

وذكرنا أن الكوفيين قد توسعوا في الرواية والنقل عن الأعراب في الاحتجاج بكلامهم على خلاف البصريين الذين حددوا نطاق النقل والرواية عن بعض القبائل العربية فقط، الذين بعدوا عن الأرياف وبعثت لغتهم عن التأثر بلهجتها فلم يأخذوا عن حضري قط ومن هذه القبائل: «(قيس، تميم، أسد، ثم هذيل، وبعض كنانة وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم»⁽²⁾.

ومن مصادر الكوفيين في النقل والسماع لغات الأعراب التي اعتمد عليها البصريون، وهي لغات أعراب البوادي الذين بعدوا عن الأرياف وبعثت لغتهم عن التأثر بلهجاتها، ومنها: لغات أخرى أبي البصريون الاستشهاد بها، وهي لهجات أعراب الأرياف الذي وثقوا بهم من أعراب سواد الكوفة، وأعراب سواد بغداد من أعراب الحطمية الذين غلط البصريون لغتهم ولحنوها، واتهموا الكسائي بأنه أفسد النحو؛ إذ وثق بهم، وأخذ عنهم، واحتج بلغتهم⁽³⁾.

وقد ذكرنا أيضا أن الكوفيين توسعوا أيضا في الاستشهاد بالشعر العربي، وهذا لا يعني أن البصريين لم يفعلوا هذا بل إن من البصريين من كان يحفظ الشواهد الشعر ويستدل بها كالأصمعي وأبي عبيدة وغيرهما، إلا أن حصيلة الكوفيين في هذا المجال كانت أكثر توسعا فيما يبدو⁽⁴⁾.

أما القراءات القرآنية فقد توسع فيها الكوفيون بقوة واضحة، فقد اعتبروها مصدرا مهما في نحوهم فقد اكتسب الكوفيون من العناية بها نوعاً من تهيب النص والتحرج من إهداره، وصار موقفهم من القراءات مخالفاً لموقف البصريين من جهة

1 - ينظر: مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة (ومنهجها في دراسة اللغة والنحو)، ص: 329.

2 - المرجع السابق: ص: 331.

3 - ينظر: المرجع نفسه، ص: 332.

4 - ينظر: المرجع نفسه، ص: 335.

الاستنباط والاحتجاج على أنهم لم يكونوا دائماً في صف القراءات، والاستشهاد بها وتصويبها، والاحتجاج بها، وبناء القواعد عليها ومن أمثلة ذلك:

« وصف البصريون بالشذوذ قراءة عبد الله بن مسعود قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾⁽¹⁾، وقد أخذ الكوفيون بها في تجويز إعمال "أن" في الفعل وهي محذوفة، من غير بدل. وقال بن الأنباري في الرد على الاحتجاج الكوفي بهذه القراءة: (أما قراءة من قرأ: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾، فهي قراءة شاذة)»⁽²⁾

والأمثلة في هذا الباب كثيرة لا يتسع المقام لتبيان أكثر من ذلك نظراً لطبيعة الموضوع واتساعه.

وعليه فإن هذه التركيبية المتنوعة والمتسعة من مصادر النحو عند المدرسة الكوفية ونحاتها أكسبها صفات خاصة كانت سبباً في التأثير على النحو الكوفي ومصطلحاته سواء من حيث الشكل أو المضمون (أي المعنى)، ومما لا شك فيه أن الاتساع في تلك المصادر أدى إلى الاتساع في المعاني النحوية والتجديد، والاتساع لا يقصد في الاستعمال في الشكل والمضمون فحسب؛ بل اتساع المصطلح حتى في الرقعة الجغرافية فقد توسع استعمالاً في الأمصار بعدما كان قابلاً على البصرة وحدها، وهذا يؤدي إلى التأثير الفكري والاجتماعي والاقتصادي حسب التركيبية الثقافية الاجتماعية لكل شعب وأمة، مما يؤدي هذا التوسع لخلق مناهج وطرق جديدة في دراسة اللغة والنحو.

ومهما قلنا عن هذه المدارس أو المذاهب وتأثيرها في المصطلح النحوي، فإن المصطلح الكوفي على كل تلك الاعتبارات السابقة أصبح له طبيعة خاصة وتكون على أساس هذه الطبيعة أو التركيبية الهجينة فكان له التفرعات التالية:

1 - البقرة: 83.

2 - مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة (ومنهجها في دراسة اللغة والنحو)، ص: 339.

أ- **المصطلحات البصرية:** أي استعملها البصريون ولم تتغير فبقيت على حالها والسبب في ذلك هو إما تأثر أصحابها بالنحو البصري مما أدى إلى ثباتها لذا عقب الدكتور مهدي المخزومي على هذا بقوله: «وأكبر الظن أنّ الكسائي - بالرغم من كونه مؤسس المدرسة الكوفية - لم يكن نحوه كوفياً خالصاً، ولم يستطع التخلص من آثار شيوخه البصريين، فكان يعتمد على كثير من آثارهم واتجاهاتهم»⁽¹⁾، أو دقة المصطلح عند المدرسة البصرية لاسيما أننا ذكرنا أن نحاة البصر تميزوا بدقة التحليل في المسائل النحوية وفي هذا الصدد يقول مهدي المخزومي: «ونحو الكوفة عند الكسائي والفراء كنحو البصرة عند سيبويه: دراسات في النحو الاصطلاحي: إلى جانب دراسات في التصريف أو الاشتقاق، وما يتعلق ببناء الكلمة العام، إلى جانب عرض لبعض الظواهر اللغوية، التي تتبني على ما للأصوات من خصائص حين يتألف مع بعضها بعضاً في ثنايا الكلمات كالإدغام، والإمالة، والإبدال وغيرها»⁽²⁾.

ب- **مصطلحات توسعت عند المدرسة الكوفية:** وتعتبر هذه المصطلحات هي مزيج بين المصطلحات البصرية والكوفية حيث أن هذه المصطلحات استعملها نحاة البصرة ثم قام نحاة الكوفة بالتوسع فيها وإحيائها.

فلم يكتف الكوفيون بنقل المصطلحات من أفواه البصريين أو كتبهم فحسب بل قاموا بدعمها دعماً جديداً ووسع استعمالها ومجال تخصصها، وأحياناً مصطلحات أخرى استعملت قبله وتركت لسبب أو لآخر. تقول الدكتورة خديجة الحديثي: «وتطور النحو الكوفي تطوراً آخر واضحاً وذلك في وضع مصطلحات خاصة به لمسائل النحو والصرف وفروعها أو لأبوابها يبدو أنهم رأوها أقرب دلالة على صفات ما اصطالحوا عليه من مصطلحات البصريين مثل تسميتهم التمييز - تبييناً وتفسيراً، والصفة نعتاً، والمضارع مستقبلاً، والعطف نسقاً، والنفى جحداً والمصروف ما يجري وغير المصروف ما لا يجري، والبذل ترجمة، والجر

1 - مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة (ومنهجها في دراسة اللغة والنحو)، ص: 142.

2 - المرجع السابق، ص: 163.

خفضاً، والضمير مكانياً...»⁽¹⁾، وفي هذا الصدد يقول الدكتور إبراهيم السامرائي: «لقد دلّ درس النحويّ على أن مصطلح الكوفيين للموادّ النحويّة مصطلح لا يتصف بالشمول والسعة، فهو شيء يتصل بمسائل عدة تقي بحاجة النحويّ المتخصص، وهذا يعني أن الكوفيين الأوائل استعملوا الكثير مما انتهى إليهم من النحاة الأوائل وممن يحسبون بصريين بحق، فالمصطلح الواحد عند الكوفيين قد يكون لمواد مختلفة، ثم إنّ مصطلحاتهم ليست شيئاً يجهله البصريون، فقد نجد شيئاً منه في استعمال البصريين»⁽²⁾

ج- مصطلحات جديدة: ابتدعها الكوفيون لم يستعملها النحاة قبلهم من المدرسة البصرية، والحق أن هذه المصطلحات لم تكن موجودة قبل الكوفيين إلا أننا لانجزم تمام الجزم بجديتها لأن ذلك يحتاج إلى التنقيب في الكتب مدة زمنية معتبرة وتدقيقاً في عملية البحث وإن سلمنا بذلك - أي بجديتها - فلا يمكن أن نعرف ذلك علم اليقين لأن الكثير من الكتب والمصنفات والمؤلفات ضاعت بسبب أو بدون سبب مما يدل على إمكانية وجود هذه المصطلحات في هذه الكتب الضائعة.

تقول خديجة الحديثي: «...ومن المصطلحات ما لم يكن له مصطلح يقابله في النحو البصري وإنما كانت الظاهرة الاعرابية التي أطلق عليها هذا المصطلح متفرقة في أبواب متعددة من النحو البصري وذلك مثل مصطلح "الخلاف" أو "الصرف" وهو عامل النصب عند الكوفيين في أبواب متعددة...»⁽³⁾

ثانياً- توسع المصطلح النحويّ عند أشهر نحاة المدرسة الكوفية.

01- المصطلح النحويّ عند الكسائي: على اعتبار التقسيم الذي لذي أوردناه في باب طبيعة المصطلح النحويّ الكوفي، فيمكن أن نورد المصطلح عند الكسائي على هذا الأساس:

1 - خديجة الحديثي: المدارس النحويّة، ص:132.

2 - إبراهيم السامرائي: المدارس النحويّة (أسطورة وواقع)، ص:108.

3 - خديجة الحديثي: المدارس النحويّة، ص:132.

أ- المصطلحات البصرية:

1- مصطلح « المضمَر »: ظهر هذا المصطلح مع بداية ظهور علم النحو، وقد استعمله الكسائي على ذات الطريقة التي استعملها البصريون وبالمعنى ذاته: بمعنى (الضمير)، وظهر ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰبِغُونَ وَالنَّصِرَىٰ ... ﴾ (1)، ﴿ وَالصَّٰبِغُونَ ... ﴾ عطف على المضمَر الذي في ﴿...هَادُوا...﴾؛ فيقصد هنا بالمضمَر (واو الجماعة)(2).

2- مصطلح « الفعل المضارع »: وقد استعمله بالمعنى نفسه عند البصريين في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعَثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (3)، « عثي يعثي: بكسر عين الماضي وفتح المضارع، وهو أفصح »(4). ما نلاحظه هنا أن هذا المصطلح استعمله البصريون بكثرة واستعمله الكسائي ما يدل دقة المصطلح من حيث الملول الصناعي ومطابقته للمعنى اللغوي من حيث الدلالة.

3- مصطلح « الفعل المستقبل »: استعمله الكسائي في إعراب قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ (5)، فقد قال معلقا عليها: « الفعل المستقبل مرفوع بالزوائد التي قبله في أوله »(6). والمصطلح هنا استعمله البصريين بذات المعنى إلا أن البصريين استعملوا مصطلح (الفعل الغابر - والفعل المضارع - والفعل المستقبل) على المعنى نفسه.

3- مصطلح « التوكيد »: هو من المصطلحات التي ظهرت في بداية ظهور النحو أي المرحلة الشفوية وبقي ثابتا بنفس المعنى أما الكسائي فقد استعمله في إعراب

1 - المائدة: 69.

2 - ينظر: علي بن حمزة الكسائي: معاني القرآن، أعاد بناءه وقدم له: عيسى شحاته عيسى، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة (1998م)

3 - البقرة: 12.

4 - علي بن حمزة الكسائي: معاني القرآن، ص: 71.

5 - الفاتحة: 5.

6 - أبو البركات بن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر للطباعة والنشر، ج2، ص: 550 (المسألة 74) / علي بن حمزة الكسائي: معاني القرآن، ص: 60-64.

قوله تعالى: ﴿يَعْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ﴾⁽¹⁾، فقال: «من في هذا الموضع زائدة للتوكيد»⁽²⁾، وهو المعنى نفسه الذي استعمله البصريون.

4- مصطلح « العطف »: استعمل الكسائي مصطلح العطف كما استعمله البصريون وبالمعنى نفسه وأضاف له مصطلح النسق أيضا وذكر ذلك في إعراب قوله تعالى: ﴿حَرَمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾⁽³⁾، ففي لفظ (الْحَوَايَا) رفع عنده على العطف على ﴿ ظُهُورُهُمَا ﴾...»⁽⁴⁾

4- مصطلح « النعت و الصفة »: استعمله البصريون بمعنى التابع، واستعمله الكسائي بهذا المعنى أيضا، وبين ذلك في التعليق على قوله تعالى: ﴿ وَمِمَّا يُوقَدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلَهُ ﴾⁽⁵⁾، (زَبَدٌ) مبتدأ و (مِثْلَهُ) نعته والخبر (وَمِمَّا يُوقَدُونَ)، الجملة⁽⁶⁾.

أما مصطلح الصفة فقد استعمله بمعنى حرف الجر قال الكسائي: « (من) تدخل على جميع حروف الصفات إلا على الباء واللام وفي»⁽⁷⁾، ويتضح من خلال هذا المقتبس أن الكسائي يستعمل هذا المصطلح (حروف الصفات) بمعنى (حروف الجر). كما استعمله بمعنى الظرف موافقا للخليل بن أحمد قال ابن السراج: « إن الأشياء التي يسميها البصريون ظروفًا يسميها الكسائي صفة والفراء يسميها محال...»⁽⁸⁾

1 - الأحقاف:31.

2 - علي بن حمزة الكسائي: معاني القرآن، ص:233.

3 - الأنعام:146.

4 - ينظر: علي بن حمزة الكسائي: معاني القرآن، ص:138.

5 - الرعد:17.

6 - علي بن حمزة الكسائي: معاني القرآن، ص:171.

7 - ينظر: المصدر السابق، ص:59-68.

8 - إبراهيم السامرائي: المدراس النحوية أسطورة وواقع، ص:127.

5- مصطلح « الحال »: استعمله البصريون بكثرة ، واستعمله الكوفيون أيضا بالمعنى نفسه مما يدل على دقة المصطلح واستقراره ففي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْتُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۗ ﴾⁽¹⁾، قال البغوي (ت516هـ) « (إِمَامًا) يقتدى به، و(وَرَحْمَةً) من الله لمن آمن به، ونصيباً على الحال عن الكسائي »⁽²⁾.

6- مصطلح « المصدر »: لقد بينا أن المصدر استعمله البصريون بمعنى (المفعول المطلق)، وقد اتبع الكسائي نهجهم في الاستعمال وبين ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَوَدُّوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالِكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا ۗ ﴾⁽³⁾، « ... أن قياماً مصدرٌ أي لا تؤتوا السفهاء أموالكم التي تصلح أموركم فتقومون بها قياماً »⁽⁴⁾، أي أن (قِيَمًا) مفعول مطلق.

7- مصطلح « الحذف »: استعمله البصريون وخاصة (الخليل وسيبويه)-كما أسلفنا الذكر- واستعمله الكسائي أيضا بالمعنى نفسه أي الدلالة على الشيء المحذوف، فقد قال الكسائي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ۗ ﴾⁽⁵⁾، « تقدير الآية: اتقوا يوماً وتجزيه نفسٌ ثم حذفَ الهاء »⁽⁶⁾.

8- مصطلح « القطع »: استعمله البصريون وتحديدا عند (هارون بن موسى) بمعنى الفصل وعدم الاستئناف، واستعمله الكسائي بنفس المعنى فقد قال في إعراب

1 - الأحقاف: 12.

2 - أبو محمد بن الحسين الفراء البغوي: معالم التنزيل المسمى (تفسير البغوي)، ضبط: عبد السلام علي شاهين، ط1، دار الكتب العلمية - بيروت لبنان-(1415هـ-1995م)، ج5، ص:55.

3 - النساء:5.

4 - علي بن حمزة الكسائي: معاني القرآن، ص:111.

5 - البقرة:48.

6 - علي بن حمزة الكسائي: معاني القرآن، ص:233.

قوله تعالى: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾⁽¹⁾، « فريضةً يَجُوزُ الرَّفْعُ عَلَى الْقَطْعِ »⁽²⁾.

9- مصطلح « الجر »: ما هو شائع وعروف لدى النحاة في زماننا أن مصطلح (الجر) استعمله البصريون و مصطلح (الخفض) استعمله الكوفيون والحق أن كليهما استعملهما الفريقان، لكن استعمل البصريون الجر بكثرة وندر عندهم الخفض والعكس بالنسبة للكوفيين، أما الكسائي فقد استعمله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجُلُ لَكُمُ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾⁽³⁾، « (أَنْ) في موضع حرف جر بإضمار حرف الجر »⁽⁴⁾.

10- مصطلح « الصرف »: قال الكسائي حينما استعمل مصطلح الصرف: « ويجوز أن تصرف مصر وهي معرفة لخفتها لأنَّ العرب تصرف كل ما ينصرف في الكلام إِلَّا أَفْعَلَ مِنْكَ »⁽⁵⁾، فقد استعمله وحده إلا أن البصريين استعملوا مصطلح (الصرف وما لا ينصرف) فكان المعنى والاستعمال أشمل مما استعمله الكسائي.

استعمل الكسائي بعض المصطلحات الأخر التي كانت عند البصريين ومنها مصطلح الترك قال أبو عبيد: « قال الكسائي: ...أجنتك - تريد أمن أجل أنك، فتركت (من) والعرب تفعل ذلك تدع (من) مع (أجل) ... »⁽⁶⁾، ومن المصطلحات أيضا مصطلح الزائد وقد أورد ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾⁽⁷⁾: « إِنَّ (لَا) زائدة »⁽⁸⁾.

1 - التوبة:60.

2 - علي بن حمزة الكسائي: معاني القرآن، ص:156.

3 - البقرة:229.

4 - علي بن حمزة الكسائي: معاني القرآن، ص:90.

5 - المصدر السابق، ص:72.

6 - بوخنا مرزا الخامس: موسوعة المصطلح النحوي (من النشأة إلى لبعض الاستقرار)، ج1، ص:343.

7 - الأنعام:109.

8 - علي بن حمزة الكسائي: معاني القرآن، ص:90.

ب - مصطلحات بصرية موسعة: وهذه مصطلحات استعملت قبل الكسائي - أي عند البصريين - فوسعها ومنحها دعماً دلالياً أكبر وأحياناً بعضها⁽¹⁾:

1 - مصطلح « الخفض »: تحدثنا عن هذا المصطلح عند البصريين وتحديدًا عند الخليل بن أحمد الفراهيدي، وقد ذكرنا أنّ الشائع عند النحويين المحدثين (المتأخرين) أنّ هذا المصطلح ينسب إلى الكوفيين فيقال: « الجر من عبارات البصريين، والخفض من عبارات الكوفيين »⁽²⁾، والسبب في كثرة استعمال الكوفيين لهذا المصطلح أكثر من البصريين وبخاصة أستاذهم الكسائي، وقد استعمله في الكثير من المواضع ومنها في تفسير قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾⁽³⁾، قال الكسائي: « (أنّ) في موضع خفض بإضمار الباء »⁽⁴⁾.

2 - مصطلح « الصلة »: وهو أيضاً من المصطلحات التي تعرف عند الكوفيين حتى عند المتأخرين⁽⁵⁾، والسبب في ذلك هو ذات السبب في مصطلح الخفض حيث أنّ الكسائي كان كثير الاستعمال له، وقد توسع في استعماله هو والكوفيون بصفة عامة ومن المعاني التي كانت تقصد بها: (صلة الموصول)، و(التعلق) كتعلق الجار والمجرور بالفعل ونحوه وبمعنى الجملة التي لا محل لها من الإعراب⁽⁶⁾.

وقد استعمله الكسائي بمعنى (الزائد) قال الهروي (ت 415هـ): « قال الكسائي في معاني (من) وجهاً آخر فزعم أنّها قد تكون صلة »⁽⁷⁾.

1 - يلاحظ أنّ فكرة تجديد النحو أو الإحياء التي ينادي بها الكثير من النحاة اليوم هي فكرة قديمة على اعتبار أنّ التطور من الأفكار التي تراود الباحثين في كل زمن ومقام.

2 - مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة (ومنهجها في دراسة اللغة والنحو)، ص: 335.

3 - البقرة: 25.

4 - علي بن حمزة الكسائي: معاني القرآن، ص: 65.

5 - ينظر: مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة...، ص: 359-360/. ينظر أيضاً: تمام حسان: الأصول، ص: 40.

6 - يوخنا مرزا الخامس: موسوعة المصطلح النحوي، ج 1، ص: 348.

7 - المرجع السابق، ص: 349.

3- **مصطلح « المفعول به »:** وهو من المصطلحات التي استعملها البصريون بكثرة حتى تداخلت معانيها عندهم، أما الكسائي فقد حدد معناه بدقة وهو ذات المعنى عندنا اليوم، فقد حدد معنى له واحد دون إعطائه لعدة دلالات وجاء هذا المعنى ثابتاً دون أي تردد في إعراب قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتَكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِيُفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾⁽¹⁾، « (ما) مصدرية، انتصب (الكَذِبَ) على المفعول به...»⁽²⁾، فقد استعمله بهذا لا غير.

4- **مصطلح « الأداة »:** استعمله البصريون بمعنى حروف المعاني فسيبويه استعمله لحروف القسم، أما الكسائي توسع في استعماله للحروف التي تأتي لمعان كافة؛ فقد قال في تفسير: ﴿يَسِرُّ اللَّهُ الرِّجْمَ الرِّجْمِ﴾⁽³⁾، « الباء لا موضع لها من الإعراب لأنها أداة»⁽⁴⁾، ويجدر الإشارة إلى أن الدكتور مهدي المخزومي جعل هذا المصطلح من المصطلحات البصرية الكوفية لكن لكل مدرسة معناها الخاص بها ثم بين أن الكوفيين كان استعمالهم لها من حيث الدلالة أكثر دقة لأداء المعنى⁽⁵⁾.

5- **مصطلح « نصب على الإغراء »:** استعمله الخليل بن أحمد بالمعنى اللغوي للإغراء وأطلق عليه سيبويه معنى (الأمر، والنهي) وفيهما قرب من معنى الإغراء أيضاً أو التحذير. أما الكسائي فقد حدد معناه بدقة في قوله تعالى: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾⁽⁶⁾، « أَنْ (مِلَّةً): هو نصب على الإغراء كأنه يقول: اتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ »⁽⁷⁾. ومن هذا المعنى يبدو لنا جلياً أن هذا المصطلح بدأ بالتخصص على يد الكسائي.

1 - النحل: 116.

2 - علي بن حمزة الكسائي: معاني القرآن، ص: 180.

3 - الفاتحة: 01.

4 - علي بن حمزة الكسائي: معاني القرآن، ص: 59.

5 - ينظر: مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة...، ص: 354-355.

6 - البقرة: 135.

7 - أبو محمد بن الحسين الفراء البغوي: معالم التنزيل، ج1، ص: 152.

ومن خلال البحث في هذا المطلب يبدو لنا جليا ما ذكرناه آنفا أن الكسائي وغيره ممن تتلمذوا على يد البصريين تأثروا بالنحو البصري .

ج- مصطلحات جديدة ابتدعها الكسائي: وهي المصطلحات التي استعملها الكسائي أول مرة ولم يسبقه لها أحد كما يجب أن نذكر أن هذه المصطلحات لم توجد في حدود المؤلفات المتوفرة لذلك الجزم بذلك مطلقا غير ممكن، نظرا للكثرة الهائلة من المؤلفات الضائعة قبله: لذا يبقى دائما باب الظن مفتوحا، ونجملها على النحو الآتي:

1- **مصطلح « البيان »:** استعمله الكسائي للدلالة على (التمييز) أما سيبويه فاستعمل مصطلح (التبيين) للدلالة على (التمييز)، وظهر ذلك في تفسير الكسائي لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَزَعَنَّ مِنْ كُلِّ شَيْعَةٍ أَيْدِيَهُمْ أَسَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾⁽¹⁾ «و(عِتِيًّا) نصب على البيان»⁽²⁾، أي على التمييز.

2- **مصطلح « التفسير »:** ابتدع الكسائي هذا المصطلح للدلالة على معنى البديل في واقعنا النحوي قال البغوي في تفسير قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا﴾⁽³⁾ قال الكسائي: نصب (الرجل) لأنه تفسير للمثل «⁽⁴⁾ أي هو بديل.

3- **مصطلح « التكرار و التكرير »:** إن معنى التكرار والتكرير هو واحد حسب معظم المعاجم اللغوية وهو الرجوع والعطف، لكن استعمل الكسائي مصطلح (التكرير) موافقا لما جاء عند سيبويه في مصطلح (التكرار)؛ فقد جاء عنده بمعنى (التوكيد اللفظي)، قال الكسائي في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لَأَنْفُسِهِمْ﴾⁽⁵⁾: «وفي قراءة حمزة (وَلَا تَحْسَبَنَّ) بالتاء. فيهما زعم أنها

1 - مريم:69.

2 - علي بن حمزة الكسائي: معاني القرآن، ص:191.

3 - الزمر:29.

4 - أبو محمد بن الحسين الفراء البغوي: معالم التنزيل، ج5، ص:309.

5 - آل عمران:178.

جائزة على التكرير أي: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا تَحْسَبَنَّ...﴾⁽¹⁾ فالتكرير أراد به (التوكيد اللفظي). أما مصطلح التكرار فقد أطلقه على البدل عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾⁽²⁾ فقال: «هو مخفوض على التكرار أي عن قتالٍ فيه»⁽³⁾، ويمكن في هذا المصطلح أن نلاحظ اضراباً واضحاً في عدم الوصول إلى استقرار في ضبط المصطلح.

4- مصطلح «التقريب»: «القُرْبُ نقيضُ البُعْدِ. قُرْبُ الشَّيْءِ، بالضم، يَقْرُبُ قُرْباً وقُرْبَاناً وقُرْبَاناً أي دَنَا، فهو قريبٌ، الواحد والاثنتان والجميع في ذلك سواء... والتَّقْرِيْبُ في عَدُوِّ الفرس: أَنْ يَرْجُمَ الأَرْضَ بيديه، وهما ضَرْبانِ: التَّقْرِيْبُ الأَدْنَى، وهو الإِرْخَاءُ، والتَّقْرِيْبُ الأعلى، وهو الثَّعْلِيَّةُ»⁽⁴⁾. ومنها قول امرؤ القيس:

لَهُ أَيُّطَلَا ظَبْيٍ وَسَاقَا نَعَامَةٍ وَإِرْخَاءِ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيْبٍ تَنْفُلٍ⁽⁵⁾

أما عن المعنى اصطلاحى هو: «اصطلاح كوفي يطلق على عامل لنسخ حكم المبتدأ أو الخبر يعمل عمل كان وذلك عند استعمال (هذا) أو (هذه) إذا أريد بها التقريب نحو: "كيف أخاف الظلم وهذا الخليفة قادمًا"، فلفظ قادمًا: منصوب على التقريب»⁽⁶⁾، ولم نجد لدى الكوفيين ما يدل على العلاقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحى وفي هذا الصدد يقول الدكتور عبد الله بن حمد الخثران: «لا نكاد نظفر عند الكوفيين بنصوص تفسر لنا سبب اختيارهم لفظ "التقريب" مصطلحاً... بيد أننا نتصور أنهم وضعوا هذا المصطلح لما كانت هذه الإشارة تكون للتقريب أي أنها تدل على تقريب المشار إليه... ثم إن نحاة الكوفة لا يكادون يخرجون عما قرره الفراء الذي شرح هذا المصطلح بقوله: "أن يكون ما بعد (هذا) واحداً يؤدي عن

1 - علي بن حمزة الكسائي: معاني القرآن، ص: 108.

2 - البقرة: 217.

3 - المصدر السابق، ص: 89.

4 - ابن منظور: لسان العرب، ج2، ص: 662 (مادة: قرب)

5 - امرؤ القيس: ديوان امرؤ القيس، تح: عمر فاروق الكباع، شركة الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر - بيروت لبنان، ص: 113.

6 - محمد ابراهيم عبادة: معجم مصطلحات النحو...، ص: 247.

جميع جنسه" (1)، وقد نسب ثعلب هذا المصطلح للكسائي والفراء في قوله: « وذهب أهل الكوفة، الكسائي والفراء، إلى أن العماد لا يدخل مع (هذا) لأنه تقريب وهم يسمون هذا زيد القائم، تقريباً أي قُرِبَ الفعل به» (2)

5- **مصطلح « التبرئة »:** هو مصطلح ابتدعه الكسائي واستعمله الكوفيون بعده لذا فهو ينسب لهم وهو مقابل (لا النافية للجنس) عند البصريين وسميت بهذا الاسم لتبرئة المتكلم وتنزيه الجنس عن التلبس بالخبر (3)، يقول الكسائي: « النكرات بيتدا بإخبارها قبلها لئلا يوهمك أخبارها أنها ليست صلوات، فلما لزم التبرئة الاسم وتأخر الخبر أرادوا أن يفصلوا بين ما ابتدئ خبره وما لا يكون خبره إلا بعده...» (4).

6- **مصطلح « المجهول »:** قصد الكسائي بهذا المصطلح الضمير المستتر في الفعل المبني للمجهول بخاصة (5)، أما الدكتور السامرائي إبراهيم فقد نسبته للفراء (6)، أما الكسائي فقد ذكره ابن سيد البطليوسي (ت521هـ) في (جلس عبد الله) إذا بنيت للمجهول (جلس) قال: « وزعم الكسائي وهشام أن في (جلس) مجهولاً مضمرًا، وفسر أبو العباس ثعلب قول الكسائي قول الكسائي وهشام أن في (جلس): مجهولاً مضمرًا، وفسر أبو العباس ثعلب قول الكسائي وهشام (أن فيه مجهولاً) فقال: أراد أن الفاعل لما حُذِفَ أسند الفعل إلى أحد ما يعمل فيه مما هو سوى المفعول به، يعني المصدر أو الوقت أو المكان. فلم يعلم أيها هو المقصود، لأنه لم يظهر مع الفعل مرفوع به» (7)

1 - عبد الله بن حمد الخثران: مصطلحات النحو الكوفي، هجر للطباعة والتوزيع (1411هـ)، ص:94.(بتصر

2 - أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب: مجالس ثعلب، تح: عبد السلام هارون، ط2 مصر (1960م)، ج.، ص: 359.

3 - ينظر: محمد إبراهيم عبادة: معجم مصطلحات النحو، ص:21.

4 - يوخنا مرزا الخامس: موسوعة المصطلح النحوي، ج1، ص:352.

5 - المرجع السابق، ص:353.

6 - إبراهيم السامرائي: المدارس النحوية أسطورة وواقع، ص:122.

7 - أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي: الحل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل، تح: سعيد عبد الكريم سعودي، وزارة الثقافة والاعلام- العراق (1980م)، ص:208.

7- مصطلح « العماد »: لقد نسب الباحثون المحدثون هذا المصطلح للكوفيين وعرفه مهدي المخزومي: « هو الضمير اللاغي، الذي يتوسط بين المبتدأ والخبر واسم كان وخبرها، واسم إن وخبرها، ومفعولي "ظن" »⁽¹⁾، وهنا يتضح لنا أن الفصل هو العماد عند الكوفيين. قال الكسائي في تفسير قوله تعالى: ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾⁽²⁾: « لأن تكون... قال: أربى في موضع نصب والمعنى مثل: ﴿وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا﴾⁽³⁾، يجعل هو عمادا»⁽⁴⁾.

7- مصطلح « النسق »: من المصطلحات التي وردت عند الكسائي، وقد استعملها في تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾⁽⁵⁾، فقال عنها: « يجوز أن يكون (وَالْمُؤْتُونَ) نسقا على (ذَوِي الْقُرْبَىٰ) كأنه قال: آتي الصابرين»⁽⁶⁾

8- مصطلح « النصب على القطع »: ورد عند الكسائي أول مرة وهو مقابل لمعنى الحال عند البصريين (أي: النصب على الحال)، وقد ذكره الكسائي في إعراب قوله

1 - مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة...، ص: 357.

2 - النحل: 92.

3 - المزمّل: 20.

4 - علي بن حمزة الكسائي: معاني القرآن، ص: 180.

5 - البقرة: 177.

6 - علي بن حمزة الكسائي: معاني القرآن، ص: 83.

تعالى: ﴿وَلَا تُدْخِلْنَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِمَّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ (1)، فقال: « هو منصوب على القطع - يقصد (ثوابا) - » (2)

وردت أيضا بعض المصطلحات الأخرى المتعلقة بحروف المعاني كمصطلح (لام التحقيق) والتي قصد بها (لام القسم) وسميت أيضا (لام الابتداء) (3). كما وردت أيضا مصطلح (لام الأمر) و(لام كي) و(لام الجود) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ﴾ (4)، فقال: « أن لام الأمر ولام كي ولام الجود يُفْتَنَ » (5).

إن ما يمكن أن نلاحظه عن المصطلحات التي وردت عن الكسائي هو: أن الكسائي أحيا الكثير من المصطلحات القديمة وأعطى لها مفاهيم جديدة موسعا إياها مثل مصطلح (الخفض)، وقام بتثبيت بعض المصطلحات بتحديد المعاني الدقيقة لها بعدما كانت مضطربة. كما يلاحظ تأثر الكسائي بالمدرسة البصرية لذا استعمل بعضها وحافظ على معنيها ووسع أخرى محافظا أيضا على المعنى البصري، وما يشد الانتباه هو أن نحو الكسائي في غالبه مستنبط من القرآن الكريم، لذا نجده يتميز بصفائه، من الشوائب العالقة به (كاللحن) مثلا في الشعر فهو نحو عربي خالص.

02- المصطلح النحوي عند الفراء:

أبو زكريا بن زياد الفراء (ت 207هـ) هو أحد أعمدة وسلاطين النحو الكوفي وقد حباه الله تعالى أن جعل له فضل السبق في حيازة علم العربية، وكان مؤلفه الكبير "معاني القرآن" شاهدا على ذلك، وهو من أوائل ما ألف في معاني القرآن، بعد شيخه الكسائي، فأدخل مسائل النحو الكوفي في التفسير وعند بيان معاني القرآن ومن ثم تقريرها.

1 - آل عمران: 195.

2 - علي بن حمزة الكسائي: معاني القرآن، ص: 109.

3 - ينظر: يوخنا مرزا الخامس: موسوعة المصطلح النحوي، ج1، ص: 363.

4 - النساء: 102.

5 - علي بن حمزة الكسائي: معاني القرآن، ص: 119.

وكل من يتصفح كتابه هذا يجده قد ضم كماً هائلاً من القراءات المتواترة والشاذة بأسانيداً أو محذوفة الأسانيد منسوبة إلى أصحابها أو غير منسوبة جاءت في موضع الرد أو في موضع الترجيح. كما أن القارئ قد يلمس ويلاحظ وجود اختيارات للإمام الفراء في القراءات. ولذلك أصبح كتابه مصدراً مهماً لكتب القراءات من جهة وكتب النحو الكوفي من جهة أخرى⁽¹⁾.

ويعتبر علماء النحو أن الكسائي والفراء هما العالمان اللذان قعدا للنحو الكوفي حق التقعيد على الرغم من وجود علماء بعدهم أسهموا بشكل واضح وجلي إلا أن هذان العالمان هما اللذان أسسا المدرسة الكوفية تأسيساً حقيقياً ووضعاً لها المنهج، وإذ نحن الآن بصدد الحديث عن جهود الفراء في المصطلح النحوي فلا بأس أن نبين فضل هذا العالم الجليل على النحو والمدرسة الكوفية بعدما تحدثنا قبله عن الكسائي فقد قال عنه شوقي ضيف: «كان عقله أدق وأخصب من عقل الكسائي، إذ كان مثقفاً ثقافة كلامية فلسفية فكانت قدرته على الاستنباط والتحليل والتركيب واستخراج القواعد والأقيسة والاحتيايل والأداء وترتيب مقدماتها لا تقرن إليها قدرة أستاذه»⁽²⁾، أمّا مهدي المخزومي فيقول: «وعندي أن الفراء أشبه بالخليل بن أحمد ... حذقا واسع اطلاع، واستفاد من الثقافات الأجنبية التي عرفت في البيئات المدرسية...»⁽³⁾.

وما يذكر هذا العالم الجليل إلا ويذكر معه كتابه الشهير: (معاني القرآن) الذي يُعد كتاب أكبر مؤلفاته وأجمعها لآرائه، كما يعد المرجع الأوفى لنحو الكوفيين ومذهبهم، وهو المرجع الباقي لهذا المذهب الذي يمكن الاحتكام إليه في توثيق كثير من آراء الكوفيين، ومسائل الخلاف بينهم وبين البصريين؛ لأن الفراء يعد الإمام الثاني للكوفيين بعد الكسائي، فكتابه يُعد المرجع الحامل لهذا المذهب، والمرجع الباقي له. يقول الدكتور إبراهيم رفيده: «وهو كتاب قيم ولا شك، ويزيد من قيمته

1 - ينظر: مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة...، ص: 337.

2 - شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص: 196.

3 - مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة...، ص: 126.

وعلو شأنه أنه من أقدم التفاسير التي وصلت إلينا أو هو أقدمها، وأنه من كتب المعاني الرائدة في هذا الميدان، وأنه -فوق هذا وذاك- المرجع الباقي للمذهب الكوفي، هذا المذهب الذي ضاعت مصادره الأولى، وانتشرت مسائله في مراجع النحو البصري؛ مما يجعلها في حالة إلى توثيق ومقارنة بما ورد فيه، بالقدر الذي تسمح به طبيعته حيث لا نتصور أنه يضم جميع مسائل هذا المذهب»⁽¹⁾.

أما الدكتور مهدي المخزومي فيقول: «وعن طريق هذا الكتاب وما حمله تلاميذ الفراء عنه، نقل إلينا نحو الفراء أو نحو المدرسة الكوفية؛ لأن أكثر ما كان للكوفيين من آراء، إنما هو للفراء، ولو تصفحت كتب النحو المتأخرة، ورصدت نقولها عنه وعن سائر الكوفيين؛ لرأيت نقولها عن الفراء تزيد على نقولها عن سائر الكوفيين، يضاف إلى هذا: نقولها التي خلت من النسبة إلى أحد الأئمة ونسبت إلى الكوفيين عامة؛ لأنني أزعم أن أكثر هذه النقول يرجع إلى أقوال الفراء؛ مؤيداً زعمي هذا بأمثلة كثيرة تناهت إلي من تتبع أقواله في كتب النحو المختلفة»⁽²⁾.

وقد اتسمت ذهنية الفراء بالتحليل والتركيب واستنباط القواد والأقيسة، مما جعل مصطلحاته النحوية جديدة توضح لكل دارس نحو شيئين:

أ- التوسع الكبير في استعمال الفراء للمصطلحات النحوية.

ب- بناء النحو بطرق جديدة غير التي كانت عند البصريين رغم أنه تتلمذ عند بعضهم، فأصبحت له طريقة جديدة خاصة به في الاستقراء والاستنباط الأحكام النحوية.⁽³⁾

وعن مصادره النحوية فهي تقريبا المصادر نفسها التي أخذ منها أستاذه الكسائي إضافة إلى المصدر الآخر الذي هو الأستاذ نفسه أي الكسائي الذي تتلمذ عليه وأخذ عنه النحو وانتهج في البداية بمنهجه: «إن الصلة التي كانت قائمة بين

1 - إبراهيم عبد الله رفيده: النحو وكتب التفسير، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس (1984م)، ج1، ص:173.

2 - مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة...، ص:123.

3 - ينظر: يوخنا مرزا الخامس: موسوعة المصطلح النحوي، ج1، ص:369.

الفراء والكسائي هي صلة التلميذ بأستاذه، وقد لزمه الفراء على أثر مجلس علم ضمهما، فلما رأى الفراء في الكسائي سداد الرأي، وقوة الحجة، لزمه، وقد مهد الكسائي للفراء الإقامة ببغداد، وخلفه على حلقة درسه بعد موته «(1)؛ لكن يجب أن نذكر أن الفراء كان يخالف الكسائي في الكثير من المسائل النحويّة:» وكان الفراء يخالف الكسائي في كثير مما ذهب إليه، غير أن الفراء كان يجل الكسائي، ويعرف له منزلته، إذ يقول: قال لي قوم: ما اختلافك إلى الكسائي وأنت مثله في العلم؟ فأعجبتي نفسي، فناظرته وزدت، فكأنني كنت طائرا أشرب من بحر»(2).

والحديث عن مصطلحات الفراء يؤدي بنا أيضا إلى الحديث عن مصطلحات بالتقسيم السابق أيضا، أي **مصطلحات أخذت عن البصريين** شأنه في ذلك شأن شيخه الكسائي ونذكر منها: مصطلح الإعراب، الحركات الإعرابية، الإضمار، الكناية الواقع وغير الواقع، المصدر، التفسير، الفعل (المضارع، الماضي، المستقبل) التكرير، العطف، الصلة، اليمين، وهي مصطلحات ذكرناها عند الكسائي أيضا ولا يوجد فيها جديد حيث بقيت - تقريبا بالمعاني نفسها - **ومصطلحات أخذها عن الكسائي ومنها:** مصطلح التبرئة، القطع، التقريب، لام كي ولام الأمر، الصفة، ما لم يسم فاعله، وهي أيضا مصطلحات بقيت - تقريبا - على الحال نفسه من حيث المعنى والتوسع إلا ما ندر منها(3).

أما القسم الثالث من هذه المصطلحات فهي التي ابتدعها الفراء وهي موسعة تختلف عن المصطلحات السابقة، فهي أكثر تفصيلا ودلالة واتساعاً. وهنا يجب الإشارة مرة أخرى إلى أنه لا يمكن أن نلم بجميع المصطلحات لكثرتها وصعوبة إحصائها من دفات الكتب لذا سنكتفي فقط بذكر بعضها مما يخدم غرضنا من هذا البحث في تبيان تطور المصطلح النحويّ واتساع تداخلاته الدلالية مما زاد في تعقيد النحو دراسة وفهما، ويمكن أن نبين هذه المصطلحات على النحو التالي:

- 1 - جميل عبدالله عويضة: الفراء وأثره في المدرسة الكوفية، (1429هـ-2008م)، د ط، ص: 37.
- 2 - أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين، ص: 141.
- 3 - ينظر: يوحنا مرزا الخامس: موسوعة المصطلح النحويّ، ج1، ص: 371...381. /و: جميل عبدالله عويضة: الفراء وأثره في المدرسة الكوفية، ص: 119...122.

1- **مصطلح « الأسماء المضافة »**: ذكر الأستاذ: عوض القوزي بأن الفراء استعمل هذا المصطلح وأراد به الأسماء الستة، من خلاله فهمه لقول الفراء: « وإذا جئت إلى الأسماء الموضوعية مثل عمرو، ومحمد، أو المضافة مثل أبيك وأخيك رفعتها قلت: أظنُّ زيداً هو أخوك، وأظنُّ أخاك هو زيدٌ»⁽¹⁾، ولقد ذكر الدكتور يوخنا مرزا الخامس أنه: « لو عدنا إلى الأسماء الستة عند الكوفيين، لرأينا أنهم يعربونها من مكانين، لأنها تُعرب في حالة الإفراد بالحركات الثلاثة، وهذا هو الثابت فيها، ولكنها عند الإضافة تُعرب من مكانين، الحركات والحروف، وهذه الأخيرة طارئة»⁽²⁾.

2- **مصطلح « الامتحان »**: استعمله الفراء للدلالة على معنى (التقرير) فقال في ذلك: « وإذا رأيت " أن" الخفيفة معها "لا" فامتحنها بالاسم المكنى مثل الهاء والكاف، فإن صلحا كان في الفعل الرفع والنصب وإن لم يصلحا لم يكن في الفعل إلا النصب...»⁽³⁾، فهنا نفهم من قوله: (فامتحنها) معنى التقرير.

3- **مصطلح « الخارج »**: وقد ذكره الفراء في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَمَتَّعُوهُمْ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ﴾⁽⁴⁾، فقال: «... وإن شئت كان خارجاً من قوله (..وَمَتَّعُوهُمْ..) متاعاً ومنتعة»⁽⁵⁾، والمقصود هنا من النص أن (..مَتَّعًا..) مأخوذة من الفعل (مَتَّعُوهُمْ) ، فيصبح بذلك تدل على معنى **المفعول المطلق**. ولقد جاء هذا المصطلح في مواضع أخرى بأكثر من معنى مما يدل على تداخل المعاني في هذا المصطلح.

1 - ينظر: عوض أحمد القوزي: المصطلح النحوي نشأته وتطوره، ص: 174/ و: يوخنا مرزا الخامس: موسوعة المصطلح النحوي، ج1، ص: 390. وقد أخذ هذا النص من كتاب: معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء: ، تح: أحمد يوسف نجاتي-محمد علي النجار - عبد الفتاح شلبي، ط2، مطابع الهيئة المصرية للكتاب، مصر (1980م)، ج1، ص: 409.

2 - يوخنا مرزا الخامس: موسوعة المصطلح النحوي، ج1، ص: 390

3 - أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء: معاني القرآن، تح: أحمد يوسف نجاتي-محمد علي النجار - عبد الفتاح شلبي، ط2، مطابع الهيئة المصرية للكتاب، مصر (1980م)، ج2، ص: 394.

4 - البقرة: 236.

5 - الفراء: معاني القرآن، ج1، ص: 154.

3- مصطلح « الخلفة »: وقد ورد أيضا عند الدكتور فاضل السامرائي باسم (الخالفة) ويطلقه الفراء على كل ما اجتمع فيه صفة من الأفعال، وصفة من الأسماء مثل: كلا، واسم الفاعل: «... غير أننا وجدنا الفراء قد أطلق " الخلفة " على اسم الفعل " دونك " وذلك في كلامه على الرجز:

يَا أَيُّهَا الْمَائِحُ دَلْوِي دُونَا إِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ يَحْمَدُونَكَ

يقول: الدلو رفع، كقولك: زيد فاضربوه، والعرب تقول الليل فبادروا، والليل فبادروا. وتنصب " الدلو " بمضمر في الخلفة كأنك قلت: " دونك دلوي دونك " (1) ويتضح هنا أن الفراء استعمله (اسم الفعل) كما أسلفنا الذكر.

4- مصطلح « التشديد »: جاء عند الفراء حينما تعرض لتفسير قوله تعالى: ﴿وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ﴾ (2)، فقال: «...فإن شئت رفعت (السابقين) الثانية وهم المهاجرون،..... وإن شئت جعلت الثانية تشديدا للأولى» (3)، والدلالة هنا على التوكيد اللفظي.

5- مصطلح « التام و الناقص »: ورد هذان المصطلحان عند الفراء في كتابه (معاني القرآن) بكثرة، « والتام ما تم به الكلام عند الإضافة إلى الاسم المبهم والناقص ما لم تضاف إليه أي شيء. » (4)، فقد قال الفراء في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾ (5)؛ «قرأها الثقات بالتنوين وبطرح التنوين، والوجه أن بنون لأن الكلام ناقص. » (6)، فالتنوين يزيل النقص عن الكلام، ويصير بها تاما على رأي الفراء، أما الدكتور إبراهيم السامرائي فيرى أن الفراء يقصد بالتام

1 - الفراء: معاني القرآن، ج1، ص:260.(وقد ذكره الدكتور فاضل السامرائي في كتابه: المدارس النحوية، ص:118- 119)

2 - الواقعة:10.

3 - الفراء: معاني القرآن، ج3، ص:122.

4 - بوخنا مرزا الخامس: موسوعة المصطلح النحوي، ج1، ص:386.

5 - التوبة:30.

6 - الفراء: معاني القرآن، ج2، ص:83.

المتعدي إلى مفعول واحد والناقص ما تعدى إلى مفعولين: « وللفراء نظر خاص في الفعل المتعدي فالذي يتعدى لمفعول واحد هو الفعل التام نحو: قتلَ وأحسنَ لأن معناه يتم بذكر مفعوله، وأما الذي يتعدى إلى أكثر من مفعول مثل: ظنَّ وحسب وأخواتها فإنه يدعوه فعلاً ناقصاً...»⁽¹⁾.

6- **مصطلح « الرجوع »:** استعمله الفراء بمعنى الاضراب الذي في (بل) و(لكن) حيث يقول: « (بل) كلمة عطف ورجوع لا يصلح الوقوف عليها»⁽²⁾، ويبدو أن السبب في تسميه هذا المصطلح هو أن المعنى يدل على انصراف وابتعاد المعنى الثاني عن المعنى الأول.

7- **مصطلح « الصرف »:** شرح الفراء هذا المصطلح في كتابه معاني القرآن فقال: « فإن قلت: وما الصرف؟ قلت: أن تأتي بالواو معطوفة على كلام في أوله حادثة تستقيم إعادتها على ما عطف عليها، فإذا كان كذلك فهو الصَّرف»⁽³⁾، من خلال هذا التعريف يتضح أن المعنى يقصد به هو صرف (بمعنى إبعاد) الكلام قبل الواو عن الكلام بعد الواو، ويقابله الواو التي تنصب المضارع بأن مضمرة عند البصريين. وقد بين ذلك عبد اللطيف الزبيدي (ت802هـ) حيث يقول: « ذهب الكوفيون في نحو قولهم: " لا تأكل السمكَ وتشرب اللبن " إلى أن (وتشرب) وشبهه منصوب على الصرف (الصرف)؛ لأنه مخالف لما قبله، فلمَّا خالفه صُرف عنه.»⁽⁴⁾.

8- **مصطلح « المحالّ أو المحلّ »:** ويتضح من خلال المعنى العام للفظ هو: ظرف المكان، وقد قصد به الفراء الظرف والجار والمجرور، بمعنى قصد في صناعة الإعراب: سبه الجملة، فقد قال: «...أو محلاً مثل قوله: "عندك وعليك وخلفك"»⁽⁵⁾

1 - فاضل السامرائي: المدارس النحوية، ص:120.

2 - الفراء: معاني القرآن، ج1، ص:53.

3 - المصدر السابق، ج1، ص:33.

4 - عبد اللطيف بن أبي بكر الشَّرجي الزبيدي: ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة، تح: طارق

الجنابي، مكتبة النهضة العربية، بيروت(1407هـ - 1987م)، ص: 127.

5 - الفراء: معاني القرآن، ج1، ص:28.

فواضح من خلال الأمثلة أنه يقصد الظرف والجار والمجرور. فإن الفراء يطلق مصطلح (الصفة) على الظرف والجار في أغلب الأحيان، كما يطلق عليهما مصطلح "المحل" وأحياناً يخص الجار "بالصفة" والمحل "بالظرف".

8- مصطلح « المجهول »: استعمله الكوفيون بمعنى ضمير الشأن عند البصريين وقد استعمل الفراء فيه هذا المصطلح أيضاً، كما قال في توجيه قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِيتَةً﴾⁽¹⁾: «ومن نصب قال: كان من عادة "كان" عند العرب مرفوع ومنصوب؛ فأضمرُوا في "كان" اسماً مجهولاً، وصيروا الذي بعده فعلاً لذلك المجهول، ولذلك جائزٌ في "كان" و"ليس" و"لم يزل" وفي "أظن وأخواتها"»⁽²⁾.

9- مصطلح « المؤقت وغير المؤقت »: قال الفراء في هذا المصطلح: «ولا يجوز أن تقول: مررت بعبد الله غير الظريف إلا على التكرير، لأنَّ عبد الله مؤقت (غير) في مذهب نكرة مؤقتة ولا تكون نعناً إلا معرفة غير مؤقتة»⁽³⁾، فإنه لا ينطبق على قوله: «في قراءة عبد الله في آل عمران: ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾⁽⁴⁾، فجعله فعلاً. وإذا كان النكرة قد وصلت بشيء سوى نعتها ثم جاء النعت، فالنصب على الفعل أمكن منه إذا كانت النكرة غير موصولة، وذلك لأن صلة النكرة تصير كالمؤقتة لها»⁽⁵⁾، وما يعرف أن لفظ مؤقت هو محدد في اللغة العامة من حيث دلالتها وهنا يتضح أن الفراء يقصد بهذا التحديد والتخصيص «فإن النكرة لما خصّصت وحدّدت، صار (مصدقاً) معرفة بذلك التخصيص، والذي سماه الفراء (المؤقت)»⁽⁶⁾.

1 - الأنعام:145.

2 - الفراء: معاني القرآن، ج2، ص:394.

3 - المصدر السابق، ج1، ص:07.

4 - آل عمران:81.

5 - الفراء: معاني القرآن، ج1، ص:55.

6 - يوخنا مرزا الخامس: موسوعة المصطلح النحوي، ج1، ص:385.

10- مصطلح « المترجم »: أطلقه الفراء على (البدل) و(التمييز)، لأن الترجمة من حيث معناها اللغوي تمثل إبدال لفظ بلفظ آخر يقوم مقامه⁽¹⁾، واستعمله للتمييز أيضا لأنه مفسر للغة قال الفراء: «...إنما ذكرت هذا لأنّ العرب تقول: لله درّه من رجل، ثمّ يلقون (من) فيقولون لله درّه رجلاً، فالرجل مترجم لما قبله وليس بحال...»⁽²⁾.

11- مصطلح « المردود »: هو من المصطلحات التي ظهرت أول مرة عند الفراء للدلالة على البدل أيضا؛ وقد استعمله في توجيه قوله تعالى: (صِبْغَةَ اللَّهِ)⁽³⁾ « نصب مردود على الملة..»⁽⁴⁾.

12- مصطلح « ما يجري وما لا يجري »: من المصطلحات التي ابتدعها الفراء ويقابلها (المنصرف) و (وغير المنصرف) عند البصريين، وقد استعمله في توجيه قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُونَ عَنْ أَسْيَاءِ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْوِكُمْ﴾⁽⁵⁾، ف (أَسْيَاءِ) في موضع خفض لا تجرى⁽⁶⁾.

13- مصطلح « المصمود »: أطلق الفراء هذا المصطلح على الأسماء المعرفة بخاصة على الأسماء الموصولة، والمصمود لغة: فصمده قصده⁽⁷⁾، فلا يختلف المعنى اللغوي كثيرا عن المعنى الاصطلاحي مما يدل على تطابق المعنيين وقد ورد في تفسير قوله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا

1 - ينظر: ابن منظور : لسان العرب، ج 12، ص:66 (مادة : ترجم)

2 - الفراء: معاني القرآن، ج2، ص:104.

3 - البقرة:138.

4 - الفراء: معاني القرآن، ج1، ص:82.

5 - المائدة:101.

6 - ينظر: الفراء: معاني القرآن، ج1، ص:321.

7 - ينظر: ابن منظور : لسان العرب، ج3، ص:258 (مادة : صمد)

الصَّالِيَتِ ﴿١﴾: « وإنما جاز أن تكون (غَيْرٍ) نعتاً لمعرفة، لأنها قد أضيفت إلى اسم فيه ألف ولام، وليس بمصمود له ولا الأول أيضاً بمصمود له» (٢).

هذه بعض المصطلحات التي ابتدعها الفراء، على أن الكثير منها لم نتطرق إليها لكثرتها، ولطبيعة البحث كما ذكرنا سابقاً وندر منها: التفسير والمفسر وقد قصد به التمييز، القطع والخروج للدلالة على الحال، الصفة وقصد بها حروف الجر كأستاذة الكسائي، ياء الإضافة وقصد بها ياء المتكلم، والمرافع وقصد بها خبر المبتدأ، المكنى والذي قصد به الضمير، والعماد والذي يقابله ضمير الفصل عند البصريين، وغيرها كثير وردت بعدة معاني (٣).

كما يجب الإشارة إلى تنوع المصطلح النحوي عند الفراء وتداخله، وقد أكثر الفراء من مباحث النحو ومسائله بالنظر إلى حجم كتابه؛ فإن القارئ لا يكاد يمر بصفحة منه لا يجد فيها حديثاً عن النحو، وذكر قاعدة من قواعده، أو توجيه من توجيهاته، أو شاهد من شواهد، أو أصل من أصوله، وهذا اتساع في كمية المباحث، بحيث تشمل أغلب صفحات الكتاب، ولعل هذا من بين الأسباب التي أدت إلى تعدد المصطلحات وتنوعها وتداخلها، وقد سيطر أيضاً على منهجه في تحديد مصطلحات نحوية جديدة ودقيقة في آن واحد.

ومن الدلائل على سيطرة المنهج النحوي على (معاني) الفراء: أن الفراء جعل منه ميداناً للتعريف بالمصطلحات النحوية الكوفية ولصياغة مسائل نحوية في ضوابط وقواعد كلية، ومعلوم أن نحوي الكوفة حاولوا جهد استطاعتهم أن يبتكروا مصطلحات خاصة بهم، وألا يستعملوا المصطلحات البصرية؛ اجتهاداً منهم ومخالفة للبصريين، واستكافاً عن متابعتهم. ومن المصطلحات المتنوعة والمتعددة:

1 - الفاتحة: 07.

2 - الفراء: معاني القرآن، ج1، ص: 07.

3 - ينظر: علي أكرم قاسم و حسن أسعد محمد: المصطلح النحو الفراني الكوفي في لسان العرب: مقال منشور في مجلة (دراسات تربوية)، العدد: 07 (تموز: 2009)، نينوى - العراق.

- الترجمة والتكرير والتفسير، أطلقها الفراء على ما يسمى: بالبدل عند البصريين وهي أسماء روعي في إطلاقها المعنى اللغوي. واستعمل الحال، بمعنى: عدم اتصال الكلام، والوقف، واستعمل التفسير بمعنى التمييز، والمفعول لأجله، والمفعول معه، والبدل، واستعمل المترجم بمعنى التمييز والبدل وهو ما يظهر تداخل ملحوظ بين معنى التفسير والمترجم، واستعمل مصطلح الجزاء بمعنى: أدوات الشرط وجواب الشرط، والمفعول لأجله، والصفة بمعنى: التابع، وحروف الجر، والظرف... وغيرها من المصطلحات المتداخلة.⁽¹⁾

03- المصطلح النحوي الكوفي بعد الفراء:

لم تتوقف الحركة الإبداعية الكوفية عند الفراء بل تواصلت لبعض النحاة الذين انتهجوا منهج المدرسة الكوفية وواصلوا توسعاتهم النحوية إلا أن الحق هو أن الذي أسس للمدرسة الكوفية بحق وأرسى قواعدها التي ارتكزت عليها هو الفراء بدون منازع، لكن يجدر بنا الإشارة إلى بعضهم ولو على سبيل الذكر لا التعمق لغزارة منتوجهم الإبداعي:

أ- أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط (ت 615هـ) هو من علماء الكوفة الذين تأثروا أيضا بالنحو البصري وتأثر بالنحو الكوفي فمزج بينهما تقول الدكتور خديجة الحديثي عنه: «وأصبح مناصرا للكسائي متأثرا بمنهجه في أمور كثيرة مما دعاه إلى مخالفة سيبويه في مسائل كثيرة...»⁽²⁾، ومن مصطلحاته:

1- مصطلح «المجارة»: استعمله بمعنى أداة الشرط فقال في توجيه قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾⁽³⁾: «لأنَّ (مهما) من حروف المجارة...»⁽⁴⁾

1 - ينظر: يوخنا مرزا الخامس: موسوعة المصطلح النحوي، ج1، ص: 397 وما بعدها

2 - خديجة الحديثي: المدارس النحوية، ص: 249.

3 - الأعراف: 132.

4 - أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط: معاني القرآن، تح: عبد الأمير محمد أمين الورد، عالم الكتب، بيروت لبنان، ج2، ص: 530.

2- مصطلح « الإصاق »: استعمله الأخفش لإحدى معاني (الباء) الجارة، فقال: « وحذفت الألف من (بسم) من الخط تخفيفاً لكثرة الاستعمال واستغناءً عنها بباء الإصاق في اللفظ والخط»⁽¹⁾.

3- مصطلح « اسم المصدر»: بمعنى (المصدر الصريح) عند الأخفش فقد قال تعليقا على قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾⁽²⁾: «... جعل (ما) والفعل اسما للمصدر كما جعل (أن) والفعل اسماً للمصدر في قوله (أحب أن تأتيني..))»⁽³⁾

4- مصطلح « قام مقام الفاعل»: وقد قصد به (نائب الفاعل) في قوله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾⁽⁴⁾، فقال: « ثم قال (أَيَّامًا) أي كتَبَ الصيام أَيَّامًا. لأنك شغلت الفعل بالصيام حتى صار هو يقوم مقام الفعل»⁽⁵⁾.

ب- أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المعروف ب (المبرد) (ت285هـ): وقد وردت عنده مصطلحات عامة ومستقرة والسبب في ذلك ثبات هذه المصطلحات بسبب دقتها وموافقة معناها الاصطلاحي للمعنى الصناعي، ووردت عنده مصطلحات بصرية وأخرى كوفية، وأخرى جديدة مبتدعة.

ومن مصطلحاته والتي ورد بعضها في كتابه (المقتضب) والبعض الآخر في كتاب (الكامل):

1- مصطلحا « الحال اللازمة والحال المتنقلة»: وهي من المصطلحات التي توسعت اسما ومعنى فقد قال في باب الحال: « فإن قلت: الحال بابها الانتقال؛ نحو: مررت بزید قائما. قيل: الحال على ضربين: فأحدهما: التنقل، والآخر: الحال اللازمة. وإنما هي مفعول فاللزوم يقع لما في اسمها، لا لما عمل فيها. فمن اللازم

1 - الأخفش: معاني القرآن، ج1، ص:147.

2 - البقرة: 10.

3 - الأخفش: معاني القرآن، ج1، ص:147.

4 - البقرة: 184.

5 - الأخفش: معاني القرآن، ج1، ص:350.

قوله عز وجل: ﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾⁽¹⁾ " فالخلود معناه: البقاء. وكذلك: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾⁽²⁾ فهذا الاسم لا لما عمل فيه»⁽³⁾.

2- **مصطلحا « الأدميين وغير الأدميين »:** استعملهما بقصد (العاقل) و(غير العاقل)، قال: « ومنها (ما) وهي سؤال عم ذات غير الأدميين، وعن صفات الأدميين»⁽⁴⁾.

3- **مصطلح « أفعال الشك والعلم »:** قصد بها أفعال (ظنّ) وأخواتها قال: « هذا باب المسند والمسند إليه وهو ما لا يستغنى كل واحد من صاحبه. فمن ذلك: قام زيدٌ، والابتداء وخبره، وما دخل عليه نحو (كان) و(إنّ) وأفعال الشكّ والعلم والمجازاة»⁽⁵⁾.

ومن مصطلحاته التي جاءت في كتابه الكامل مصطلح الظرف وهو مصطلح استعمل قبله وليس بجديد وجاء ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾⁽⁶⁾، قال: «... والتقدير (فمن شهد منكم) أي فمن كان شاهداً في شهر رمضان فليصمه نصب الظرف لا نصب المفعول به.»⁽⁷⁾

1 - الحشر:17.

2 - هود:108.

3 - أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: المقتضب، تح: عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت لبنان، ج3، ص:260.

4 - المبرد: المقتضب، ج1، ص:41.

5 - المصدر السابق، ج4، ص:27.

6 - البقرة:185.

7 - أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: الكامل، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ج4، ص:128.



ثالثاً- بعض أوجه الاختلاف بين البصريين والكوفيين.

01- أسباب الاختلاف بينهم وبين البصري.

يجب الإشارة قبل الحديث عن الاختلاف وبعض مظاهره بين مدرستي البصرة والكوفة إلى أن الخلاف أمر طبيعي بين الناس ولا ينقص من قيمة العمل وصاحبه بل هو من أسباب الاجتهاد للكشف عن الحقيقة وأوجهها لا سيما في المسائل التي تكون حمالة أوجه، ونحن إذ نتحدث عن الخلاف القائم بين هاتين المدرستين فلا شك أنّ هذا الخلاف كان محل نقاش دام لعدة قرون ولا يزال لحد الساعة قائماً، وقد ألفت فيه مؤلفات كثيرة لذا لا يمكن الامام بهذا الخلاف على سبيل التدقيق وإنما نريد أن نشير إليه من أجل خدمة الغرض من بحثنا وهو الكشف عن شكل الخلاف في صياغة المصطلح ومدى تسهيله وتعقيده لتدريس النحو.

ونجمل هذه الأسباب فيما يلي:

أ- **منهجية الدراسة النحوية:** ونقصد بها الأسلوب والطريقة التي تتبعها كل المدرسة في السماع والقياس والتعليل، فالمدرسة البصرية حددت السماع والقياس في حين توسع الكوفيون في السماع عن العرب وقبائلهم المترامية الأطراف هنا وهناك، وربما يكون السبب في ذلك الموقع الجغرافي، فموقع البصرة على حدود الخليج جعل نحاتها كثيرية الاختلاط بالعرب بسبب الملاحة البحرية والأسواق وهذا بدوره جعل البصريين يتحرون الدقة في السماع اللغوي عن العرب بالإضافة إلى القياس على الكثرة المطردة.

ب- **إثبات الذات والتنافس العلمي:** وهذا من الأمور الفطرية التي فطر الله الناس عليها، فكل إنسان محكوم بغرائز ذاتية منها (الأنا) أي حب الظهور وفرض الذات ومما أضرم نار شعلتها خلفاء بني العباس الذين لعبوا دوراً هاماً في تفضيل النحاة بعضهم على بعض، وتقريبهم منهم، فاهتموا بإجراء المناظرات بينهم مما جعل الخلاف يدب بينهم وتعليمها على جميع الأصعدة، بل كانوا يعقدون بعضها في مجالسهم، فالعباسيون كانوا يميلون إلى الكوفيين، ويحاولون الانتصار لهم في

المناظرات التي كانت تقام مع نحاة البصرة، وقد دونت المؤلفات الكثير من هذه المناظرات.

ج- التعصب الإقليمي: فكل فريق أو مدرسة متعصب للبلد الذي ترعرع فيه وهذا منذ أن افتقرت الأمة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه وتولي علي بن أبي طالب الخلافة ونشوء الأحزاب السياسية كالأمويين والخوارج والزييرية والشيعة فاستبدلت العصبية القبلية بالعصبية الحزبية والعصبية الاقليمية⁽¹⁾

د- طريقة التفكير وثقافة الأمة: عرفت البصرة نشاطا فكريا مبكرا بسبب الاختلاط بالفكر اليوناني وامتزاج الثقافات بين العرب والعجم مثل : الثقافة الفارسية واليونانية والهندية، وقد أدى هذا إلى تأثر العرب بالفلسفة وعلم الكلام، والذي أوج شعلة هذه الثقافات الترجمة التي انتشرت ككتاب كليلة ودمنة لابن المقفع، ويضاف إلى ذلك أن فكرة الاعتزال التي ترتبط بالعقل والمنطق، وانعكاس ذلك على الدراسات كان له دوره عند البصريين، ويقابل ذلك الفكر الشيعي عند الكوفيين.

كانت هذه بعض الأسباب التي أدت إلى الخلاف وقد نتج عن ذلك ما تحدثنا عنه طيلة هذا الفصل والفصل السابق فأدي إلى ذلك الزخم الفكري، ولا بأس هنا أن نظهر مقارنة بسيطة حول هذا الخلاف لكن على مستوى المصطلح فحسب:

02- المصطلح النحوي بين المدرستين (مقارنة): إن إحداهن موازنة بين المدرستين قد يطول على مستويات متعددة ولكن ما نريد هنا أن نبينه هو أمثلة عن الخلاف الذي سيؤدي بنا إلى نتيجة مهمة في تشكيل المصطلح وهو تداخل المصطلح النحوي وتعدده وتضارب الآراء النحوية فيه وهذه هي الإشكالية الصعبة التي أدت إلى إعاقة الدرس النحوي سابقا وحاليا.

ولقد ألف العلماء عدة مصنفات عن هذا الخلاف ولعل أشمل هذه المصنفات وأجمعها لهذا الموضوع هو كتاب (الإنصاف في مسائل الخلاف) لابن الأنباري؛ فقد جمع فيه مؤلفه إحدى وعشرين ومائة مسألة، فيها بعض مسائل صرفية، وأيد كل

1 - ينظر : شوقي ضيف: التطور والتجديد في الشعر الأموي، دار المعارف- كورنيش النيل- القاهرة، ط7، ص: 85 وما بعدها.

مسألة خلافية بأدلة الفريقين: قياسية، وسماعية، مع البسط والتفصيل، وقد صرح في مقدمة كتابه، بأنه سيقف من هذه المسائل موقف الفيصل العادل، غير متعسف في حكمه ولا متعصب في قضائه، إلا أن من يطلع على الكتاب؛ يدرك أن الفوز الباهر فيه للبصريين، وأنه يميل إليهم دون الكوفيين، حيث لم يذهب إلى ترجيح مذهب الكوفيين إلا في سبع مسائل من جملة المسائل التي أوردها في كتابه، مما دفع أبي البقاء العكبري الكوفي إلى تأليف كتاب سماه (التبيين عن مذهب النحويين البصريين والكوفيين) تتبع فيه ما ذكره ابن الأنباري من مسائل، ثم ذهب إلى ترجيح آراء الكوفيين فيها؛ انتصاراً لمذهبه النحوي، وقد تكلم فيه عن خمس وثمانين مسألة.

وقد إرتأينا أن يكون بيان هذا الخلاف في جدول ملخص يبين لنا مدى الخلاف القائم بين المدرستين في المصطلح وصيغته:

ملاحظة: هذا الجدول مشكل من خانتين إحداهما تمثل المصطلح البصري والأخرى المصطلح الكوفي، وكل مصطلح بصري يقابله مصطلحه الكوفي وهناك بعض المصطلحات أضيف لها بعض التوضيحات:

المصطلح الكوفي	المصطلح البصري
النعته	الصفة
عطف النسق	الشركة
الترجمة، التكرير التبيين، المردود، المكرور	البدل
الفعل الدائم	اسم الفاعل
المكنى والكناية	الضمير
ما يجري وما لا يجري	المصرف والممنوع من لصرف
الصفة	حروف الجر
التفسير	التمييز
حروف الجحد	حروف النفي
لا التبرئة	لا النافية للجنس

الزيادة	الصلة والحشو
الظرف، المفعول فيه	(المحل) عند الفراء، وجلّ الكوفيين (غاية)
لام الابتداء	لام القسم
الحال	القطع
الأسماء الستة	الأسماء المضافة
الفعل المتعدي	الفعل الواقع
الفعل المبني للمجهول	الفعل الذي لم يسم فاعله ، المبني للمعقول
المفعول معه، المفعول له، المفعول فيه، المفعول	أشباه المفاعيل
التوكيد	التشديد
المفعول لأجله	التفسير
ضمير الشأن والقصة والحديث	الضمير المجهول
المبتدأ	(المثال) عند ثعلب
الفعل ثلاثة أنواع: الفعل الماضي، والفعل المضارع، وفعل الأمر.	الفعل نوعان (ماض ومضارع) والأمر مقتطع من المضارع فهو فعل مضارع دخلت عليه لام الأمر فانجزم، ثم حذفت حذفاً مستمراً.
الفصل والفاصلة	العماد
الخبر	(المرافع) عند الفراء
حروف المعاني	الأدوات
البصريون جعلوا عامل النصب في المفعول معه الفعل بتوسط الواو، وفي الفعل المضارع بأن مضمره.	الصرف جعله الفراء عامل النصب في المفعول معه والفعل المضارع بعد واو المعية، والفاء، و ثم، و أو.
علامات الإعراب: الرفع، النصب، الجر، الجزم. علامات البناء: السكون، الضم، الفتحة، السكون.	علامات الإعراب والبناء جعلوا التسمية عكس البصريين.
البصريون جعلوا العامل فعل محذوف تقديره استقر نحو: محمد أمامك. والتقدير: محمد استقر	الخلاف: عامل معنوي عند الكوفيين حيث قالوا: الظرف ينتصب على الخلاف إذا وقع

أمامك.	خبراً.
عطف البيان	لم يترجموا له
البصريون اسم الإشارة مبتدأ، وما بعده خبر، والاسم المنصوب حال.	التقريب: سما به اسم الإشارة، وأعملوه عمل كان وأخواته، فيليه اسم وخبر نحو: هذا زيدٌ قائماً.
حروف الجر	حروف الخفض، حروف الصفة، حروف
الظرف	المحل ، الصفة
حروف الزيادة والإلغاء	حروف الصلة، حروف الحشو

03- نتائج الخلاف بين المدرستين:

إنّ هذا الخلاف في جميع النواحي السياسية والاجتماعية والجغرافية والعلمية الذي حدث بين المدرستين البصرية والكوفية، أدى اختلاف المدرستين فكل مدرسة تخالف الأخرى وقد أثرت هذه الاختلافات على الحياة مما أدى إلى النتائج التالية:

سلوك البصريين في أصولهم مسلك الشدة والمحافظة على المخزون العربي من مآثور؛ في حين انتهج الكوفيون في أصول مذهبهم طريق التساهل والتيسير. وقد نتج عن هذا الاختلاف أن:

أراد البصريون بتشددهم أن يعم على اللغة العربية قوانين مضبوطة ونظام متوازن، مستوحى من أصول اللغة العربية السليمة التي لم تشبها شائبة ولم يقح فيها قاح، ومن أمثالها اللغوية الصحيحة المتواترة على ألسنة العرب الأقحاح، وكانت لهم الرغبة الملحة في وضع قواعد عامة غير مختلف فيها حتى في جزئيات الكلام عند الاستعمال دقيقة وحازمة، فاعتمدوا في ذلك على الشاهد المصحوب بصحته، المقوّى بكثرة روايته التي يشد بعضها بعضاً تحت فكرة (لا يمكن الاتفاق على الخطأ)، وتجنب المرويات الضعيفة أو الشاذة مما قد يخلق جو الفوضى والاضطراب.

والكوفيون نتج عن تساهلهم وأخذهم بكل ما هو مسموع عن العرب وكفى به، استعمال عباراتهم على حسب ما أثر عندهم ولو كان فيه شوائب اللغة المعروفة

وبذلك نتج عن ذلك فكرة مهمة في نحوهم هو أن القاعدة تخضع للاستعمال مهما كانت طريقة ألسنة أصحابها فهي وليدة ذلك الاستعمال اللغوي وسلطان على القاعدة النحوية.

وأدي بهم هذا التساهل إلى الترخيص بالقياس على على الرأي عند غياب الشاهد مما نتج عن ذلك أمران:

الأول: التوسع في القياس أدى إلى التقليل من مقتضياته وهي التأويل والشذوذ والاضطرار والاستتكار وهذا الذي حدث عند الكوفيين.

الثاني: التوسع في الأقيسة عند الكوفيين كان عكسه عند البصريين، وعليه فإن المذهب البصري مذهب قياس، والمذهب الكوفي مذهب سماع؛ وهذا ما يوافق قول الكسائي: "إنما النحو قياس يتبع وبه في كل أمر ينتفع".

لقد توصل الكوفيون الذين اعتمدوا على السماع جاعلين له أهمية كبرى إلى وضع قواعد كثيرة خالفوا فيها البصريين؛ فكثر عندهم التجويز للصور المتخالفة، واعتمدوا ما وصفه البصريون بالشذوذ، وما أولّوه أو أنكروه أو جعلوه من الضرورات؛ اعتمده أساساً لأقيسة وقواعد، تضاف إلى أقيستهم وقواعدهم، وهذا ما أوقع النحو في الأشكال المعروف الذي لا زلنا نعاني منه ليومنا هذا وهو اضراب المصطلح وتعدد معانيه ومشاربه، وفي هذا يقول الشيخ الطنطاوي:

« على أنه لم يقف الخلاف بين الفريقين عند المسائل العلمية؛ بل سرت عدواه إلى التسمية في المصطلحات العلمية الكثيرة جداً، والحقيقة أن ذلك ليس من صالح العلم في شيء؛ فربما جر على المتعلم الإرهاق والنصب، فإنه إذا اطلع على كتب البصريين، وعرف قواعد باب باسمه مثلاً، ثم قرأ كتاب الكوفيين وأراد الباب نفسه، فلا ريب أنه محتاج إلى اسمه عندهم، حتى يهتدي إليه وفي ذلك مضیعة للوقت، وهاك بعض أمثلة من هذا:

يقول البصري: النعت، والكوفي: الصفة، والبصري: البدل، والكوفي: الترجمة، والبصري: الظرف، والكوفي: الصفة أو المحل، والبصري: حروف الجر والكوفي: حروف الإضافة، والبصري: الجر، والكوفي: الخفض، والبصري:



المصروف وغير المصروف، والكوفي: المجرى وغير المجرى، والبصري: واو المعية، والكوفي: واو الصرف، والبصري: ضمير الشأن، والكوفي: ضمير المجهول، وهكذا...»⁽¹⁾.

وعليه فهل كان حظ المصطلح النحويّ في العصر الحديث مع الثورة العلمية المتعددة في شتى المجالات وتنوع التخصصات العلمية التي لا تحدها حدود ودخول عوامل كثيرة أثرت على اللغة العربية في زماننا، هو الحظ نفسه أم تغير المعطيات أدى تغير المصطلح وظهور ما هو جديد؟.

1 - محمد الطنطاوي: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ص: 151

الفصل الرابع

المصطلح النحويّ في ظل تيسير النحو في العصر الحديث

أولاً- الحاجة إلى التيسير في العصر الحديث.

ثانياً- محاولات تيسير النحو في العصر الحديث.

1- ثورة ابن مضاء القرطبي (ت592هـ).

2- الدعوة إلى تيسير النحو حديثاً.

3- مصطلحات « تيسير النحو» في العصر الحديث.

ثالثاً- نماذج لبعض محاولات تيسير النحو في العصر الحديث.

(دراسة لبعض الآراء النحويّة الحديثة):

1- إبراهيم مصطفى وإحياء النحو.

أ- محاولات التجديد عند إبراهيم مصطفى.

ب- تغير دلالة المصطلح النحويّ عند إبراهيم مصطفى.

2- آراء تمام حسان اللسانية في ضوء نظرية تظافر القرائن.

أ- مصطلح القرائن في النظرية النحويّة.

ب- مصطلح القرائن عند تمام حسان:

ج- مصطلحات تمام حسان في ضوء نظرية تظافر القرائن.

3- مهدي المخزومي وآراءه النحويّة.

أ- التيسير عند مهدي المخزومي (خلاصة المشروع).

ب- أهم المصطلحات النحويّة التي اقترحها المخزومي.

أولاً- الحاجة إلى التيسير في العصر الحديث:

مما لا شك أن الحاجة إلى التجديد هو من بين المطالب المستمرة في حياة الإنسان بصفة عامة فهو من السنن الكونية والعقلية التي فطر الله عليها عباده، فقد جُبل الإنسان على حب التطور ولو كان ذلك على حساب بعض الأشياء التي تحيط به، ويعتبر هذا في كل الميادين وبخاصة في زمننا الذي تسارعت أيامه، وتقاربت أماكنه، وأصبح التأثير والتأثير لازمين بعد أن كانا ممكنين، لا يمكن الفرار منهما وإن استطاع أي فرد أن يكتفي بما هو موجود بنفسه، فإن المجتمع غير قادر على حب التقليد والاكتفاء بما يدور حوله، واللغة هي وسيلة التواصل بين بني البشر جميعهم، وهي المعبرة عن فكرهم الجمعي، وهنا تكمن المشكلة، وهي أننا أمة متأخرة في مجالات شتى بعد أن كانت متقدمة على جميع الأمم، ولهذا فإن فكر الأمة يعاني من صراع بين ماضٍ متقدم وحاضر متأخر، فلأي الجهتين تتحاز الأمة؟ وبأي لغة تتكلم: بلغة الماضي المتقدم التي أصبحت يسخر منها بأنها لغة الخشب أم بلغة الحاضر المتأخر إليها التي كثر منادوها بدعوى التواصل؟

وعلى هذا الأساس وغيره من المعطيات كانت محاولات التيسير النحوية - موضوع حديثنا في هذا البحث - من الأمور التطورية التي شغلت بال الكثير من النحويين في العصر الحديث والقديم أيضاً، ولقد واكبت هذه المعطيات العصر الحديث الذي تميز بالكثير من المتغيرات على جميع الأصعدة لا سيما عصر العولمة ووسائلها المختلفة التي لم تواكبها اللغة العربية في نظر الكثير من النحاة والعلماء بمختلف التخصصات، ونمى ادعاء ضعف العربية أمام التقدم العلمي يوماً بعد يوم، وقد ظهرت هذه الدعوات في إطار عام يناهز بتطوير اللغة حتى تصبح وافية بمطالب العلوم والفنون في العصر الحديث.

وقد شكل هذا الفهم ضعفاً نفسياً انهزامياً في نفوس أبناء اللغة العربية نفسها، وانطلقت دعوات هنا وهناك بعضها بحسن نية والبعض الآخر - مما لا شك فيه - بسوء نية إلى استبدال اللغة العربية بالعامة أو الدارجة لتكون أقرب للفهم - في نظرهم - وخاصة إلى الناشئين منها مثل الأطفال المبتدئين، وهذه الدعوات لم يتبناها

أعداء اللغة العربية من غير جنسها - مع الأسف - فحسب؛ بل تولى كبرها ثلثة من أبناء هذه اللغة التي نشأوا في حضنها وتشبعوا بألفاظها.

ومن بين هؤلاء الذين كان لهم - بزعمهم - تيسيرات لغوية دعت إلى استبدال اللغة العربية بالعامية الدكتور (موسى سلامة) والدكتور (محمد كامل حسين) أما الأول فكان من دعاة العامية الذين دعوا إلى إحلالها محل الفصحى، أو إحلال الحروف اللاتينية محل الحروف العربية في الكتابة، وهي دعوة لم ترتفع عن مستوى الشبهات، وقد رفض الضمير الديني والقومي التخلي عن الفصحى، وتصدوا لهذه الدعوة المشبوهة.

أما (د. كامل حسين) فقد حاول أن يغير من النموذج النحوي التقليدي في كتابه « اللغة العربية المعاصرة » وهو يقسم اللغة العربية إلى أربعة مستويات:

1. اللغة العالية وهي لغة الأدب الرفيع والخطب والمواعظ.
2. اللغة المخففة وهي الشائعة بين المثقفين والمتعلمين.
3. العامية المنقحة وهي تقوم على إحلال وتغيير بعض الأصوات والمفردات وطرق النفي والاستفهام الفصيحة محل ما يقوم مقامها من العامية.
4. العامية الخالصة.

وهو يرى أن الفصحى المخففة هي الجديرة بالدراسة دون العالية أو العامية المنقحة، ويتنبأ بأن هذه الفصحى المخففة سيكتب لها الذيوع والانتشار، ويطالب بدراسة خصائصها، ووضع القواعد المنظمة لها حتى لا تصبح مهلهلة كالعامية، أو عسيرة كالفصحى العالية⁽¹⁾.

« وممن شغلوا أنفسهم من الأجانب بتحقيق الغرض ذاته (كارل فولرس) و(سلدن ولمور) و(ويلكوكس)، وقد بدأ ذلك منذ (1880م) واستمر حتى عام (1926م) تقريباً، وفي خلال ذلك كان (لطفى السيد) و(قاسم أمين) و(سلامة موسى)

1- ينظر: محمد عبد اللطيف: دعوات التجديد والتيسير في اللغة العربية، مقال منشور على الموقع (<http://www.alwaraq.net>)، بتاريخ: 2008/03/01 على الساعة: 13:21.

قد حملوا هذه الدعوة، ثم اتصل ذلك بالدعوة التي دعاها (عبد العزيز فهمي) عام (1941م) عندما نادى بالكتابة بالحروف اللاتينية! كان هذا في مصر، وأما في المغرب فقد تولى (كولان) ومن بعده (ماسينون) لواء هذه الدعوة، وفي لبنان ظهر كثير من الدعاة إليها وإلى العامية اللبنانية.⁽¹⁾

والدعوة إلى التيسير هي دعوة قديمة قدم نشأة النحو نفسه، فكلما جاء عصر من العصور إلا وتعرض للعصور التي قبله بالنقد واتهمه بالتقصير وعدم إخضاع ما جاء به من ابتكارات للتيسير، ونعته بأبشع الصفات من تأخر ورجعية وغيرها من الأوصاف اللاذعة، فادعى بأنه يقدم خدمة للجيل الجديد يطلق عليها عدة مسميات تحت فكرة التسهيل والتيسير.

فمنذ أن ظهر كتاب سيبويه (ت180هـ) بدأ المتعلمون في الانكباب على الدرس اللغوي دراسة وتفكيكا ونقدا إذ وجدوا الغموض يكتنفه وتوصلوا إلى نتيجة أنه يحتاج إلى شرح وتوضيح، فبدأت حلق الدروس في المساجد وغيرها بالعمل على تطبيق هذا المبدأ فتخصص جملة منهم على تيسيره في حلقهم كأبي عمر الجرمي (ت225هـ)، وأبي عثمان المازني (ت249هـ)، وأبي الحسن الأخفش (ت211هـ)، وأبي إسحاق الزجاج (ت340هـ) وغيرهم ممن انتهجوا هذا المنهج في تلقين النحو وتيسيره للطلاب بالرغم من حداثة عهد أهل الأمصار باللغة العربية ومواكبتهم لها على عكس زماننا الذي استبدلت العامية أو الدارجة بدلا من اللغة العربية في تعاملاتنا اليومية.

وانتقلت علوم النحو إلى البلدان التي كانت تفتح عبر الفتوحات الإسلامية كمصر والمغرب والأندلس، وانتشرت مجالس النحو في الأقطار الإسلامية هنا وهناك وكثر شراحه مما خلق جوا من التنافس على شرح شتى كتب النحو ومنها كتاب سيبويه فقد فبلغ حوالي ستين شرحاً، وتعتبر هذه الشروح على تنوعها سبلا من التيسير.

1 - محمد محمد عبد العليم دسوقي: موروثة البلاغي والأسلوبية الحديثة دراسة.. وموازنة، دار اليسر بالقاهرة، ط، دس، ص: 03.

كما اتخذ العلماء سبلا أخرى في التيسير؛ وهي تأليف الكتب المنهجية الميسرة التي كانوا يلقنونها في مجالسهم ككتاب (الجمال) للزجاجي (ت340هـ)، و(الواضح) للزبيدي (ت379هـ) و(اللمع) لابن جنبي (ت392هـ) وغيرها، فكانت خالية من تعقيدات النحو السابقة التي تصعب على المتعلم تلقيها وفهمها ككثرة التعليل وتفريع القياس والاختلافات في الأوجه الاعرابية والوجوه والشواذ. وقد ألف العلماء المختصرات والتمتون النحوية ومن المختصرات التي ألفت في ذلك الوقت موجز في النحو للأخفش وآخر ألفه الكسائي والنحاس، ومن التمون (متن الأجرومية) لابن أجزوم الصنهاجي (ت723هـ) في القرن الثامن الهجري، و(ألفية ابن معطي ت627هـ)، وابن مالك (ت272هـ) ألف ألفية أيضا، وألفية شعبان الآثاري (ت828هـ)، فكانت تلك الوسائل كلها من التيسيرات النحوية التي انتشرت واتخذها النحويون وسيلة لتسهيل النحو وتذليل الصعوبات التي وردت فيه⁽¹⁾.

وقد يسأل سائل، لماذا التيسير، وما الهدف من وراءه؟

فالنحو غايته البدائية هو حفظ اللسان من اللحن (أي: الخطأ)، وصونه من الانحراف الذي قد يؤدي به إلى الانحراف في كتاب الله (القرآن الكريم)، إذن فكانت هذه البداية هي بداية وقائية الهدف منها صون اللسان من الخطأ واللحن وبخاصة للأعاجم، إلا أنه وبعد التطور الذي حدث في النحو واستقرار المصطلح النحوي أصبحت الغاية من وراءه تعليمية الهدف منها تعليم اللغة العربية فاحتاج ذلك إلى تبسيطه وتيسيره وتقديمه للناشئة المتعلمين عربا وعجما على اختلاف مللهم ونحلهم لذا ألفت المختصرات الميسرة والتمتون المبسطة، وهذا التعليم لخدمة القرآن واللغة العربية وصونها من الشوائب التي تعلق بها، لذا اختلفت لهجات القرآن التي جسدتها إلى القراءات القرآنية المختلفة التي كانت مصدرا وأصلا من أصول النحو في حال المستدل بقواعده.

1 - ينظر: زهير غازي زاهد: قضية تيسير النحو، مقال في مجلة الذخائر، العدد: 18، 17 (2004م).

ثانياً - محاولات تيسير النحو في العصر الحديث:

قبل الحديث عن محاولات التيسير في العصر الحديث يجدر بنا الإشارة إلى أكبر محاولة في تيسير النحو في العصر القديم وذلك بعدما ذكرنا محاولات التيسير التي تحدثنا عنها باختصار والتي تمثلت - كما ذكرنا - في المختصرات النحوية الميسرة لطلاب النحو، والمتون النحوية...، لكننا لم أذكر أكبر ثورة في مجال النحو في هذا العصر، فقد كان للنحو ثورتان لا سيما في جانب المنهج النحوي والتي كان لها تأثير واضح على النحو من جهة وعلى المصطلح النحوي الذي هو موضوع دراستنا في هذا البحث العلمي وتتمثل هاتان الثورتان في

1- الثورة الأولى : ثورة ابن مضاء القرطبي (ت592هـ): وقد كانت في القرن السادس الهجري، والتي ظهرت من خلال كتاب (الرد على النحاة)⁽¹⁾، وقد دعا من خلالها إلى الرجوع بالنحو سالف عهده في بداية الظهور وهو منهج الاستقراء، فأدت هذه الدعوة إلى جملة من المتغيرات أثرت بدورها على المعاني الدلالية والصناعية للمصطلح النحوي، وقد تمثلن هذه التغيرات في : فكرة إلغاء فكرة العامل في أصول النحو، وإلغاء القياس المنطقي والعلل المنطقية وفروعها والاكتفاء بالقياس اللغوي، وكذا العلة التفسيرية اللغوية ودعا إلى إلغاء التمارين غير العملية التي كان النحويون لتمرين الدارسين على الجدل ولا علاقة ولا صلة بينها وبين بالدرس النحوي، ودعا أيضاً إلى إلغاء أبواب في النحو، والتي أوجدتها فكرة العامل، وتمسك النحويون بها ومن أمثلة ذلك: باب الاشتغال، وباب التنازع وما يلاحظ في ذلك ميوله لأقوال الكوفيين، وهذا ما ذهب إليه مهدي المخزومي إلى أن ابن مضاء أقرب إلى منهج الكوفيين اللغوي فنقد البصريين ونحوهم لكنه لم ينتقد أحداً من الكوفيين كالكسائي والفراء إنما أخذ بأرائهم في كتابه⁽²⁾.

1 - والكتاب حققه الأستاذ الدكتور شوقي ضيف عام 1947 م ثم حققه ونشره بعد ثلاثين عاماً الأستاذ الدكتور

محمد إبراهيم البنا.

2 - ينظر: زهير غازي زاهد: قضية تيسير النحو.

ومما يمكن ملاحظته على هذه النظرية لابن مضاء أنه متأثر في ذلك بالأخذ بالمذهب الظاهري الذي انتشر في الأندلس واتبعه خلق كثير لا سيما في عهد دولة الموحدين، والمذهب الظاهري يفرض على متبعيه الأخذ بظاهر النصوص لا بالتعمق فيها والاعتماد على التأويل والقياس، وفي هذا الصدد يقول الدكتور شوقي ضيف: « إن من يرجع إلى نصوص (الرد على النحاة) يلاحظ ملاحظة واضحة أن صاحبه تآثر على المشرق وهي ثورة تعتبر امتدادا لثورة سيده عليه وأيضا فإنه يلاحظ نزعة " ظاهرية " في ثنايا الكتاب مما يؤكد صلة صاحبه بثورة الموحدين على كتب المذاهب، ومن يعرف؟ ربما كان ابن مضاء أحد المؤلبيين والمحرضين على هذه الثورة، إن لم يكن المؤلب والمحرض الأول كما يقضي بذلك منصبه، والغريب أنه لم يعن بتأليف كتاب ضد فقه المشرق وإن عني بالتأليف ضد النحو المشرقي فقد صب عنايته كلها ضد النحو»⁽¹⁾

يبدو تأثر ابن مضاء بالنحو الكوفي واضحا من خلال آراءه - كما ذكرنا سابقا- وبذلك فإن معظم مصطلحاته النحوية كانت اتباعا للمذهب الكوفي، ولكن الشيء الجديد : هو أن الثورة التي قام بها ابن مضاء غيرت الكثير من المفاهيم والدلالات في المصطلحات النحوية فألغت بعضها، وغيرت بعضها بزيادة الدلالة أو نقصانها.

2- الثورة الثانية: الدعوة إلى تيسير النحو حديثا:

إن المحاولات القديمة في التجديد والإيضاح والتيسير بمختلف آرائها لم تذهب سدى، وإنما كانت مصدر إلهام وتوجيه لمحاولات الإصلاح والتجديد في مطلع العصر الحديث، وقد بدأت هذه المحاولات في التأليف النحويّ دون الاقتراب من الأصول النظرية والمنهجية، وكانت دروس النحو قد استقرت في الأزهر محصورة في إطار الشروح والمتون، وكانت قيمة أي مؤلف في النحو تتركز في إحاطته بكل

1 - ابن مضاء القرطبي: كتاب الرد على النحاة، تح: شوقي ضيف، دار المعارف- القاهرة، ص:27) مقدمة المحقق)

تفاصيل الخلاف بين النحاة، أو شرح بعض الكتب و شواهد ابن عقيل وشذور الذهب.

ومع هذا فقد جاءت المحاولة الأولى لعرض النحو عرضاً حديثاً بعيداً عن هذه المتون على يد عالم من علماء الأزهر، وهو رفاة الطهطاوي الذي ألف أول كتاب يعرض للنحو العربي عرضاً مختلفاً عن طريقة المتون والشروح، وسماه (التحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية)، وجاء هذا الكتاب على نمط مؤلفات الفرنسيين في النحو الذي أعجب بها أثناء بعثته إلى فرنسا، فجاء الكتاب بسيط العبارة، سهل العرض ليس له متن ولا شرح، كما استخدم فيه لأول مرة الجداول الإيضاحية.

وبذلك بدأ رفاة ما يسمى بحركة إصلاح الكتاب النحوي في العصر الحديث، وكان المقصود بها تخليص الكتب النحوية من العبارات الغامضة والاختلافات، وألف هذا النوع من الكتب تياراً ظل متدفقاً حتى يومنا هذا تحت أسماء وعناوين مختلفة، مثل (النحو الواضح)، و(النحو الوافي)، و(التطبيق النحوي)، و(النحو المصفي).

إحياء النحو والتجديد في الأصول:

وبعد هذه البداية التي تعتبر من أول المحاولات؛ بدأ النحويون في التفكير في إعادة بناء أصول النحو ومبادئه. ولعل من أولى هذه المحاولات لتجديدية كتاب (إحياء النحو) للأستاذ: إبراهيم مصطفى (1937م)، ومحاولاته هي التي كانت المحفز الأساسي للتجديد، ثم جاءت بعد ذلك جملة من المحاولات التي كانت بمنزلة الثورة النحوية في تيسير النحو في العصر الحديث، ومن أهمها: وزارة المعارف (1938م)، يعقوب عبد النبي (1941-1945م)، أمين الخولي (1943م)، شوقي ضيف (1947م)، عبد المتعال الصعيدي (1947م)، محمد أحمد برانق (1958م)، مهدي المخزومي (1966م)، محمد كامل حسين (1972م)، وآخرها شوقي ضيف (1982)، وفي هذا الصدد يقول الدكتور خالد بن عبد الكريم بسندي: «يتمثل البعد التاريخي لهذه المصطلحات في علاقة اللغة العربية بذاتها وعلاقتها بالتاريخ، وهو ما أفضى إلى التساؤل عن مدى قدرة العربية على التلاؤم مع متطلبات العصر، وعن الأوجه التي يستساغ إقرار التجديد فيها والتي لا يستساغ. وتعددت المداخل إلى الموضوع:

فعولج أمر النحو من باب (اللحن) وما يتبعه من (تصحيح) أو (تصويب)، وُدّرس بثنائية المعيار والاستعمال. ومسألة تيسير النحو قديمة حديثة أدركها القدماء، وأولوها عنايتهم، وخصّوها بكتب تظهر وعيهم بها. وقد استهلّها المحدثون بجهد واضح على نحو ما فعل إبراهيم مصطفى في مصنّفه (إحياء النحو)، ثم تحمس للمشروع (طه حسين)، وصاغ مهدي المخزومي رؤيته التجديدية: (في النحو العربي نقد وتوجيه)، ثم قدم تمام حسان رؤية في مصنّفه (اللغة العربية معناها ومبناها) تمثلت بفكرة القرائن. إضافة إلى ما قدمته المؤتمرات والندوات التي عقدت شرقاً وغرباً لتيسير النحو العربي.⁽¹⁾

- جاءت دعوة إبراهيم مصطفى للنظر في كيفية بناء الدرس النحويّ بناءً جديداً يوافق معطيات الحياة التعليمية لذا فقد خلص إلى الحفاظ على الجانب التعليمي وحده في النحو، وبهذا يكون قد حافظ على جوهر ولب النحو القديم لذا فقد لاحظ د. طه حسين ذلك فقال في تقديمه للكتاب: « تقرأه فلا تجد في الكتاب أنك تنتزع من النحو القديم انتزاعاً، وإنما تحس أنك تمعن فيه إمعاناً، وكأنك تقرأ كتب الأئمة المتقدمين من أعلام البصرة والكوفة وبغداد.»⁽²⁾

ثم جاءت محاولة مهدي المخزومي تلميذ إبراهيم مصطفى متمثلة في كتابين: الأول بعنوان (في النحو العربي نقد وتوجيه) سنة (1964م)، والثاني (في النحو العربي قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث) سنة (1966م).

وقد بين مهدي المخزومي بعض جوانب هذا المنهج، ومنها:

1. أن النحو ليس من وظيفته أن يفرض على المتكلمين قاعدة أو يخطئ لهم أسلوباً.
2. وأن النحو دراسة وصفية تطبيقية.
3. وهو عارضة لغوية تخضع لما تخضع له اللغة من الحياة والتطوير.

1 - خالد بن عبد الكريم بسندي: محاولات التجديد والتيسير في النحو العربي (المصطلح والمنهج: نقد ورؤية)، مقال في مجلة: الخطاب الثقافي، العدد: 03 (1429هـ - 2008م).

2 - إبراهيم مصطفى: إحياء النحو، تق: طه حسين، القاهرة (1413هـ - 1992م) ط2، ص: ط (مقدمة الكتاب)

4. وليس للنحوي أن يفلسف أو يبني على حكم من أحكام العقل.

والمخزومي لا يعترف بالمفهوم الشامل للنحو، كما كان عند الخليل والفراء، ويرى أن ما جاء به الخليل والفراء ليس من النحو الخالص، وإنما كان درسا شاملا لفروع الدراسة النحويّة اللغوية، وكذلك يرى كتاب سيبويه.

يقول: « لقد أصبحت الحاجة ماسة إلى نحو جديد يخلو مما علق به في تاريخه الطويل من شوائب ليست منه وتعليقات فلسفية اصطنعها القوم»⁽¹⁾.

ومع هذا نلمح في فكره سيطرة المعيارية والهدف التعليمي والجانب التطبيقي.

هذا ولم يدعُ أحد ممن تصدوا لهذا العمل إلى تطبيق منهج علم اللغة الحديث منذ إبراهيم مصطفى حتى شوقي ضيف، إذا استثنينا المخزومي؛ فلم يفكر واحد منهم في استبدال نموذج جديد بالنموذج القديم، يقوم على استقرار جديد للغة العربية المعاصرة، حتى عندما قالوا بإلغاء نظرية العامل استندوا إلى دعوة ابن مضاء.

وعى هذا كله سنتعرض - بحول الله تعالى - آراء بعض هذه الثلة من الباحثين خدمة للرسالة والموضوع الأساس وهو المصطلح النحويّ ونلاحظ ما حظ هذا المصطلح في ثورتهم الداعية للتيسير، وبالتركيز على مسألة المصطلح والدلالة المعنوية والوظيفية ومدى ملائمتها لجهودهم، كما نود أيضا الكشف على حد التأثير الذي بلغه هؤلاء العلماء في العصر الحديث بمصطلحات الأوائل من النحاة.

لكن قبل هذا نود الكشف على مصطلحات التيسير في العصر الحديث وصيغة من طرف دعائها وما هو الأساس الذي ارتكزوا عليه في صياغة تلك المصطلحات:

1 - مهدي المخزومي: في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، (1986م)، ص:23.

3- مصطلحات « تيسير النحو » في العصر الحديث⁽¹⁾:

مع تعدد المصطلحات الداعية لتيسير النحو وتبسيطه؛ تعددت أيضا المصطلحات الدالة على معاني تيسير النحو ذاته وقد اختلف دعائه في صياغة المصطلح، وكل يدلي بدلوه حول ذلك: « كثرت في العصر الحديث المحاولات التي تتادي بتجديد النحو وتيسيره، وتعددت المؤلفات، وتنوعت المناهج، ورافق ذلك مجموعة من المصطلحات التي ارتبطت بسبل تبسيطه وتجديده، وهذه المصطلحات هي: الإحياء، والإصلاح، والتبسيط، والتجديد، والتيسير، إضافة إلى عدد من المفاهيم التي ارتبطت بها، مثل: التحديث، والتحرير، والتحسين، والتسهيل، والتشذيب، والتطوير، والتقريب، والتهديب»⁽²⁾، وعلى هذا الأساس لا بد من تبيان معاني هذه المصطلحات وارتباطها بالنحو وتيسيره في العصر الحديث فهي متعلقة ارتباطا وثيقا.

- مصطلح الإحياء:

ورد هذا المصطلح في البداية عند الدكتور إبراهيم مصطفى في كتابه (إحياء النحو) ولفظ: الإحياء مصدر للفعل (أحيا): يقال أحيا القوم: أخصبوا، وأحيا الله فلانا جعله حيا، وأحيا الله الأرض: أخرج فيها النبات، وفي التنزيل العزيز: «فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها...وأحيا فلان الأرض: وجدها خصبة غضة النبات»⁽³⁾

وهذا المعنى اللغوي ولا شك أنه يحمل معنى الحياة وهو معنى يعطي حيوية الدراسة، أما مدلوله من الناحية الاصطلاحية فعادة ما يحمل معاني تشاؤمية تدل على أن النحو سابقا (في القديم) كان ميتا فأحييناه قال تعالى: ﴿أَوْمَن كَانَ مَيِّتًا

1 - وردت بعض هذه المصطلحات عند الدكتور: خالد بن عبد الكريم بسندي في بحثه المعنون ب: محاولات التجديد والتيسير في النحو العربي، منشور في مجلة الخطاب الثقافي العدد 03 (1429هـ-2008م) (ينظر ص:9).

2 - خالد بن عبد الكريم بسندي: محاولات التجديد والتيسير في النحو العربي.

3 - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، تق: إبراهيم مصطفى وآخرين، القاهرة، مادة (حيي) ص:213.

فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١﴾، فتدل الآية الكريمة على أن الحياة جاءت بعد الموت وكان النحو كان في حالة وفاة قديمة فجاء هؤلاء العلماء فأحيوه من جديد، ودبت فيه الحياة من جديد، مما يحمل المعنى عدة أبعاد دلالية مثل: صعوبة النحو ، وتعقيد شواهد، وهذا هو المعنى الذي بينه إبراهيم مصطفى في مقدمة كتابه (إحياء النحو)⁽²⁾.

« فمؤشرات مصطلح الإحياء عند إبراهيم مصطفى تمثلت بالحذف والإلغاء والتجديد، وإعادة الترتيب، وفق الإسناد والتكملة والأساليب؛ ولذا ارتبط مصطلح الإحياء بإلغاء نظرية العامل النحوي، واستئصال جذورها، وما تستلزم من تقديرات وتأويلات، وارتبط المصطلح كذلك بحذف بعض الأبواب النحوية لتيسير قواعده، وتسهيل تناولها، وإعادة النظر في الحركة الإعرابية. ولكن السؤال المطروح هل أحيى النحو وبعث من جديد؟ وهل ألغى العامل النحوي؟ وهل ابتعدنا عن التقديرات والتأويلات في مناهجنا منذ أن أطلقت هذه الصرخات؟»⁽³⁾

- مصطلح الإصلاح:

ورد هذا المصطلح في العديد من المواضع عند المهتمين بميدان تعليم النحو بصفة خاصة وكمصطلح عام في شتى ميادين التعليم، وبرز عنواننا لكتاب (في إصلاح النحو) لصاحبه: عبد الوارث مبروك، وورد أيضا في أعمال وزارة المعارف المصرية، والمصطلح هو مصدر للفعل (أصلح) وهو بكل ما هو صالح ونافع لفرد أو لأمة يقال: « أصلح في عمله أو أمره: أتى بما هو صالح نافع، وأصلح الشيء: أزال فساده، وأصلح ذات بينهما: أزال ما بينهما من عداوة وشقاق، وأصلح ذريته: جعلها سالحة..»⁽⁴⁾. ويقصد به في المعنى الدلالي في العصر

1 - الأنعام:122.

2 - ينظر: إبراهيم مصطفى ، إحياء النحو ، ص: ج (مقدمة الكاتب)

3 - خالد بن عبد الكريم بسندي: محاولات التجديد والتيسير في النحو العربي.

4 - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مادة(صلح).

الحديث تنقية النحو وتخليصه مما لحق به من شوائب مترakمة جعلته متداخلاً المعاني فهو بحاجة إلى إزالة تلك التراكمات وتغيير ما هو علق بها، والغرض من إطلاق هذا المصطلح إصلاح النظام النحوي السائد والمسيطر على تعليمية النحو في العصر الحديث: « وإن كان هذا المصطلح لا يحسن ذكره في هذا المجال إلا أنه أطلق في نظر من أطلقه نتيجة النظام النحوي السائد الذي يحتاج إلى إعادة بناء وفق الترتيب المشترك لجميع الألسنة»⁽¹⁾، وهنا يقع التساؤل عن الكثير من الغموض حول كيفية تطبيق هذا المفهوم في الواقع التعليمي بمختلف مراحل الابتدائية المتوسطة والثانوية والجامعية، والأسس التي يمكن التركيز عليها في الإصلاح، والنهجية التي يجب اتباعها في الإصلاح و...

« وما نلمسه عند من نادى بالإصلاح أنهم يريدون حذف بعض الأبواب وإعادة عرض النحو مرة أخرى، فمدلول الإصلاح عندهم ارتبط بالتغيير والحذف؛ وإعادة عرض النحو عرضاً حديثاً بعيداً عن المتون النحوية كما في (التحفة المكتتبية لتقريب اللغة العربية) لرفاعة الطهطاوي الذي بدأ ما يسمى بحركة إصلاح الكتاب النحوي في العصر الحديث، وكان المقصود بها تخليص الكتب النحوية من العبارات الغامضة والاختلافات، وألف هذا النوع من الكتب تياراً ظل متدفقاً حتى يومنا هذا تحت أسماء وعناوين مختلفة، مثل (النحو الواضح) و(النحو المصفي)... فإذا كان الأمر هكذا، فهذا ما نجده في مناهجنا في مراحل التعليم العام، فهي بعيدة عن المتون النحوية، ومقدمة بطريقة تراعي طبيعة المتعلم وحاجاته الاستمولوجية، وفيها شيء من التدرج.»⁽²⁾

1 - ينظر: عبد الوارث مبروك: في إصلاح النحو العربي، دار القلم للنشر والتوزيع - القاهرة، ط1 (1406هـ-1975م)، ص:22.

2 - خالد بن عبد الكريم بسندي: محاولات التجديد والتيسير في النحو العربي.

- مصطلح التبسيط:

من المصطلحات التي وردت أيضا في العديد من الأعمال النحوية التجديدية ومن بينها مقال لحسن الشريف بعنوان (تبسيط قواعد اللغة العربية) نشر في مجلة الهلال العدد (46) عام 1938م.

والمصطلح هو مصدر للفعل (بَسَطَ)، يقال «بَسَطَ الشيء: نَشَرَهُ وجعله بسيطا لا تعقيد فيه..»⁽¹⁾، ويقصد هنا تيسير النحو وجعله ميسر للمتعلمين بعيدا عن التعقيد لا سيما لغير الناطقين باللغة العربية، ويعمل المصطلح من حيث المجال التطبيقي في التيسيرات التي وردت في باقي المحاولات الأخرى كحذف بعض الأبواب النحوية وإلغاء بعضها الآخر وإلغاء التمارين العملية لنظرة ابن مضاء السابقة، ولكن السؤال المطروح الذي يفرض نفسه: ما هي سبل تبسيط النحو المقترحة؟ وما الآلية التي تعرض لنا نحوا ميسرا؟

- مصطلح التجديد:

من المصطلحات التي تردت كثيرا في العصر الحديث وقد ورد في منتصف القرن العشرين عنوانا لعدد من الكتب منها كتاب شوقي ضيف (تجديد النحو).

ومصطلح التجديد هو مصدر للفعل (جَدَّدَ)، يقال جَدَّدَ الشيء: صيره جديدا⁽²⁾ ويرى الدكتور: محمد حسين الصغير أن التجديد هو: «فك الحصار عن التراث النحوي ليعود طليقا بعد الأسر، وبعث الحياة في المنهج النحوي ليعود غضا طريا بعد الجفاف، في محاولة لإصلاحه وتجديده في ضوء ضوابطه الفطرية دون المعالجات الكلامية، والتقسيمات المنطقية التي التزمت الحدود والرسوم في الإعراب وعلاماته، وابتعدت عن النحو في معانيه ومراميه الأخرى.»⁽³⁾

1 - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مادة (بسط).

2 - المعجم الوسيط، مادة (جدد).

3 - محمد حسين الصغير : نحو التجديد في دراسات الدكتور الجوارى ، مطبعة المجمع العراقي، العراق (1990 م)، ص:10.

والواقع أن التجديد في النحو ليس وليد اليوم إنما هو قديم منذ محاولة ابن مضاء القرطبي وهو متعلق من الجانب النظري بالحذف والاختصار والإلغاء: «وعدت هذه المحاولة صرخة مدوية في المطالبة بإصلاح النحو تارة، أو تيسيره تارة أخرى، أو بتجديده سواهما؛ لأن جل جهوده انصبت على النيل من نظرية العامل النحوي، فرأى إلغاءه واستبدال التعليق بالعمل، وضرورة التخلي عن المفاهيم عند النحويين التقليديين. وبهذا قد طرق بابا شجع من بعده من الذين انتهجوا التيار النقدي أن يتناولوا النحو بالنقد والتمحيص، والدعوة إلى التجديد والتطوير رغم ما أثير حول الكتاب من آراء وانتقادات.»⁽¹⁾

وارتبط هذا المصطلح بجملة من المحاولات التجديدية منها إلغاء نظرية العامل، وإعادة تنسيق أبواب النحو، ووضع ضوابط وتعريفات دقيقة وجديدة لها، وإضافة أبواب جديدة، فضلا على حذف زوائد كثيرة في النحو العربي، ومنع التأويل والتقدير في الصيغ والعبارات، التي دعا إليها الكثير من النحاة وعلى رأسهم ابن مضاء، وشوقي ضيف وإبراهيم مصطفى،... ووظهر ذلك جليا في كتابي (تجديد النحو) للدكتور شوقي ضيف الذي أعد له من سنوات طويلة إبان عمله على تحقيق كتاب (الرد على النحاة) لابن مضاء القرطبي. بعد تأثره بهذا الكتاب واستلهامه لفكرة ضرورة التطوير في درس النحو ومنهجه، ودعا إلى التخلص من نظرية العامل، أو التخفيف منها إذا لم يتم إلغاؤها، وقد أفاد من اقتراحات لجان وزارة المعارف المصرية، وقرارات المجمع في القاهرة⁽²⁾.

وقد تداخل مصطلح التجديد مع جملة من المصطلحات مختلف البحوث كمصطلح التيسير والتجديد والإصلاح والتطوير وكانت تصب تقريبا في المعنى نفسه لذا يرى الدكتور أحمد عبد الستار الجواري أنه يجب إعادة القراءة للنحو القديم لما يوكب العصر: «ينبغي أن يكون عمل الدارسين والباحثين العودة به إلى سابق طبيعته واستنباط أصوله الأولى التي تعيد إليه مذاقه السائغ، وتصله بالأفهام

1 - خالد بن عبد الكريم بسندي: محاولات التجديد والتيسير في النحو العربي.

2 - ينظر: شوقي ضيف: تجديد النحو، دار المعارف القاهرة ط5، ص11 وما يليها.

والأذهان والأذواق»⁽¹⁾، وأطلق الدكتور محمد الصغير على محاولات الجواري مصطلح التجديد في كتابه (نحو التجديد في دراسات الدكتور الجواري) وبرر ذلك بقوله:

- أن كتب الجواري في النحو قد جرت على هذا المجرى، واتسعت لهذا المنحى، فكانت: نحو التيسير، ونحو القرآن، والفعل، ونحو المعاني، وهذا نحو التجديد يسير في ذات المنحى.

- أن في هذا الانتظام الدقيق في مؤلفات الجواري وبحوثه إطارا تركيبيا وأصالة علمية تتبلور نظرتها الفاحصة لأساليب اللغة العربية بما يجدر أن يعد تجديدا لما درس عن فهم للنحو العربي، وتجديدا لمشاكله في العرض والأسلوب والمدارس.

- أن في آراء الجواري في النحو العربي جدة وطرافة: جدة في العرض، وطرافة في النتائج.⁽²⁾

أما مهدي المخزومي فقد ورد عنده هذا المصطلح في كتابيه: (في النحو العربي نقد وتوجيه)، (في النحو العربي قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث) وحدد فيها معنى المصطلح من وجهتين اثنتين هما:

الأول: - التجديد التراثي: وذلك بهدم فكرة العامل النحوي « وقد حاولنا فيما سبق أن نهدم فكرة العامل في النحو وأن نسلب الفعل الذي هو أقوى العوامل عندهم قدرته على العمل، وعلى الرفع والنصب »⁽³⁾ وبين أيضا أن النحو متطور أبدا، يقول: «النحو عارضة لغوية تخضع لما تخضع له اللغة من عوامل الحياة والتطور؛ فالنحو متطور أبدا، والنحوي الحق هو الذي يجري وراء اللغة؛ ينتبع مسيرتها ويفقه

1- أحمد عبد الستار الجواري، نحو التيسير دراسة ونقد منهجي، العراق، مطبعة المجمع العلمي العراقي، (1984 م)، ص: 5-6.

2- ينظر: محمد الصغير: نحو التجديد، ص: 10. نقلا عن (خالد بن عبد الكريم بسندي: محاولات التجديد والتيسير في النحو العربي).

3- مهدي المخزومي: في النحو العربي نقد وتوجيه، ص: 62.

أساليها... فإذا قال النحويّ مثلاً: إن الفاعل مرفوع... فليس له أن يفلسف ذلك أو يبينه على حكم من أحكام العقل»⁽¹⁾، وبين أن « النحو دراسة وصفية تطبيقية لا تتعدى ذلك بحال »⁽²⁾.

والثاني: - التجديد في النظرة الموضوعية إلى علم المعاني لأنه يرى أنّ ذلك المنحى الذي اتجه إليه هؤلاء في ضم علم المعاني إلى علم النحو أقل مما ينبغي تطبيقه بل إنّ من « سموا علم المعاني هم النحاة الحقيقيون ، وهم الذين دفعوا بالدرس النحويّ إلى الأمام، وقدموا للدارسين فيه نتائج طيبة حري أن يستفاد منها»⁽³⁾.

- مصطلح التيسير:

هو مصطلح من المصطلحات التي استعملت بكثرة في العصر الحديث أيضاً فوردت في الكثير من الأعمال التي خدمت تيسير النحو ومن الكتب التي وردت فيها كتاب (تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً) للدكتور شوقي ضيف، كما جاء ذكرها في ثنايا بعض الكتب التيسيرية مثل كتاب (إحياء النحو) للدكتور إبراهيم مصطفى.

و هو مصدر للفعل (يسرّ)، يقال: يسرّ الشيء: سهّله، ويقال يسرّ له كذا: هيّأه وأعدّه⁽⁴⁾. فهو عرص النحو بطريقة وأسلوب سهل وميسرّ، وهذا المعنى الدلالي الذي بينه شوقي ضيف في كتابه (تيسير النحو التعليمي) لبيان المقصد من تأليفه للكتاب حيث قال: « ورأيت دعماً له وأداءً لحقه أن أوّلف هذا الكتاب الجديد؛ لأزود بحشد من الدراسات والأدلة المستقصية المستأنية؛ حتى يستبين نهجي غاية الاستبانة فيما رسمته فيه للنحو التعليمي من تجديد وتيسير»⁽⁵⁾، والتيسير هنا الغرض منه هو مساندة متطلبات العصر الحديث، في طرق تعليمه وتلقينه للمتعلمين: « وتكييف

1 - مهدي المخزومي: في النحو العربي نقد وتوجيه، ص: 19 .

2 - المرجع السابق، ص: 19.

3 - المرجع نفسه، ص: 14. وينظر أيضاً: خالد بن عبد الكريم بسندي: محاولات التجديد والتيسير في النحو العربي.

4- المعجم الوسيط، مادة (يسر).

5- شوقي ضيف، تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً مع نهج تجديده، القاهرة ، دار المعارف، ط2، (1993م)،

ص: 6. (ذكر أيضاً عند خالد بن عبد الكريم بسندي: محاولات التجديد والتيسير في النحو العربي.)

النحو والصرف مع المقاييس التي تقتضيها التربية الحديثة عن طريق تبسيط الصورة التي تعرض فيها القواعد على المتعلمين. فعلى هذا ينحصر التيسير في كيفية تعليم النحو، لا في النحو ذاته»⁽¹⁾.

والهدف من التيسير أيضا ليس الحذف والتقديم والتأخير وإعادة صياغة الأبواب وغيرها، إنما هو تقديمه للناشئة والمتعلمين سهلا، يستطيع فهمه واستيعابه دون تعقيدات موافقا للحالة التي يكون عليها المتعلم بالتدرج المطلوب في منهجية التعليم: « وليس التيسير بحذف بعض أبواب النحو بل بتيسير سبل تناوله وتقديمه للناشئة، وهذا ما بينه المخزومي من أن التيسير لا يقوم على الاختصار، ولا على حذف الشروح النحويّة والتعليقات والحواشي التي تملأ بطون كتب النحو، ولكنه يبنّي على العرض الجديد لموضوعات النحو بإصلاح شامل لمنظومة الدرس النحويّ وموضوعاته أصولا وفروعا...»⁽²⁾

وعادة ما يربط مصطلح التيسير بالنحو التعليمي لأن الغرض منه تعليم النحو كما واضح من خلال جل البحوث التيسيرية المختلفة، وهناك من استعمله بمعنى النحو العلمي القائم على المنطق والاستنباط للأحكام النحويّة دون النظر لتسهيله للمتعلّم على أساس أن المتعلم هو من يرفع نفسه لمستوى النحو لا أن ننزل به دون مستواه الحقيقي بحجة صعوبته فنقوم عند ذلك بالانقاص من قيمة اللغة العربية والخط منها: « إذا لم يستند الباحثون والدارسون إلى المنهج اللغوي الحديث، ويتكبروا عن التفاسير الفلسفية والتأويلات المتعسفة»⁽³⁾، وفي الحقيقة أن مصطلح التيسير الذي يقابل التبسيط دار عند العلماء حول بعدين: بعد تبسيط مفاهيم النحو

1- محمد صاري، تيسير النحو: موضة أم ضرورة؟ بحث منشور في أعمال ندوة تيسير النحو، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، (2001م)، ص: 184.

2 - خالد بن عبد الكريم بسندي: محاولات التجديد والتيسير في النحو العربي - ينظر: مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه ص: 14-15.

3- ناصر لوحيشي: الدرس النحويّ، مشكلاته ومقترحات تيسيرية، بحث منشور في كتاب أعمال ندوة تيسير النحو، الجزائر، المجلس الأعلى للغة العربية، (2001م)، ص: 108.

ومصطلحاته أو اختزال بعض أبوابه وحذف الكثير. وبعد إصلاح طرائق تعليمه باعتماد طرائق إجرائية.

هذه بعض المصطلحات التي تدل على تيسير النحو إلا أن هناك بعض المصطلحات الأخرى التي وردت في ثنايا البحوث المختلفة التي ثار بها النحاة ثورتهم النحوية في العصر الحديث والتي وردت على سبيل الترادف مثلا أو الشرح لكتها لم تكن لها تلك الشائعة للمصطلحات السابقة الذكر ومنها:

التحديث، والتحرير، والتحسين، والتسهيل، والتشذيب، والتطوير، والتقريب والتهديب. وتضمنت هذه المفاهيم في مجملها نفس المفاهيم السابقة المتعلقة بالتيسير والتجديد ... وهو حذف بعض الأبواب النحوية واختصار بعضها وتغيير المصطلحات النحوية، مثل: تغيير مصطلح المفعول فيه إلى ظرف الزمان وظرف المكان، وتغيير مصطلح المضاف إليه إلى المجرور في حال الإضافة، والأخذ برأي الكوفيين فيما يتعلق بخبر كان والمفعول الثاني لظن وأخواتها، وعده حالا.

وما ننتهي إليه أن هذه المصطلحات التي رافقت محاولات التجديد والتيسير في النحو العربي والمفاهيم التي ارتبطت بها كانت هي بدورها متداخلة شأنها في ذلك شأن المصطلح النحو في سابق عهده، ولا يوجد ضابط عند العلماء لاستخدامها فكانت ترد أحيانا على سبيل الترادف - كما ذكرنا - ، وأخرى على سبيل الإتيان، فلم تكن ذات معان بيينة وتقنية مطردة إنما كان كل باحث يدلي بدوله على حسب فهمه ومنهجه وبحته الذي رآه مناسباً لتيسير النحو في العصر الحديث، ولم تحقق الحدّ الجامع المانع الذي نعرف منه بداية هذا المصطلح ونهايته، وأوجه اتفاقه وافتراقه، بل كانت مختلطة، غابت معها مؤشرات الدلالة الاصطلاحية، وإن بدت ملامح اتفاق في التوجه. وما طرحته هذه المصطلحات يقوم في مجمله على حذف بعض الأبواب النحوية بحجة أنها لم تعد مستخدمة، وتقديم بعض الأبواب وتأخير بعضها الآخر، وحذف الشواهد النحوية القديمة، والوقوف عند الأمثلة الجديدة المستقاة من الواقع، واختصار المادة أو عرضها بطريقة مشوقة للمتعلم، فلم تقدم مضامين حقيقية عملية لنحو مقترح، بل بقيت في إطار التنظير. ويبدو أن واقع هذه

المصطلحات موجه لتيسير النحو العلمي التخصصي؛ لأننا نجد أن مناهج النحو التعليمي التي تدرس للطلاب في التعليم العام راعت الجانب التربوي، وركزت في جُلّها على المهارات اللغوية، مع أننا نجد أحياناً خلطاً بين مستويي النحو: العلمي والتعليمي عند مَنْ طرح المصطلحات السابقة، وما ارتبط بها من مفاهيم⁽¹⁾.

ثالثاً- نماذج لبعض محاولات تيسير النحو في العصر الحديث: (دراسة لبعض الآراء النحويّة الحديثة):

محاولات التيسير في العصر الحديث كثيرة وقد تعددت هنا وهناك سواء بالشكل المباشر والتصريح على ذلك عياناً أو تناول هذه المحاولات في ثنايا البحوث النحويّة واللغوية، ومن الذين اقترحوا مشاريع في هذا الباب:

- الدكتور إبراهيم مصطفى: من خلال كتابه الشهير (إحياء النحو).
- الدكتور مهدي المخزومي: من خلال كتابه (في النحو العربي نقد وتوجيه).
- الدكتور تمام حسان: وله في هذا الميدان عدة مؤلفات منها (اللغة العربية معناها و مبناها) و (مناهج البحث في اللغة) و (اللغة العربية بين المعيارية و الوصفية).
- الدكتور شوقي ضيف: من خلال مؤلفاته (تجديد النحو) و (تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً مع نهج تجديده).

وقد ذكرنا هذه المحاولات التجديدية على سبيل المثال فقط لا الحصر لأن وكما ذكرنا أن محاولات التيسير كثيرة في العصر الحديث وقد تناولها الكثير من الباحثين وأقيمت لذلك العديد من الندوات والملتقيات في مختلف البلدان العربية وغير العربية وفي مختلف الجامعات ومنها ندوة تيسير النحو التي أقامها المجلس الأعلى للغة العربية (الجزائر) سنة (2001م) والتي جمعت أعمال تيسير للعديد من الباحثين ونشرت في مجلة (شبه كتاب) بعنوان: (تيسير النحو) وقد تم نشره على حساب نفقة المجلس الأعلى للغة العربية الجزائرية العاصمة.

1 - ينظر: خالد بن عبد الكريم بسندي: محاولات التجديد والتيسير في النحو العربي.

01- إبراهيم مصطفى وإحياء النحو:

أ- محاولات التجديد عند إبراهيم مصطفى:

إنّ الحديث عن حركة التيسير في العصر الحديث يؤدي بنا إلى إعادة النظر في أصول النحو ومبادئه إذ أن هذه الحركة أول ما ظهرت بوادرها، كانت أولى هذه المحاولات الإحيائية هي كتاب: (إحياء النحو) للأستاذ إبراهيم مصطفى سنة (1937م)، وقد: «تبنى أصحاب هذا الاتجاه مشروع القطعية مع الموروث في منهجيات مختلفة متخذة من نقد التراث النحوي هدفاً لهدم أصوله النظرية، وهي لم تكف بالقراءة الداخلية للتراث بل استمدت أسسها من قراءة خارجية حفزت أصحابها على نقض الثوابت، وسلخوا منها جديداً لتفكيك الماضي»⁽¹⁾

وهذا الكتاب (إحياء النحو) من أشهر الكتب التي ظهرت في الثلاثينات من القرن العشرين، وقد قدم له طه، حسين بمقدمة طويلة، وهو الذي اقترح على المؤلف تسمية الكتاب (إحياء النحو) قال الدكتور طه حسين في مقدمة الكتاب: «أقبل عليّ إبراهيم ذات يوم، فقرأ عليّ فصولاً من كتابه هذا، فأبیت عليه إلا أن يمضي في القراءة من الغد، ومازلنا كذلك، يقرأ وأسمع وأناقش حتى فرغنا من قراءة الكتاب ولم يكن يعرف له اسماً، فاقترحت عليه هذا الاسم الذي رسمه به (إحياء النحو) فأكبره واستكثرتة وأشفق منه، وأحث أنا فيه فلم يستطع لي خلافاً»⁽²⁾.

والغرض من هذه الدعوة عند إبراهيم مصطفى هو إزالة معالم النحو العربي إذ يقول: «أن أغيّر منهج البحث النحويّ للغة العربية، وأن أرفع عن المتعلمين إصر هذا النحو، وأبدلهم منه أصولاً سهلة يسيرة»⁽³⁾

لقد بنى المؤلف أفكاره في تيسير النحو وتجديده أو إحياءه - كما يرى مؤلف الكتاب نفسه ذلك - على فكرتين أساسيتين هما:

1- أحمد بن جار الله الزهراني: اتجاهات تجدين النحو عند المحدثين، مكتبة الرشد (ناشرون)-الرياض،

ط1(1428هـ-2007م)، ص:16

2 - إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، ص: ن.

3 - المرجع السابق، ص:09.

1) مطالبته أن يتسع الدرس النحويّ فيشمل دراسة أحكام الجرجاني « في كتابه (دلائل الإعجاز) وبين أن الكلام طريقاً جديداً والكلام عنده هو نظم وأن رعاية هذا النظم، وإتباع قوانينه فهو لا سبيل إلى الإبانة والإفهام وأنه إذا عدل بالكلام عن سنن النظم لم يكن مفهوماً معناه، ولا دالاً على ما يراد منه، وضرب مثلاً ذلك بالمطلع المشهور (قَفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ)، لو خولف فيه النظم وعدل به عن سننه وقواعده، فقيل: نَبْكَ، قَفَا، حَبِيبٍ، من ومنزل ذكرى، لكان لكوامن الكلام عتبا»⁽¹⁾.

2) مطالبته بإلغاء نظرية العامل، واستئصال جذورها، وما ستلزم به من تقديرات وتأويلات تذهب بروح اللغة وجمال العبارة -كما يرى-. فلقد أكب النحاة على درس الإعراب وقواعده وجعلوه: «أساس بحثهم فيه (الإعراب أثر بطلية العامل) فكل حركة من حركاته، وكل علامة من علاماته إنما يجيء تبعاً لعامل في الجملة هي النحو كله، أليس النحو هو الإعراب، والإعراب أثر العامل»⁽²⁾.

فلب النظرية التي يدور حولها كتاب (إحياء النحو): هو أن توضح القواعد على أساس مستقرئين الإعراب والمعنى، ويرى أن الإعراب الضمة والكسرة فقط وهما ليستا بقية من مقطع، ولا أثر لعامل من اللفظ، أما الفتحة هي عنده ليست علامة إعراب ولا أداة على شيء.

وقد كانت الأصول العامة التي بنى عليها تصنيفه الجديد ما يلي: "ليست الحركات الإعرابية حكماً لفظياً خالصاً، بل هي إعلام لمعان، فذهب إلى القول بأن حركات الإعراب الحقيقية هي الرفع والجر، وجعل الرفع علامة على كل كلمة ويستند إليها الكلام، والجر علامة على كل ليست بعلم الإعراب، فهي حركة مستحبة عند العرب لختم كلامهم ما لم بلفتهم عنها لافت، فهي بمنزلة السكون في لغتنا الدارجة ومنه:

- العلل لا تعمل وإنما المتكلم هو العامل.

- ليست هناك علامات أصلية وعلامات فرعي.

¹ - ينظر: إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، ص: 16-17.

2 - ينظر: المرجع السابق، ص: 22.

بهذه المبادئ والأفكار نقد المؤلف فيه نظريات النحو العربي ونادى فيها بتيسير وإصلاح النحو، وقد سعى من خلال ذلك إلى تغيير البحث النحويّ للغة ورفع التعقيد الذي يقع على كاهل المتعلمين واستبدال الأصول الأولى للنحو بأصول يسيرة تقرب الفهم للعربية حيث يرى أن وضع النحو المعتمد على ضبط الآخر لا يصور المعنى. لذا اقترح تعديل تعريف علم فهو عنده ليس علما تعرف به أحوال أو آخر الكلم إعرابا وبناءً؛ إنما هو: « قانون تأليف الكلام وبيان لكل ما يجب أن تكون عليه الكلمة في الجملة، والجملة مع الجمل حتى تنسق العبارة، ويمكن أن تؤدي معناها. »⁽¹⁾. ويرى: « أن سبب الخلاف في النحو يرجع إلى عدم تصوير حركات الإعراب للمعنى، فوضع نظرية لتحديد معاني الإعراب في الأصول التالية »⁽²⁾.

1- **الضمة علم إسناد ودليل الكلمة** يتحدث عنها: « وموضعها هو المسند إليه أي المتحدث عنه ويتم استطراده فيها وإقحامه معها كما يلي »⁽³⁾:

- المبتدأ والفاعل نائب الفاعل، كل مرفوع من هذه المرفوعات "مسند إليه"، وجعل النحاة هذه المرفوعات نوعا واحدا في الحاكم واختلفوا في بعض إحكامه كاختلافهم في الفاعل والمبتدأ.

2- **الكسرة علم الإضافة بالحرف أو بغيره**: يرى المؤلف أن الكسرة: « علامة واضحة على أن الاسم قد أضيف إليه غيره سواء كانت هذه الإضافة بلا أداة: (كَمَطَرُ السَّمَاءِ، وَخَصْبُ الْأَرْضِ) أو في المجاورة وهي نوع من الإتياع. »⁽⁴⁾.

3- **الفتحة ليست بعلم الإعراب**: ويرى هنا المؤلف أن: « الفتحة لا تدل على معنى الكلمة كالضمة والكسرة، فليست بعلم إعراب، إنما هي الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب التي يحبون أن يشكل بها آخر كل كلمة في الوصل ودرج الكلام فهي في

1 - إبراهيم مصطفى: إحياء النحو، ص: 01.

2 - أحمد بن جار الله الزهراني: اتجاهات تجدين النحو عند المحدثين، ص: 24.

3 - إبراهيم مصطفى: إحياء النحو، ص: 35 وما بعدها.

4 - المرجع السابق، ص: 72.

العربية نظير السكون في لغتنا العامية»⁽¹⁾، ومن خلال ذلك يتضح أن الفتحة عند المؤلف هي حركة عارضة لا تدل على معنى كالذي تؤديه الضمة أو الكسرة، فهي حركة سريعة ينتهي بها أواخر الكلم دون أن تعطي معنى للفظة أو تؤدي غرضاً للكلام، فهي تشبه السكون الذي ينهي به المتكلمون كلامهم في الدارجة.

- من خلال هذه الأصول التي ذكرت آنفاً تبلورت مجموعة من الكليات وقد ذكرها صاحب الكتاب كالاتي:

- الثورة على العامل وإرجاع التأثير في حركات الإعراب للمتكلم : «... رأوا أن الإعراب بالحركات وغيرها عوارض للكلام تتبدل بتبدل التركيب، على نظام فيه شيء من الاطراد، فقالوا: عرض حادث لا بد له من محدث، وأثر لا بد له من مؤثر؛ ولم يقبلوا أن يكون المتكلم محدث هذا الأثر لأنه ليس حراً فيه يحدثه متى شاء؛ وطلبوا لهذا الأثر عاملاً مقتضياً، وعلّة موجبة، وبحثوا عنها في الكلام فعددوا هذه العوامل، ورسموا قوانينها»⁽²⁾

- توحيد الأبواب ذات العلاقة الواحدة تحت باب واحد: لجعل كل من أبواب الرفع الثلاثة، للمبتدأ، والفاعل، ونائب الفاعل تحت باب واحد»⁽³⁾

- إعادة تفسير التوابع حيث ألغى بعضها وأضاف إليها الخبر: قال الكاتب بتقسيم التوابع إلى قسمين هما:

الأول: « تكون فيه الكلمة الثانية من الأول بمنزلة المكمل للمعنى المتم له حتى لا يفهم المعنى إلا بهما معاً.»⁽⁴⁾، ويكون فيه حكمه أن يكون للاسم الثاني ما للأول من إعراب تعريف وتكثير وتأنيث. كقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ

1 - إبراهيم مصطفى: إحياء النحو، ص: 78.

2 - المرجع السابق، ص: 31.

3 - المرجع نفسه، ص: 60.

4 - المرجع نفسه، ص: 118.

رَقَبَةٌ مُؤْمِنَةٌ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِيهَا ﴿١﴾ فلفظة (مُؤْمِنَةٌ) هي مكملة لـ:
(رَقَبَةٌ) إذ لا يتضح المعنى إلا بها.

الثاني: « لا تكون الكلمة الثانية فيه من الأولى بمنزلة المكمل - حتى لا يفهم المقصود إلا بهما معا - بل يكون الأول دالا على معناه مستقلا بإفهامه، والثاني: دالا على معنى الأول حظ من البيان والإيضاح يجيء من قرن الكلمتين إحداهما إلى الأخرى. »⁽²⁾، وقد حذف منها من هذه المراجع توابع العطف ، وخالف النحاة في النعت السببي، وجعله إتباعا للمحاورة⁽³⁾، كما أضاف المؤلف إلى هذه التوابع الخبر، وجعله من الأقسام السابقة، « ويجب أن يزيد هنا تابعا، هو أهم الأقسام السابقة كلها وأولها أن يذكر في باب التوابع وهو الخبر..... »⁽⁴⁾.

4- إنكار تعدد أوجه الإعراب في اللفظ الواحد:

لم يعز المؤلف وتعدد الإعراب للفظ الواحد إذا يخالف ما ذكر آنفا فيما يخص الحركات الإعرابية: « إيجاز النحاة فيها وجهين من الإعراب، ساووا بينهما مرة، وفضلوا وجها على الثاني في الأخرى، والأصل الذي تقرر، ولا يساير هذا التعبير ولا يجيزان أن يكون للكلام وجهان من الإعراب. »⁽⁵⁾

5- إنكار العلامة الفرعية:

« وقد أطال النحاة بذكر علامات أخرى للإعراب، سموها العلامات الفرعية وجعلوها نائبة عن العلامات الأصلية، وسترى فيما يعد ألا وجه لهذا التفصيل والإطالة..... »⁽⁶⁾

1 - النساء: 92.

2 - إبراهيم مصطفى: إحياء النحو، ص: 120.

3 - ينظر: المرجع السابق: 126.

4 - المرجع نفسه، ص: 126.

5 - المرجع نفسه، ص: 165.

6 - إبراهيم مصطفى: إحياء النحو، ص: 109.

- لقد تعرضت هذه المحاولة إلى نقد كبير من قبل العلماء والباحثين الذين بنوا فساد الأصول التي انتهى إليها المؤلف، وعدم استقامة أحكامها، وإطرادها عن كلام العرب، كما أثبتوا أن أفكار إبراهيم مصطفى جديدة، فكثير من المسائل التي ذكرها وأجهد نفسه في الاحتجاج بها قد سبقه إليها بعض العلماء مثل فكرة: المتكلم هو الذي يحدث الإعراب فقد سبقه إليها ابن جني (ت 392 هـ).

ب- تغير دلالة المصطلح النحوي عند إبراهيم مصطفى:

إن المتبع لاقتراحات إبراهيم مصطفى من خلال كتابه (إحياء النحو) يرى أنه لم يتعرض للنحو من الناحية العلمية بقدر ما تعرض له من الناحية التعليمية المنهجية لذلك إذا أمعنا النظر للمصطلحات النحوية فإنه لم يأت بمصطلحات جديدة إنما أعطى الكثير من الدلالات الجديدة للعديد منها محاولاً تجديدها من الناحية الصناعية (أي المعنى الاصطلاحي) لذلك نود أن نبين الجديد فيها وما فعله من تغيير واتساع مدلولاتها من خلال بعض التوسعات في بعض المصطلحات فقط والغرض من ذلك توضيح الظاهرة لا الوقوف على عدد المصطلحات التي تغيرت معانيها ومدلولاتها الصناعية والسبب في هذه الظاهرة هي محاولات التيسير التي أرادها مركزاً في ذلك على هدم نظرية العامل ومن بين هذه المصطلحات:

01- مصطلح « العامل » نفسه:

إن نظرية العامل هي من الأسس الأولى في النحو والتي تتبها إليها العلماء منذ تأسيس النحو تقريباً، تحت مبدأ (أن كل أثر لا بد له من مؤثر⁽¹⁾)، فالفعل سبب في رفع الفاعل، والابتداء يرفع المبدأ، وهكذا... على اختلاف العلماء فيما بينهم.

والأستاذ (إبراهيم مصطفى) من الأوائل الذين دعوا في العصر الحديث لإلغاء نظرية العامل، لأنه في نظره من مشكلات تعقيد النحو، فوجد في إلغائها تيسيراً للنحو، فقد دعا المؤلف إلى إلغاء نظرية العامل من أساسها، وكذلك كل ما أقامه حولها النحاة

1 - هذا المبدأ يشبه مبدأ الحتمية والسببية عند الفلاسفة وهذا من بين مبررات خضوع النحو للمنطق والفلسفة.

من أصول فلسفية، وما رتبوه عليها من أحكام أصابت النحو بالتعقيد والصعوبة على حد قوله.(1)

ويرى أن الحركات الاعرابية هي لا تتغير بسبب دخول العوامل بل هي من عمل المتكلم نفسه: « من عمل المتكلم ؛ ليدل بها على معنى في تأليف الجملة ونظم الكلام.»(2)، ويبدو هنا متأثراً بنظرية ابن مضاء لذا نود أن نبين هنا أن مصطلح العامل لم يعد له بقاء في تجديد ابراهيم مصطفى.

02- مصطلحات «الفاعل ونائب الفاعل و المبتدأ»:

يرى إبراهيم مصطفى أن هذه المصطلحات (المبتدأ والفاعل ونائب الفاعل) يجب أن تكون في باب واحد: « إذا تتبعنا أحكام هذه الأبواب وجدنا فيها من التماثل ما يوجب أن تكون باباً واحداً»(3)، وانطلق في ذلك من الفكرة السابقة التي رأى من خلالها (أن الضمة تدل على الإسناد)، ويبدو - والله أعلم - أنه انطلق دائماً من إلغاء نظرية العامل لأن توحيد هذه المصطلحات تحت هذه الفكرة سوف يغني عن فلسفة العامل والخلاف فيه وعن تعدد الأبواب وتكثير الأقسام ويجعل الحكم النحوي أقرب إلى الفهم وأدنى إلى روح العربية(4).

ويرى بعض الباحثين خلاف ذلك، فالفاعل شيء ونائبه شيء آخر، فالفاعل هو الذي قام بالفعل أو اتصف به أما نائبه فقد وقع عليه الفعل؛ إذ إنه مفعول به في الأصل ، وحسناً فعل النحاة القدماء حين سمو الفعل المبني للمعلوم (المبني للفاعل) والفعل المبني للمجهول (المبني للمفعول)؛ ليبيّنوا الفرق الدلالي بين هذين النوعين إلا أنهم سمو المفعول به (نائب فاعل)؛ لأنه قام مقام الفاعل في بعض الأحكام، وأخذ علامة إعرابه، أما دعوة الأستاذ إلى جمعها في باب واحد فلأنه نظر إليهما

1 - إبراهيم مصطفى: إحياء النحو، ص: 29-30.

2 - المرجع السابق، ص: 50.

3 - المرجع نفسه: ص: 54.

4 - ينظر: المرجع نفسه، ص: 60.

على أن كليهما مُسندٌ إليه؛ لتقليل المصطلحات النحوية والتسهيل على المتعلمين غاضاً النظر عن الفرق الدلالي بينهما؛ إذ إنَّ الأوَّلَ فاعلٌ والآخرَ مفعولٌ به⁽¹⁾.

03- مصطلح «الفتحة لا يدل على الإعراب»:

ويتضح هنا أن المؤلف ألغى عمل الفتحة وجعلها كالسكون في اللغة العامة: « أن الفتحة لا تدل على معنى كالضمة والكسرة ، فليست بعلم إعراب ، وإنما هي الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب التي يحبون أن يُشكل بها آخر كل كلمة في الوصل ودرج الكلام ، فهي في العربية نظير السكون في لغتنا العامية»⁽²⁾.

« وهذا الرأي غريب، ويدفعنا إلى عدم قبوله أنه يتعارض مع الفكرة الأساسية التي أقام عليها كتابه، وهي أن علامات الإعراب دوال على معان في تأليف الجملة، وكون الفتحة خفيفة مستحبة لا يوجب حرمانها من دلالة، والمؤلف أجهد نفسه؛ ليثبت أن الفتحة أخف من السكون، ولو كان ما ذهب إليه صحيحاً لما وقف العرب بالسكون على الكلمات التي تنتهي بالفتحة، ولانتهزوا فرصة اختتامها بالفتحة، فوقفوا بها استمتاعاً بما يحبون، ثم ما الذي يدل على معاني المفعولية والحال والتمييز؟»⁽³⁾.

04- مصطلح «التوابع»:

التابع: « يراد به ما شارك ما قبله في إعرابه وعامله مطلقاً، وليس خبراً. وهو النعت، والبدل، وعطف البيان، وعطف النسق، والتوكيد.»⁽⁴⁾، أما المؤلف فيرى أن تطبيق فكرة ربط الإعراب بالمعنى على التوابع تؤدي إلى اختصار قواعدها وإيضاح أحكامها وتيسيرها ، وذلك على النحو الآتي⁽⁵⁾:

- 1 - عصام كاظم الغالبي: كتاب إحياء النحو للأستاذ إبراهيم مصطفى (تحليل ونقد)، مقال منشور في موقع شبكة صوت العرب (www.voiceofarabic.net) ، بتاريخ: 2011/05/09 على الساعة: 14:01.
- 2 - إبراهيم مصطفى: إحياء النحو، ص: 78.
- 3 - عصام كاظم الغالبي: كتاب إحياء النحو للأستاذ إبراهيم مصطفى (تحليل ونقد)، مقال.
- 4 - محمد ابراهيم عبادة: معجم مصطلحات النحو...، ص: 66.
- 5 - ينظر: عصام كاظم الغالبي: كتاب إحياء النحو للأستاذ إبراهيم مصطفى (تحليل ونقد)، مقال.

أ _ عطف النسق ليس بتابع؛ لأنّ الثاني شريك للأول، وله مثله صفة الاستقلال فيعرب مثله مسندا إليه أو مضافا أو غير ذلك، أما الاهتمام فيجب أن يوجه إلى معاني حروف العطف⁽¹⁾.

ب _ النعت الحقيقي والبدل وعطف البيان والتوكيد هي التي تستحق اسم التوابع وإن كان النعت أدخلها في التبعية من حيث إنه يجب أن يطابق متبوعه في مختلف الأحوال (الإعراب والنوع والعدد والتعريف أو التوكيد) على حين لا يلزم في الثلاثة الباقية، في رأيه، أن تنفق في غير الإعراب⁽²⁾.

وقد غيرت تيسيرات المؤلف الكثير من المصطلحات على هذا النحو وعليه فإنه لم يؤثر على المصطلح من حيث الصياغة ولا حتى من حيث المعاني اللغوية بل حافظ عليها كما كانت في العصور السابقة إلا أنه غير في المعاني الدلالية الصناعية للمصطلحات وأعطاهما تجديدا من خلال أفكاره.

02- آراء تمام حسان اللسانية في ضوء نظرية تظافر القرائن:

إنّ من آراء تمام حسان اللغوية التي ظهرت في هذا العصر وردت في بداية الأمر في كتابه المهم: (اللغة بين المعيارية والوصفية) الذي صدر وطُبع لأول مرة سنة (1958م)، الذي تبنى من خلاله وجهة النظر الوصفية لنقد التراث النحوي العربي الذي وسمه بالمعيارية بانقضاء عصر الاستشهاد وبداية عصر جديد يختلف عن العصور السابقة؛ إذ اكتفى النحويون بدراسة المادة اللغوية القديمة (الفصيحة) دون أدنى محاولة لتجديدها بالاعتماد على اللغة المتطورة⁽³⁾.

وقد بنى تمام حسان الدرس اللغوي في مشروعه التيسيري على تصنيف العناصر المكونة له من حيث الشكل ومن حيث الموضوع على أساس الاستقراء الحسي⁽⁴⁾، وقد اهتدى بهذه الأفكار إلى التقسيم اللغوي للكلمة إلى: اسم وفعل، و أداة

1 - إبراهيم مصطفى: إحياء النحو، ص: 115 - 116.

2 - المصدر السابق، ص: 119 - 120.

3 - تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 13.

4 - تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية (1990م)، ص: 15.

وضمير وخالفه، وحاول في دراساته إعادة قراءة التراث النحوي في ضوء النظرية السياقية الحديثة⁽¹⁾، ويتضح ذلك من خلال كتابه: **اللغة العربية معناها ومبناها**، الذي أظهر فيه مدى اعتماده على المنهج الوصفي في دراسة اللغة وهذا ما يناسب المنهج البنيوي الحديث الذي يعتمد على بنية اللغو من خلال مكوناتها. ويرى تمام حسان أن الدراسات اللغوية العربية التي سبقتها اتسمت بسمة الاتجاه إلى المبنى أساساً ولم يكن قصدها إلى المعنى إلا تبعاً لذلك وعلى استحياء، وقوله إن النحويين لم يولوا المعنى المعجمي عنايتهم في تحليلهم اللغوي.

ويرى أيضاً أن النحويين لم يعطوا عناية كافية للجانب الذي يشتمل على طائفة من المعاني التركيبية والمباني التي تدل عليها ومن ذلك مثلاً: معنى الإسناد... وقوله إن النحويين لم يتفطنوا إلى طبيعة التعارض الممكن حدوثه بين النظام ومطالب السياق أو بعبارة أخرى التعارض بين مطالب التحليل ومطالب التركيب⁽²⁾.

وعلى هذا الأساس جاءت محاولات تمام حسان في إطار نظرية أسماها: **(نظرية تظافر القرائن)**، فماهي هذه النظرية:

أ- مصطلح القرائن في النظرية النحوية:

مصطلح القرائن في معناه اللغوي لا يبتعد كثيراً عن المعاني الاصطلاحية عند الدكتور تمام حسان، فالمعنى اللغوي مأخوذ من الفعل: **(قرن)** الذي يرد بمعان كثيرة منها: الوصل، والجمع، والشد، والربط، والمصاحبة، والتلازم، والالتقاء، والروابط، فيقال: **قرن الشيء بالشيء: وصله، وقرن الشيء بالشيء: جمعه، قرّن الأسارى: شدّهم وربطهم، وقارنه قرّانا ومقارنة: صاحبه، والقرينة الزوجة لأنها تقارن زوجها وتلازمه⁽³⁾.**

1 - تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 9 - 10.

2 - خالد بن عبد الكريم بسندي: نظرية القرائن في التحليل اللغوي، مقال منشور في مجلة، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، العدد: 02، المجلد 04 (2007م).

3 - المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وزملاؤه، المكتبة الإسلامية، تركيا، مادة (قرن). ورد هذا التعريف اللغوي عند الدكتور خالد بن عبد الكريم بسندي: نظرية القرائن في التحليل اللغوي، مقال (المرجع السابق)

أما المعنى الاصطلاحي للقرائن فهو يدور حول هذه المعاني اللغوية السابقة فهو يتعلق بارتباط الكلمات بعضها ببعض سواء كان ذلك في سياق الكلام أو داخل الجملة الواحدة، فيدل هذا المعنى أو ذلك على وجود القرائن أو القرينة الدالة على المعنى الذي يقصده المتكلم سواء كانت هذه القرينة لفظية ظاهرة أو معنوية مخفية غير ظاهرة. وبين النحويون ذلك عند حديثهم عن الإسناد، أو التلازم، أو التعديّة، أو عند حديثهم عن الأبواب النحويّة، نحو: المبتدأ والخبر والفاعل والجار والمجرور والإضافة والتوابع.... ولذا نجد حديثهم عن القرائن متناثراً في أبواب متعددة، فما تكاد تجد باباً إلا للقرينة ذكرٌ فيه سواء باللفظ صراحةً أو بما يدل عليه، ومن بين هؤلاء العلماء الذين وردت عندهم معاني القرينة:

ذكر ابن هشام (761هـ) في باب تأخير المفعول به عن الفاعل: «والأصل أن يلي عامله (هنا يقصد يلي المفعول الفاعل)، وقد يتأخر جوازاً، نحو: (وَلَقَدْ جَاءَ عَالٍ

فِرْعَوْنَ التُّذُرُ)⁽¹⁾، و(كَمَا أَتَى رَبَّهُ عَلَى قَدَرٍ)⁽²⁾، ووجوباً نحو: ﴿وَإِذْ أَبْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾⁽³⁾، و(ضَرَبَنِي زَيْدٌ) وقد يجب تأخير المفعول كـ (ضربتُ زيداً) و(ما أحسنَ زيداً)، و(ضرب موسى عيسى) بخلاف (أرضعت الصغرى الكبرى) وقد يتقدم على العامل جوازاً، نحو: (فَرِيْقًا هَدَىٰ)⁽⁴⁾، ووجوباً، نحو: ﴿أَيُّمَا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾^{(5)«(6)}

ففي قوله: (ضرب موسى عيسى) تنتفي دلالة فاعلية أحدهما على الآخر فلا بد من إيجاد قرينة معنوية تدل على الفاعل والمفعول، أما في قوله: (أرضعت

1 - القمر: 41.

2 - عجز بيت شعري صدره: نالَ الخلافةَ إذْ كانتْ لهُ قدراً ، وهي للشاعر جرير في مدحه للخليفة عمر بن عبد العزيز: ينظر ديوان جرير.

3 - البقرة: 124.

4 - الأعراف: 30.

5 - الإسراء: 110.

6 - أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري: شرح قطر الندى وبل الصدى، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان)، (1425هـ-2004م) ط4، ص: 170-171.

الصغرى الكبرى) فالقرينة هو ما نألفه في حياتنا هي أن الكبرى هي من ترضع الصغرى فتكون الكبرى الفاعل والصغرى المفعول، وغيرها...

وذكر السيوطي مصطلح القرينة أيضا حينما تحدث عن الحذف المقدر في الكلام في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ (1).

قال السيوطي: « فإن المعنى لو شاء ربنا إرسال الرسل لأنزل ملائكة بقرينة السياق.. » (2). إذا فالمصطلح قد ورد ذكره في الدراسات النحوية القديمة إلا أنه لم يكن نظرية قائمة بذاتها إنما كان معنى لغوي فسحب ورد في ثنايا الشروح للمسائل النحوية في كتب التراث النحوي القديم، ولكن في زمننا استثمره علماء اللغة العربية وجعلوا منه نظرية قائمة في إظهار العلاقات المترابطة داخل التراكم اللغوية.

ب - مصطلح القرائن عند تمام حسان:

لقد بنى تمام حسان فكرة " تظافر القرائن " على أساس التفكيك الداخلي للبنية الإسنادية، وبيان علاقات معاني الكلمات لإظهار المهمة الأساسية والإعرابية لكل لفظ داخل - أي تركيب داخلي - كما هو معروف في النحو العربي، وبالتالي يؤدي إلى إهمال العامل ووظيفته داخل التركيب. فإذا كان إبراهيم مصطفى ألغى العامل فإن تمام حسان أهمله ليتعامل مع مجموعة من المعطيات الأخرى داخل التركيب والتي أسماها بالقرائن، بما فيها القرائن المعنوية والقرائن اللفظية.

وعلى هذا الأساس جاءت فكرة تمام حسان بأن التركيب الداخلي للبنية اللسانية يسهل علينا إعراب الألفاظ وإعطاء كل لفظ موقعه الحقيقي في التركيبات اللسانية لذا يقول: « .. كل منهج علمي من مناهج البحث في الوقت الحاضر أنه يُعنى أولاً وأخيراً بالإجابة عن (كيف) تتم هذه الظاهرة أو تلك فإذا تعدى هذا النوع من الإجابة

1 - فصلت: 14.

2 - جلال الدين السيوطي: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: عبد العال سالم مكرم، (بيروت، دار البحوث العلمية)، ج2، ص: 13.

إلى محاولة الإجابة عن (لماذا) تتم هذه الظاهرة أو تلك لم يعد هذا منها علميا ؛ بل لا مفرّ من وصفه بالحدس والتخمين..»⁽¹⁾، فهو إذن لا يكلف نفسه حتى للتخمين والحدس بل يرى أن التركيب يفرض نفسه بنفسه من خلال معاني الألفاظ الدلالية باختلاف دلالاتها وعلاقاتها ببعضها داخل التركيب لذا فإنه عرض كلاما داخل كتبه لا معنى له (نص بدون معنى) لكنه خاضع لشروط التركيب اللغوي المختلفة مثل: فعل، فاعل، مفعول، مبتدأ خبر... إلخ، وأراد إعرابها الإعراب القديم المعروف فتمكن من ذلك بسهولة لكن هذا النص بقي بدون معنى بالرغم من إعرابه يقول: « حَنَكْفَ المستعصُ بقاحته في الكحظ فعنذ التران تعنيذا خسيلا ، فلما اصطف التران، وتحنكف شقله المستعصُ بحشله فانحكز سُحيلا سُحيلا حتى خرب » ثم قال بعد ذلك : « لكأني بالقارئ الآن قد بدأ في إعراب هذا النص، وكأني أسمعه يقول: حنكف فعل ماض، والمستعص فاعل، وبقاحته جار ومجرور متعلق بحنكف، إلى أن يتم الإعراب الصحيح...»⁽²⁾.

ويذهب إلى أن القارئ يستطيع أن يعرب كلمات ليس لها معنى في المعجم، ولا يدل نصها المذكور على معنى دلالي خاص، وذلك: « لأن هذه الكلمات الهوائية تحمل في طيها معنى وظيفيا ، فالكلمة الأولى في النص تؤدي وظيفة الفعل الماضي لسببين: الأول أنها جاءت على صيغته، والثاني أنها وقعت موقعه، وتقوم الكلمة الثانية بدور آخر، والثالثة بوظيفة ثالثة، وهلم جرا»⁽³⁾.

في الجهة المقابلة عرض تمام حسان لبيت شعري كلماته غير مفهومة من الناحية المعجمية، لكنه قام بإعرابه:

قاص التَجِينُ شِحَالَهُ بِتَرِيْسِهِ الـ فَاخِي فَلَمْ يَسْتَفِ بِطَاسِيَةِ الْبِرْنِ⁽⁴⁾

1 - تمام حسان: اللغة بين المعيارية والوصفية، ص: 42.

2 - تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، ص: 193 .

3 - ينظر: خالد بن عبد الكريم بسندي: نظرية القرائن في التحليل اللغوي، مقال.

4 - البيت الشعري لا معنى له وهو من إبداع الدكتور تمام حسان وقد ورد في كتابه اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 183.

وقد ذكر هذا البيت موافقا للشروط التي حددها من حيث: اشتماله على حروف العربية، والمحافظة على إدغام ما تماثل أو تقارب من هذه الحروف على الطريقة العربية، وتقليد المباني الصرفية العربية، سواء مباني التقسيم أو التصريف أو القرائن، والمحافظة على مظهر العلامات النحوية، ولكنه تجاهل الاعتبارات المعجمية، ولذا لا يكون النسق النطقي جملة عربية بأي صورة من صور الجملة⁽¹⁾.

ثم قام الدكتور بإعراب البيت حتى انتهى من إعرابه، وذكر أن الصلة وثيقة بين الإعراب والمعنى الوظيفي، حيث كان الإعراب الكامل معتمدا على دور التحليل اللغوي، أو ما أسماه بالمعنى الوظيفي؛ لأنه هو الذي « يحدد الفهم صوتيا من حيث إن الحروف مقابل استبدالي، وصرفيا من حيث إن المبنى إطار شكلي يتحقق بالعلامة..»⁽²⁾.

ما يلاحظ في نظرية تمام حسان أنها متقاطعة تقاطعا بينا وواضحا مع نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) من خلال إدراكه أثر السياق في فهم الحدث اللغوي، والتعليق النحوي، فيما يسمى بـ(الحوال) والـ(السياق اللغوي) (المقال). وانتهى هذا التأثير عنده بالمنهج الوصفي الوظيفي، الذي تبناه، وبنى عليه فكرة القرائن بعد قراءته عبد القاهر الجرجاني وفكرة التعليق النحوي عنده⁽³⁾.

ويرى تمام حسان أن الوظائف التي تؤديها القرائن اللفظية هي السبك (Cohesion)، والوظائف التي تؤديها القرائن المعنوية هي الملائمة (Coherence)، وإذا اضطرب السبك (التركيب اللغوي) لم يكن له كفاءة إعلامية، ولهذا فرق بين جملة (جاء الجندي على أهبة الاستعداد) والجملة ذاتها بعد انفراط عقد سبكها (على جاء أهبة الجندي الاستعداد)، لأن النظام النحوي يتمثل في عدد من القرائن الدالة على معاني النحو ومن القرائن اللفظية قرينة التضام، وهي تشتمل على مفاهيم الافتقار والاختصاص والتنافي، ثم قرينة الرتبة والربط. فالجملة الثانية خلت من السبك،

1 - ينظر: تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 183-184.

2 - تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 184.

3 - ينظر: خالد بن عبد الكريم بسندي: نظرية القرائن في التحليل اللغوي، مقال.

لأنها خالفت النظام النحوي من سياق النص أو من سياق الموقف فإذا لم تقم هذه القرينة لم تكن هناك كفاءة إعلامية⁽¹⁾.

لذا فقد أصبح الإعراب عند تمام حسان فرعا من فروع المعنى، وأصبحت حركاته دليلا عليه ومع ذلك هو يرجح وجها إعرابيا على آخر لا لشيء إلا لأن المعنى والسياق يطلبه ويحتمه، ثم تراه يعذل على بعض النحويين في زمانه هيامهم بالإعراب والقياس ناسين أو متناسين مقياس الحسن والقبح الذي يرد إليه صحة التراكيب على ما استنته العرب في كلامها.

لقيت نظرية تمام حسان الكثير من الردود في العصر الحديث منها ما يوافقها ومنها ما يعارضه على اعتبار فكرهم وثقافتهم ومدى تقبلهم للنظرية في حد ذاتها لكن تمام حسان استعمل لهذه النظرية الكثير من المصطلحات العلمية التي برر بها نظريته ونذكر منها:

ج- مصطلحات تمام حسان في ضوء نظرية تظافر القرائن:

من المصطلحات التي ركز عليها تمام حسان في نظريته هي: (الوظائف اللسانية للقرائن)، ويقصد بها:

بمعنى الفاعلة، وهي مأخوذة من المقاربة⁽²⁾ و في سياق هي الكلام الذي يدل على المقصود والمراد منه، أما القرينة فهي الدلالة اللفظية أو المعنوية التي تبين المدلول فتحوله إلى المراد منه، « مع منع غيره من الدخول فيه، وهي تكون مقالية أو حالية⁽³⁾، أما اصطلاحا فالمقصود بها الأمر الدال على الشيء من غير استعمال فيه⁽⁴⁾، وقيل هي أمر يشير إلى المطلوب⁽⁵⁾، وهي عنصر مهم لفهم الجملة، فبها

1 - المرجع السابق.

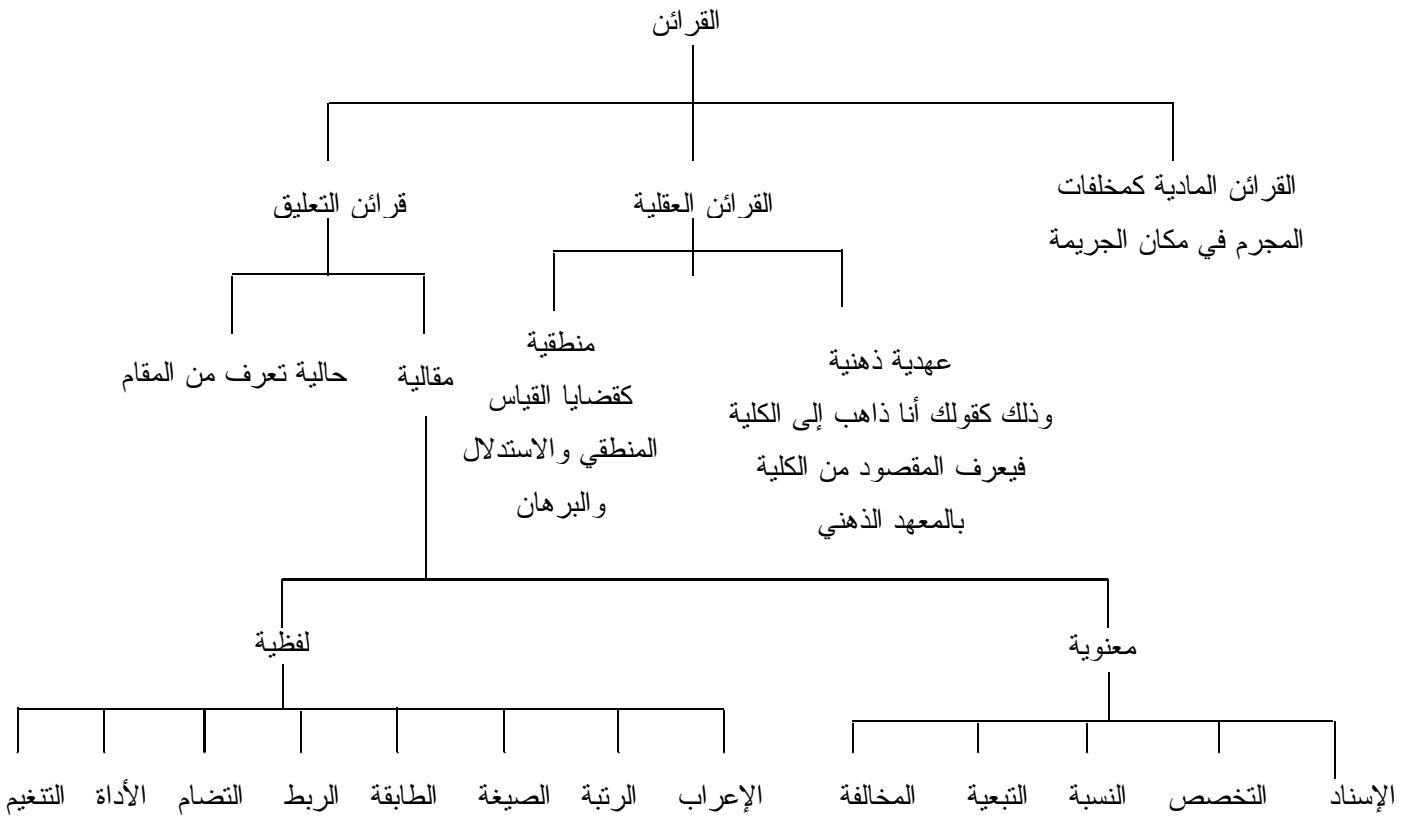
2- علي بن محمد الشريف الجرجاني: التعريفات، مكتبة لبنان، ط1 (1985م)، ص: 182.

3- عبد الجبار توامة: القرائن المعنوية في النحو العربي، جامعة الجزائر، معهد الآداب واللغة العربية، السنة الجامعية (1994-1995) أطروحة دكتوراه، [رقم 191]، ص: 23.

4- فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية والمعنى، دار ابن حزم، ط1، ص: 59.

5- الشريف الجرجاني: التعريفات، ص: 182.

نعرف الحقيقة من المجاز، ونعرف المقصود للألفاظ المشتركة، ونعرف الذكر والحذف وخروج الكلام عن ظاهره، وما إلى ذلك مما يحتمل أكثر من دلالة في التعبير⁽¹⁾، وقد قسم العلماء القرينة إلى حالية ومقالية أو لفظية ومعنوية، يقول تمام حسان: « وإنما ينبغي لنا أن نتصدى للتعليق النحوي بالتفصيل تحت عنوانين أحدهما " العلاقات السياقية " أو ما يسميه الغربيون (*syntagmatique La relation*) والثاني هو " القرائن اللفظية "، وعليه سنعمد إلى الحديث عن هاتين القرينتين تفصيلاً، فهما مناط التعليق انطلاقاً من هذا المخطط الذي يمثل النظام النحوي، ويبين التشابك العضوي بين المعاني العامة⁽²⁾.



1- فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية والمعنى، ص 59.

2- تمام حسان: العربية معناها ومبناها، ص 189-190. (وقد أورد تمام حسان هذا المخطط في ص: 190)

ومن أهم مصطلحات القرائن التي أوردتها تمام حسان ما يلي:

1- الإسناد:

إضافة الشيء إلى الشيء، أو ضم شيء إلى شيء، واصطلاحاً ضم كلمة حقيقة أو حكماً أو أكثر إلى أخرى مثلها أو أكثر، بحيث يفيد السامع فائدة تامة، وقال بعضهم الإسناد قسمان فمنه عام وخاص، أما العام فنسبة إحدى الكلمتين إلى الأخرى، وأما الخاص فنسبة إحدى الكلمتين إلى الأخرى، بحيث يصح السكوت عليها، وقد قيل أيضاً: الإسناد نسبة أحد الجزئين إلى الآخر، أعم من أن يفيد المخاطب فائدة يصح السكوت عليها أولاً⁽¹⁾، والإسناد هو العلاقة الرابطة بين طرفي الإسناد كالعلاقة بين المبتدأ والخبر، والفعل والفاعل، وتغدو هذه العلاقة عند فهمها قرينة معنوية على أن هذا مبتدأ وذلك خبر، وأن هذا فاعل وذلك مفعول⁽²⁾.

2- التخصيص:

التخصيص في اللغة الإفراد، ومنه الخاصة، وقيل إنه تمييز بعض الجمل بالحكم⁽³⁾، وجاء في لسان العرب: القول بالتخصيص إلى الرجوع إلى أصل الكلمة وهي خصص ويعني بها، خصّه بالشيء يخصّه خصّاً وخصوصاً وخصوصية وخصوصية والفتح أفصح وخصيص وخصصه واختصّه: أفرده به دون غيره ويقال اختص فلان بالأمر وتخصص له إذا انفرد، وخص غيره واختصه ميّزه⁽⁴⁾ فالتخصيص في المعنى الاصطلاحي هو بيان ما لم يرد بالعام لبيان ما أريد به وأيضاً يدخل فيه العام الذي أريد به الخصوص. فقولنا: ذهب المريض إلى المستشفى: تخصيص جهة الذهاب، وإذا قلت: هذا كتاب محمد: فكأنك خصصت

1- عبد الجبار توامة: القرائن المعنوية، ص: 62.

2- أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات، دار الفكر دمشق، ط2 (2008 م)، ص: 231.

3- محمد سعد: مباحث التخصيص عند الأصوليين والنحاة، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص: 11.

4- ابن منظور: لسان العرب، ج2، ص: 84. مادة (خصص)

الكتاب لمحمد، وأيضا فإن قرينة التخصيص تتناول الفاعل أيضا في قولنا: إنما ينجح المجتهد: أليس في ذلك تخصيص للنجاح فجعلته للمجتهد؟⁽¹⁾

كما قدم "تمام حسان" تقسيما لهذه القرينة على النحو الآتي:

1- التعدية:

هي ممثلة في المفعول به، يقول عبد القاهر: "كذلك إذا عدت الفعل إلى المفعول فقلت ضرب زيد عمروا، كان غرضك أن تفيد التباين الضرب الواقع من الأول بالثاني ووقوعه عليه"، وتتشأ هذه العلاقة بين الفعل المتعدي والمفعول به والأصل الدلالي لهذه العلاقة أن الفعل المتعدي يفتقر في دلالته إلى اسم يقع عليه، أما الفعل اللازم فلا يفتقر إلى ذلك⁽²⁾.

2- الغائية:

قرينة معنوية دالة على المفعول لأجله، أو على معنى المضارع بعد الأدوات المذكورة، ككي، رغبة في، وهي أيضا قرينة نصب المضارع بعد الفاء واللام وكي وحتى⁽³⁾.

3- المعية

هي قرينة معنوية تستفاد منها المصاحبة، على غير طريق العطف والملابسة والحالية، واصطلاح المعية مقصور على قرينة المفعول معه والمضارع بعد الواو، مثال: "لا تأكل السمك وتشرب اللبن"⁽⁴⁾.

1- أحمد سليمان ياقوت: ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم، دار المعرفة الجامعية، ط2 (1994م) ص: 85.

2- مصطفى حميدة: نظام الارتباط والربط، ص: 166.

3- تمام حسان: العربية معناها ومبناها، ص: 196.

4- المرجع نفسه، ن ص

4- الظرفية

تتشأ علاقة الارتباط بين الفعل والظرف بنوعيه؛ ظرف الزمان، وظرف المكان، وارتباط الظرف بالفعل وثيق لأن الفعل دال على الحدث⁽¹⁾، وهي قرينة معنوية على إرادة معنى المفعول فيه.

5- التحديد والتوكيد

هي القرينة المعنوية الدالة على المفعول المطلق ، والمقصود بالتحديد والتوكيد تعزيز المعنى الذي يفيد الحدث في الفعل، فهي علاقة بين الفعل والمفعول المطلق المبين للنوع أو العدد⁽²⁾ نحو قوله تعالى: (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾)⁽³⁾.

6- الملابس

هي قرينة معنوية دالة على إفادة معنى " الحال " بوساطة الاسم المنصوب أو الجملة مع الواو وبدونها، فإذا قلت: جاء زيد راكبا، فالمعنى جاء زيد ملابسا لحال الركوب⁽⁴⁾، وسبيل البيان في هذه العلاقة أن الحال تبين هيئة صاحبها وقت وقوع الفعل، وهذا البيان ضروري في فهم الجملة، لأن المعنى الدلالي المستفاد من الجملة معنى واحد لا عدة معان⁽⁵⁾، ويظهر هذا واضحا في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾⁽⁶⁾

1- مصطفى حميدة: نظام الارتباط والربط، ص: 174.

2 - تمام حسان: العربية معناها ومبناها، ص: 198.

3- الفتح: 01.

4- تمام حسان: العربية معناها ومبناها، ص: 198.

5- مصطفى حميدة: نظام الارتباط والربط، ص: 171.

6 - النساء: 93.

7- التفسير

قرينة معنوية على باب التمييز، ويكون عند الحاجة إلى الإيضاح، ولا تكون هذه الحاجة إلا عند المبهم، والمبهم الذي يفسره التمييز إما أن يكون:

- 1- معنى الإسناد: نحو طاب محمد نفسا.
- 2- معنى التعدية: زرعت الأرض شجرا.
- 3- اسم مفرد دال على مقدار مبهم: اشتريت مترين حريرا⁽¹⁾.

8- الإخراج

قرينة معنوية على إرادة " باب المستثنى " فالمستثنى يخرج من علاقة الإسناد حين نفهم هذه القرينة المعنوية من السياق، فإذا قلنا: جاء القوم إلا زيدا، فإننا أسندنا المجيء على القوم وأخرجنا زيدا من هذا الإسناد⁽²⁾، وفي الإخراج تقييد للإسناد وتخصيص له⁽³⁾.

9- المخالفة

هي من بين القرائن المعنوية ومن قبيل القيم الخلفية⁽⁴⁾، ويمكن استخدامها في عدد آخر من أبواب النحو، فتكون مثلا هي التفسير لما يرد من تعدد حركة المضارع، وكذلك حركة المستثنى المنقطع، ونصب الاسم بعد ما أفعل في التعجب، وبعد الصفة المشبهة⁽⁵⁾.

هذا ولأبأس بأن نتم الحديث عن التخصيص بعرض نوعين آخرين قدمهما

محمد سعد، وهما:

1- تمام حسان: العربية معناها ومبناها، ص: 199.

2- المرجع السابق، ص: 199.

3- المرجع نفسه، ص: 200.

4- القيم الخلفية: وقد تكون بين المعنى والمعنى فتصبح معنوية، وقد تكون بين المبنى والمبنى فتصبح لفظية.

5- تمام حسان: العربية معناها ومبناها، ص: 201.

1- التخصيص بالأدلة المنفصلة وهي: دليل الفعل، و دليل الحس، ودليل الإجماع والنص.

2- التخصيص بالأدلة المتصلة وهي: الاستثناء، الشرط، الصفة، الغاية، وبدل البعض من الكل⁽¹⁾.

3- مهدي المخزومي وآراءه النحويّة:

لقد لقيت آراء مهدي المخزومي الكثير من الاهتمام في الأوساط العلمية، وراجت رواجاً واسعاً في عدة أرجاء عربية ودولية، و لقيت بسبب هذا الرواج الكثير من الردود المؤيدة والمعارضة في مختلف اللقاءات والندوات العلمية، وكانت الهدف من هذه الدراسات تكيف هذه الآراء على الواقع النحويّ واللغوي في العصر الحديث عليها تجد تطبيقاً واعياً ومن بين هذه الندوات: الملتقى الوطني لقضايا النحو الواقع والآفاق في: 16-17/05/2005، قسم اللغات والآداب. جامعة ابن خلدون (تيارت)، حيث ألقى فيه الأستاذ: لطروش الشارف مقالا عنه فقال:

« تكتسي جهود مهدي المخزومي (1930م-1993م) في تيسير النحو أهمية بالغة، كونها تصدر من عالم بشهد له بالتخصص في النحو العربي، فقد اشتغل بتدريسه عقوداً من الزمن، وتسابقت أعرق المدارس من أجل ضمه للتدريس في مدرجاتها، وألف في النحو مؤلفات قيمة، نالت كثيراً من التقدير، وأثارت نقاشاً هاماً، بل إن المخزومي نال جائزة أحسن كتاب في النحو سنة 1966م عن كتابه (في النحو العربي: نقد وتوجيه)، من قبل جمعية الكتاب ببيروت، ونال جائزة الحكومة السعودية للأعمال الراقية عن كتابه (في النحو العربي: قواعد وتطبيق)، وله مؤلفات أخرى في النحو العربي ومدارسه أهمها: الفراهيدي عبقرى زمانه - الدرس النحويّ في بغداد - أعلام في النحو - الخليل وأعماله ومنهجه - مدرسة

1- محمد سعد: مباحث التخصيص، ص: 27، 29، 30.

الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، وقام بتحقيق معجم العين للفراهيدي بالاشتراك مع الدكتور إبراهيم السامرائي في سنة 1980م»⁽¹⁾

اتبع مهدي المخزومي المنهج الوصفي النابع من التراث العربي الأصيل، وجعل منه أداة للتواصل بين الماضي التراثي المجيد والواقع الحديث متأثراً بذلك بالدراسات القديمة لا سيما المدرسة الكوفية التي ظهر جلياً تأثيره بها، وما نقصده من قولنا اتباعه للمنهج الوصفي لا نقصد به المنهج الوصفي الغربي المعروف؛ بل نقصد به المنهج الوصفي الذي اتبعه النحويون القدامى في تععيد النحو، وقد توصل إلى النتيجة المعروفة وهي أن علماء اللغة انتهجوا ذلك المنهج دون تحديد معالمه بل عن طريق الفطرة التي فطر الله عليها عباده، وبسبب الذكاء الذي حباهم الله به فتوصلوا بعد الملاحظة والتجربة والتدقيق والتمحيص والتحليل والاستقراء إلى التععيد اللغوي التي منه وضعوا القاعدة النحوية، وبالتالي كانت النتيجة النهائية عند المخزومي أن المعيارية هي خلاصة نهائية للمادة الموصوفة.

فقد صرح (مهدي المخزومي) في الكثير من أعماله النحوية وبشكل واضح بأن يعيد للنحو كل ما فقده بسبب فكرة العامل، في محاولة منه لإعطاء معالم جديدة يحدد بها موضوع الدرس النحوي، إذ يقول: « فقد حاولت في هذه الفصول أن اخلص الدرس النحوي من سيطرة المنهج الفلسفي عليه وأن أسلب العامل النحوي قدرته على العامل " ، وإذا بطلت فكرة العامل بطل كل ما عقدوا من أبواب أساسها القول بالعامل، كباب التنازع والاشتغال»⁽²⁾.

لذا فإن منهج المخزومي في تيسير النحو يشبه لحد كبير آراء أستاذه إبراهيم مصطفى الذي تعرضنا له قبل ذلك، فهو ينظر إلى النحو وتيسيره من خلال ضم علم المعاني إلى علم النحو ودمجها معا ليكون له فهم أوسع أهم من تطبيقه واقعا وجعله مادة منفصلة كأنها مادة علمية مجردة كالرياضيات في زماننا بل إن من « سموا علم

1 - ينظر: مقال للأستاذ: لطروش الشارف ، قسم اللغة العربية وآدابها مستغانم، ألقاه في الملتقى الوطني لقضايا النحو، الواقع والآفاق في: 16-17/05/2005 ، قسم اللغات والآداب .جامعة ابن خلدون (تيارت).

2 - مهدي المخزومي: في النحو العربي: نقد وتوجيه، ص: 229-232.

المعاني هم النحاة الحقيقيون، وهم الذين دفعوا بالدرس النحوي إلى الأمام، وقدموا للدارسين فيه نتائج طيبة حري أن يستفاد منها»⁽¹⁾.

أ - التيسير عند مهدي المخزومي (خلاصة المشروع):

لقد اتبع مهدي المخزومي سيرة أستاذه إبراهيم مصطفى - كما ذكرنا - فدعا إلى إلغاء نظرية العامل وكل ما يرتبط بها من أبواب كالأشتغال والتنازع والاعراب المحلي والتقدير وغيره من الأبواب النحوية يقول: « وقد حاولنا فيما سبق أن نهدم فكرة العامل في النحو وأن نسلب الفعل الذي هو أقوى العوامل عندهم قدرته على العمل، وعلى الرفع والنصب..»⁽²⁾، فقد دعا إلى تبني منهج علمي لغوي لتنظيم البحوث والأبواب النحوية، عن طريق التصنيف والتبويب والتفريع. يقول: « فالتيسير إذن ليس اختصاراً، ولا حذفاً للشروح والتعليقات، ولكنه عرض جديد لموضوعات النحو يبسر للناشئين عرضها و استيعابها وتمثلها، ولن يكون لتيسير وأفيا ما لم يسبقه إصلاح شامل لمنهج هذا الدرس وموضوعاته، أصولاً ومسائل ولن يتم - فيما أرى - إلا بتحقيق هاتين الخطوتين:

الأولى: أن نلخص الدرس مما علق به من شوائب جرها عليه منهج دخيل؛ هو منهج الفلسفة الذي حمل معه إلى هذا الدرس فكرة (العامل).

الثانية: أن نحدد موضوع الدرس اللغوي، ونعيّن نقطة البدء به، ليكون الدارسون على هدى من أمر ما يبحثون فيه.»⁽³⁾، ورفض التقسيم الذي اعتمده النحاة القدامى للكلام العربي، والذي كان على ثلاثة أقسام (اسم وفعل وحرف) معتبراً إياه شكلياً واقترح تقسيماً رباعياً يقوم على فعل واسم وأداة وكنائيات⁽⁴⁾.

1 - مهدي المخزومي: في النحو العربي: نقد وتوجيه، ص: 14 .

2 - مهدي المخزومي: في النحو العربي نقد وتوجيه، ص: 62 .

3 - المرجع السابق، ص: 15-16.

4 - المرجع نفسه، ص: 27 .

وقد ترتب على ذلك جملة من التغيرات في النحو وعلى رأسها فكرة ربط النحو بالمعنى وليس بالإعراب أو بالشكل⁽¹⁾، لأنه يرى أن ذلك المنحى الذي اتجه إليه هؤلاء في ضم علم المعاني إلى علم النحو أقل مما ينبغي تطبيقه بل إن من « سموا علم المعاني هم النحاة الحقيقيون، وهم الذين دفعوا بالدرس النحوي إلى الأمام، وقدموا للدارسين فيه نتائج طيبة حري أن يستفاد منها»⁽²⁾. والعناية بالمستويات اللغوية عنده من أهم الأمور التي يجب أن تراعى في النحو⁽³⁾، واقتصر على ثلاثة مستويات فقط، وهي: المستوى الصوتي والمستوى الصرفي والمستوى النحوي، و يرى أن علماء المعاني هم الذين استأثروا بالدرس النحوي الحق، بل هم النحاة الحقيقيون. ولا بد من القول أن علم اللغة الحديث، ينظر إلى المستوى النحوي بمعزل عن المستوى الدلالي، فالمستوى النحوي هو المستوى الذي يظهر مكونات التركيب، فإذا وصل الموقف إلى بيان المعاني الناتجة عن التركيب، جعل ذلك من اختصاص المستوى الدلالي. ووضع المخزومي بعض الرؤى الجديدة التي رآها من خلال مشروعه التيسيري ومنها:

- يرى أن الحركات الإعرابية من عمل اللغة وليست آثارا لعوامل⁽⁴⁾، أي الفصل بين دلالات الحركات الإعرابية ونظرية العامل.
- رفض تقسيم الجملة إلى اسمية وفعلية وظرفية كما هو الشأن عند القدامى، ورأى أن الجملة الظرفية هب جملة تتأرجح بين الاسمية والفعلية⁽⁵⁾.
- قال المخزومي في تعريف الجملة الفعلية: (هي الجملة التي يدل فيها المسند على التجدد أو التي يتصف فيها المسند إليه بالمسند اتصافا متجددا، وبعبارة أوضح هي التي يكون فيها المسند فعلا)⁽⁶⁾
- رأى المخزومي أن الأفعال كلها مبنية، وأن العلامات في آخر الفعل المضارع

1 - الراوي طه: نظرات في اللغة والنحو، منشورات المكتبة الأصلية، بيروت، ط1، (1962م)، ص:36.

2 - مهدي المخزومي: في النحو العربي نقد وتوجيه، ص:14.

3 - المرجع السابق، ص:77.

4 - المرجع نفسه، ص:15-16.

5 - المرجع نفسه، ص:51-52.

6 - المرجع نفسه، ص:41.

المعرب ليست علامات إعرابية وإنما لتمييز زمن الفعل وتخصيصه⁽¹⁾.

- دعا المخزومي إلى عدم المغالاة في التأويل النحوي الذي من مظاهره فكرة الإضمار⁽²⁾

ب - أهم المصطلحات النحوية التي اقترحها المخزومي:

وضع المخزومي مصطلحات للنحو بعضها جديد وبعضها من التراث العربي، (من أجل بناء نحو جديد لا نحس فيه بأثر العامل ولا نلوك فيه مصطلحات غريبة، أقحمت في النحو إقحاما)⁽³⁾.

01- مصطلح « الأداة »: هو مصطلح كوفي كما هو معروف لكن ذكره سيبويه - كما أسلفنا الذكر - وقد أطلقه المخزومي على الحرف القسم الثالث من أقسام الكلام ويعرفها المخزومي بأنها ما لا يدل على معنى إلا في أثناء الكلام⁽⁴⁾، ومن أمثلة الأدوات (هل) التي يقول عنها إنها أداة تستعمل في الاستفهام، ولكن الاستفهام لا يتحقق إلا إذا استعملت في جملة. والأدوات عند المخزومي تعبر عن المعاني العامة التي تطرأ على الجمل مما يقتضيه حال الخطاب ومناسبات القول.

02- مصطلح « الفعل الدائم »: ذكره القدامى على أنه: اسم الفاعل، أما عند المخزومي فيحمل معنى الفعل فقط: « هو فعل في معناه وفي استعماله إلا إنه يدل في أكثر استعمالاته على استمرار وقوع الحدث ودوامه⁽⁵⁾»

ويرى الساقى أن صيغة (فاعل) تختلف عن الفعل شكلا ووظيفة، ويقول: « الفعل معناه الحدث والزمن وهذه الصيغة معناها الموصوف بالحدث، والزمن في الفعل هو وظيفته الصرفية وهو زمن صيغي بينما الزمن في صيغة (فاعل) زمن نحوي يستفاد من السياق وتحدده القرائن القولية والسياقية، هذا على مستوى

1 - مهدي المخزومي: في النحو العربي نقد وتوجيه، ص: 134.

2 - المصدر السابق، ص: 129.

3 - مهدي المخزومي: في النحو العربي نقد وتوجيه، ص: 19.

4 - المرجع السابق، ص: 37 وما بعدها.

5 - المرجع نفسه، ص: 23.

الوظيفة، أما على مستوى الشكل فإن هذه الصيغة لا تقبل علامة شكلية واحدة من علامات الفعل⁽¹⁾. ولما كان اسم الفعل يشبه الاسم من حيث اللفظ، ويشبه الفعل من حيث المعنى، اقترح الساقى إطلاق مصطلح القرين على اسم الفاعل واسم المفعول وأفعال المبالغة.

03- مصطلح « لام التوكيد »: وهي اللام التي يسميها البصريون لام الابتداء التي تدخل على المبتدأ، وهي تكون مع جملة القسم، وذكر المخزومي أن الكوفيين يسمونها لام القسم وقد وافقهم على هذه التسمية⁽²⁾.

04- مصطلح « الفاعل الإرادي والفاعل اللإرادي »: يرى المخزومي أن الجرة في قولنا (كسرت الجرة) ليست هي الفاعل بنظر العقل، ومع ذلك لم يستعمل مصطلح نائب الفاعل، بل وضع له مصطلحا آخر هو الفاعل اللإرادي، وأما الفاعل فسماه الفاعل الإرادي.

05- مصطلح « فعل الفاعل الذي لا اختيار له »: وهو الفعل المبني للمجهول أو المعروف ب (ما لم يسم فاعله) عند النحاة القدامى⁽³⁾.

06- مصطلح « الجحد »: استعمل المخزومي هذا المصطلح في مكان مصطلح النفي.

07- مصطلح « النعت والصفة »: استعمل المخزومي المصطلحين كليهما وإن كان الأول مصطلحا كوفيا والثاني بصريا⁽⁴⁾.

08- مصطلح « المركب اللفظي »: ويقصد به المخزومي الكلام الذي لا إسناد فيه وكل كلام لا إسناد فيه لا يعده جملة ومن ذلك النداء الذي يقول عنه: « وخالصة

1- الساقى فاضل مصطفى: أقسام الكلام العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، (1977)، ص:73. ينظر: لطروش الشارف: قسم اللغة العربية وآدابها مستغانم، مقال للأستاذ: ألقاه في الملتقى الوطني لقضايا النحو، الواقع والآفاق في: 16-2005/05/17، قسم اللغات والآداب، جامعة ابن خلدون (تيارت).

2 - مهدي المخزومي: في النحو العربي نقد وتوجيه، ص:135.

3 - المرجع السابق، ص:47.

4 - المرجع نفسه، ص:188.

القول أن النداء ليس جملة فعلية ، ولا جملة غير إسنادية ، وإنما هو مركب لفظي بمنزلة أسماء الأصوات يستخدم لإبلاغ المنادى خاصة أو لدعوته إلى إغاثة أو نصرة أو نحو ذلك»⁽¹⁾

وقد أراد المخزومي بهذا المصطلح تقديم تصور جديد للجملة ، حيث يقول عنها : « إنما تقوم على أساس من إسناد يؤدي إلى إحداث فكرة تامة ولا يقوم مثل قولهم (يا عبد الله) على محمل ذلك الأساس ولا يؤدي مثل تلك الفكرة ولأن مثل قولهم : يا عبد الله لا يعدو أن يكون أداة للتببيه ، ولفت نظر المنادى ، ولا يختلف عن أمثاله من الأدوات التي تؤدي ما يؤديه مثل هذا التعبير من وظيفة، مثل (ألا) التي للتببيه، و(ها) التي للتببيه أيضا ، وغيرهما إلا في انه مركب لفظي لا يرتفع إلى منزلة الجملة، ولا يصح تسميته بالجملة أيضا»⁽²⁾

09- مصطلح « أداة التشريك »: هي أدوات العطف في النحو العربي، وقد اختار لها المخزومي مصطلح أدوات التشريك لأن أكثرها لا يفيد العطف (إلا الواو والفاء وثم)⁽³⁾

10- مصطلح « متعلقات الفعل »: يرى المخزومي أن انسب اصطلاح لما سماهالنهاة الأوائل فضلة هو متعلقات الفعل، لأن مصطلح فضلة يعني أنها يمكن تركها الاستغناء عنها في حين أن ما اعتبر فضلة (قد يكون عمدة في التفاهم)⁽⁴⁾

11- مصطلح « الخفض »: وهو ما يعني به البصريون مصطلح الجر .

12- مصطلح « المستقبل »: وهو مصطلح استعمله المخزومي بديلا لمصطلح المضارع لأن المضارعة نعني المشابهة ، ولا تدل على صيغة زمنية.

13- مصطلح « المكنى به عن الزمان والمكان »: وهو الظرف في عرف البصريين أو المفعول فيه في كتب النحو، وقد برر المخزومي رفضه استعمال

1 - مهدي المخزومي: في النحو العربي نقد وتوجيه، ص:311.

2 - المرجع السابق، ص:53-54.

3 - المرجع نفسه، ص:191.

4 - المرجع نفسه، ص:95.

مصطلح الظرف بقوله: « وقد تجنبنا مثل هذه التسمية لأنها تسمية عقلية لا مجال لمتلها في البحث اللغوي. »⁽¹⁾

يتضح من خلال هذا التعداد للمصطلحات التي تعلقت بأعمال مهدي المخزومي التيسيرية تأثره بالمدرسة الكوفية إذ أن غالبية المصطلحات التي اقترحها في مشروعه كوفية، ويريد الوصول بها إلى نحو جديد لا نحس فيه بأثر العامل لكنه في الوقت نفسه لم يبلغ فيه النحو القديم بل فضل التعلق به على أساس أنه القاعدة التي يجب أن نرتكز عليها في جميع الدراسات النحوية، و نادى باعتماده رؤية نحوية أصيلة.

والتيسير النحوي الذي ينادي به المخزومي له منحى تعليميا وتقويميا ، يقوم على اعتماد مصطلحات لغوية دقيقة، لا يرقى إلى تشكيل نموذج نحوي جديد أو وضع قواعد جدد.

1 - مهدي المخزومي: في النحو العربي نقد وتوجيه، ص: 53-54.

الفصل الخامس

واقع المصطلح النحوي في ظل مناهج اللغة العربية الحديثة

أولاً- واقع اللغة العربية والنحو في العصر الحديث.

ثانياً- طرائق تدريس قواعد اللغة العربية وانعكاساتها على المصطلح النحوي.

1- الطريقة الاستقرائية الاستنباطية (مثل تطبيقي).

2- الطريقة القياسية أو الاستنتاجية (مثل تطبيقي).

3- طرائق أخرى.

ثالثاً- النحو والمصطلح النحوي في ظل المقاربة بالكفاءات.

1- المقاربة بالكفاءات (الفكرة والماهية).

2- طريقة التدريس في ظل المقاربة بالكفاءات.

أ- طريقة تدريس اللغة العربية (من واقع المناهج التعليمية).

ب- طريقة تدريس النحو وتأثيره على المصطلح.

رابعاً: اضطراب المصطلح النحوي في المراحل التعليمية (المرحلة الثانوية أنموذجاً):

1- توزيع المصطلحات النحوية في كتب اللغة العربية في المراحل الثانوية.

2- ظاهرة اضطراب المصطلح النحوي في الكتب المنهجية.

أولاً- واقع اللغة العربية والنحو في العصر الحديث:

تواجه اللغة العربية في العصر الحديث تحديات كبيرة جداً، جعلتها مصدراً من مصادر الكيد الأجنبي الحاقداً على العرب والعربية والقرآن والإسلام، إذ تعتبر هي الوعاء الذي نفهم به القرآن، وهي التي تجعله ميسر الفهم سهل القراءة، فبدارسة اللغة العربية والتعمق في معانيها وتوجيهاتها النحوية تسهل علينا إعطاء التوجيه القرآني وتأويله تأويلاً صحيحاً.

ومن الأسباب التي أدت إلى معاناة اللغة العربية في العصر الحديث هو موجة الاحتلال في هذا العصر وما يسمى عند المفكرين الغزو الثقافي والفكري وتأثر الكثير من الشخصيات الثقافية المؤثرة والفعالة في العصر الحديث بالغرب والدراسات، ومنهم من استفاد من هذه الدراسات ووظفها توظيفاً إيجابياً؛ ومنهم من وظفها توظيفاً سلبياً، يقول الدكتور غانم قدوري الحمد: «فإنّ فهم واقع اللغة العربية يقتضي النظر في تاريخها القريب والبعيد، كما أن رسم صورة لها في المستقبل ينبغي على معرفة هذا الواقع، والوقوف على الظروف التي أدت إليه، ولا شكّ فيه أنّ أكثر الأحداث تأثيراً في حياة الأمة ولغتها هو السيطرة الأجنبية على البلاد العربية والإسلامية، والغزو الفكري الذي رافق تلك السيطرة.»⁽¹⁾

وكان لهذا الغزو تأثيراً كبيراً حتى بعد استقلال الكثير من الدول العربية والناطقة بها عن طريق وسائل الاعلام والاتصال والتبعية الغربية ما يطلق عليه مصطلح (العولمة ووسائل الاتصال) فظهرت الكثير من الدعوات التي تحاول القضاء على اللغة العربية وإلغاء النحو الذي اعتبره الكثير أنه من أكثر العوائق التي تعيق الفهم والتواصل بين الأمم والشعوب: «وكان تأثير تلك السيطرة وذلك الغزو عميقاً، وأصاب معظم جوانب الحياة، وكانت القضية اللغوية هدفاً لذلك التأثير، لأنّ العربية لغة القرآن الكريم، ووعاء الحضارة، وأداة الفكر، وأعظم روابط الأمة، بعد رابطة العقيدة، ومن ثمّ وجه أعداء الأمة أقوى سهامهم نحوها.»⁽²⁾

1 - غانم قدوري الحمد: أبحاث في العربية الفصحى، دار عمار الأردن، ط1 (1426هـ-2005م)، ص: 173.

2 - غانم قدوري الحمد: أبحاث في العربية الفصحى، ص: 173.

ولكن على الرغم من تلك المكائد التي حيكت ضد العربية إلا أنها بقيت راسخة قوية رسوخ الجبال الراسيات وبقي جمال هذه اللغة خالدا مخلدا وسيبقى كذلك إلى يوم الدين فهي لغة القرآن الكريم الذي حفظه الله وتعهد بحفظه إلى يوم الدين قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾⁽¹⁾، وقد امتد هذا الكيد مدة قرنين من الزمن تقريبا لكن بقت العربية على حالها تلقن وتدرس ولها سحرها الذي لا يستغني عنه أي خطيب متفوه، أو سياسي محنك، أو واعظ مؤثر، أو مدرس كفاء، أو... كل من كانت له حاجة في إيصال رسالته لغيره.

إلا أن آثار هذا الكيد أصابت اللغة العربية فأثخنها بالجراح ومن ذلك فإنه يجب على أنصارها الدفاع عنها من كيد الأعداء الذين حينما عجزوا عن طمسها وإقصائها من الحياة، قاموا بمحاولة عزلها عن الواقع، وإقصائها من الحياة جملة وتفصيلا، وهو ولا شك أمر خطير ومهم، فقد قام الأعداء باستبدالها بالعامية⁽²⁾ بأقلام أجنبية وعربية، أو ما يطلق عليه مصطلح الدارجة التي أدرجها الأعداء بدلا من العربية التي أصبحت - وبكل سخريّة - تمثل للتلميذ المبتدأ عقدة كما زعم أعداؤها.

وواقع الحال في المجتمعات العربية أبلغ من لسان المقال، فقد أصبح الحديث باللغة العربية مدعاة للسخرية والضحك إذا تحدث بها الفرد؛ أما الحديث باللغات ومثلا اللغة الفرنسية هو من مميزات المثقفين في زماننا وهذا ليس في بلدنا فحسب بل حتى في البلدان العربية، وقد حدث لي شخصا أن تحدثت باللغة العربية في بلدي العربي المسلم فجعلت نفسي مسرحا ساخرًا لمن كان حولي وقد تكرر هذا معي مرارًا وتكرارًا، ولم يقف الحد عند ذلك فحسب بل هناك من دعاني إلى تعريب العربية والتحدث كما يتحدثون بقولهم: " تحدث كما نتحدث فإننا لم نفهمك "، وكنت أعتقد أن هذا واقع بلدي فقط، إلا أنني اصطدمت بالواقع نفسه في بعض الدول العربية وذلك ما عاينته بنفسي، فكان الواقع هو ذات الواقع الجزائري، ومن تلك

1 - الحجر: 09

2 - ينظر: غانم قدوري الحمد: أبحاث في العربية الفصحى، ص: 187...193. وقد فصل في الدعوة إلى العامية من الجانبين العربي والأجنبي.

البلدان المملكة العربية السعودية (أرض الحجاز) مهبط ديانة الإسلام، فوجدتني عرضة للسخرية أيضا حينما تحدثت باللغة العربية بل حتى في بعض المدارس والثانويات والجامعات التي زرتها هناك وجدت أن الحديث باللغة العربية يعرض صاحبه للاستهزاء والسخرية والله المستعان على هذا الواقع.

فويل للعربية من أهلها قبل غيرهم الذين جعلوها لغة تخلف بالرغم من أنها هي الحضارة ومن أراد أن يطلع على الواقع التراثي فيلمس ذلك من خلال التركة التراثية التي تركها أجدادنا وسادوا بها الدنيا وملكوها فقد قال مصطفى صادق الرافعي رحمه الله: «ما ذلت لغة شعب إلا ذلّ، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار، ومن هذا يفرض الأجنبيّ المستعمر لغته فرضاً على الأمة المستعمرة، ويركبهم بها، ويُشعرهم عظمتها فيها، ويستلحقهم من ناحيتها، فيحكم عليهم أحكاماً ثلاثة في عمل واحد: أمّا الأول فحبس لغتهم في لغته سجناً مؤبداً، وأمّا الثاني فالحكم على ماضيهم بالقتل محواً ونسياناً، وأمّا الثالث فتقييد مستقبلهم في الأغلال التي يصنعها، فأمرهم من بعدها لأمره تبع» (1).

والعجب كل العجب في مدارسنا ومعاهدنا في كل المراحل بأطوارها، إذ أن التوجيه إلى اللغة العربية أصبح عاراً على أصحابه وقد سمى بعض المعلمين من يتوجهون إلى الشعب الأدبية بالأميين، لأنّ أضعف التلاميذ والطلبة ضعاف المستوى يوجهون إلى التخصصات الأدبية (آداب وفلسفة حالياً، أو لغات أجنبية) والتلاميذ المتفوقون يوجهون إلى الشعب العلمية الذي فيه مادة اللغة العربية وآدابها ثانوية غير أساسية وذات معامل ضعيف وضئيل، وساعات قليلة من ساعتين إلى ثلاث ساعات في الأسبوع، وبرنامجهما يثير على المعلم فضلاً عن المتعلم الاشمئزاز والسأم والملل بموضوعاتها، ثم يشتكي المتعلم والمعلم على السواء من التعقيد اللغوي وبخاصة في النحو والبلاغة والعروض....

1 - مصطفى صادق الرافعي: وحي القلم، تح: درويش الجويدي، المكتبة العصرية ببيروت (2002م)، ج3، ص:30.

أمّا واقع النحو ليس أوفر حظاً من اللغة العربية بمختلف تفرعاتها بل هو أشد وأنكى منها على اعتبار أن النحو مادة تحتاج إلى إمعان الفكر، والتدبير المستمر وحسن الاستماع والتمعن، وهنا لا يعاني أصحاب الشعب الأدبية فقط؛ بل حتى المتفوقون أصحاب الشعب العلمية والتقنية (علوم تجريبية، رياضيات، تقني رياضي... وغيرهم) يشكون من صعوبة النحو على كل المستويات، من الفهم لمعانيه وصعوبة الاعراب وتداخل مصطلحاته صياغة ومدلولاً. والحق هو كذلك في المرحلة الثانوية التي زاولت فيها تدريس اللغة العربية والنحو مدة زمنية معتبرة حوالي إحدى عشر سنة، فوجدت أنّ من أكثر المواد التي يكرهها التلميذ أو الطالب ويعاني من حصصها هي مادة النحو العربي، وهنا من الطلبة من صرح بذلك عياناً بدافع الحالة النفسية التي تصيبه حينما يكتب الأستاذ: درس النحو، ومن لم يصرح بذلك فتلاحظ في وجهه وعينه السأم والملل.

إن واقع اللغة العربية والنحو في تدهور مستمر وأصبحت العناية بهذا التراث العربي شبه منعدمة والتخصص فيه عند بعض الباحثين هو ضرب من الانتحار وحتى بمن درس الأدب العربي فحينما يكون في تخصص اللغة والنحو يتجنبه الطالب ما استطاع، وقد استدعيت عضواً في مسابقات التوظيف لأساتذة التعليم الثانوي لسنوات متعددة، فلاحظت أن تخصصات النحو بصفة خاصة واللغة بصفة عامة قليلة مقارنة بالتخصصات الأدبية، وكلما عرضت جملة من الأسئلة النحوية أو البلاغية أو الصرفية، كان الجواب بأنّ تخصصي ليس لغة إنما هو تخصص الأدب وبعضهم يصرح بأنه لا يعرف النحو والاعراب وهو متخرج من الجامعة بشهادة ليسانس أو ماستر. هذا هو الواقع الحقيقي للغة العربية والنحو في البلدان العربية فما السبب في ذلك يا ترى؟ وهل من مخرج من هذا الوضع لإعطاء اللغة العربية حقها ونصيبتها من التعليم والتعلم، أم يبقى الحال على ما هو عليه، وماهي العيوب والسلبيات التي أدت إلى هذا الوضع المزري الذي سيكون سبباً في هدم اللغة العربية إن لم تتحرك الجهود وتتكاثر لإنقاذ هذا الوضع؟

لا شك أن الأزمة متعددة الأبعاد وهي على علاقة بالمعلم والمتعلم والمنهج التعليمي وعلى هذا الأساس لا بد من الوقوف على الطرق التطبيقية لتدريس اللغة العربية النحو ووضع المصطلح النحو في المناهج التعليمية الحديثة بأخذ نماذج منها والوقوف عليها دراسة ووضعها عفي ميزان التمهين.

ثانيا- طرائق تدريس قواعد اللغة العربية وانعكاساتها على المصطلح النحوي:

لتدريس مادة قواعد اللغة العربية أو النحو العربي طرق عديدة، تتوعت بسبب تتوع الموضوعات واختلاف بعضها عن البعض الآخر، من حيث طبيعتها ووعورتها، وتناولها في التدريس، كما تتوعت بسبب مستويات الطلاب وأعدادهم، وأعمارهم، وظروفهم، وبسبب قابليات المدرسين وأحوالهم النفسية.

المتأمل في طرائق تدريس قواعد اللغة العربية (النحو الصرف) في الكتب التعليمية المعتمدة وغير المعتمدة يجد أن طرق تدريس النحو عديدة ومتتوعة بسبب تتوع الموضوعات واختلاف طبيعتها عن بعضها البعض، وصعوبتها، وطريقة تناولها في التدريس، كما تتتوع بسبب تتوع مستويات الطلاب ودرجاتهم العلمية وأعدادهم، وأعمارهم، وظروفهم، ثم يأتي بعد ذلك عنصر آخر ومهم وهو مدى تقبلهم لمدرس المادة في حد ذاته ومن بين هذه الأساليب:

1- الطريقة الاستقرائية الاستنباطية (مثال تطبيقي)⁽¹⁾: وهي طريقة تقوم على عرض الأمثلة وقراءتها قراءة متأنية ثم شرحها شرحا لغويا بالكشف عن المعاني الخفية للوصول إلى دلالة الأمثلة، ثم محاوره الطلاب فيها، ومناقشتها، ثم إجراء موازنة بينها، وبعد ذلك يتم استخلاص القاعدة، واستنباط المفهوم النحوي.

وتعتبر هذه الطريقة هي طريقة قديمة بدأت مع بداية النحو: «...ويمكن القول إنَّ هذه الطريقة في الاستدلال والتفكير هي التي لجأ إليها علماء اللغة القدامى، حينما قعدوا للنحو وضبطوا أحكامه. وذلك عندما نظروا في النصوص القرآنية والأحاديث النبوية والشواهد الشعرية والنثرية، وخرجوا من بحثهم الاستقرائي هذا بالقوانين

1 - ينظر: نايف معروف: خصائص العربية وطرائق تدريسها، دار النفائس، بيروت، ط1(1405هـ) — 1985م)، ص:181.

النحويّة التي رصدوها بالملاحظة والمشاهدة والتحليل والتركيب والمقارنة؛ ثم أثبتوها في مؤلفاتهم اللغوية...»⁽¹⁾

وهذه الطريقة تعمل على تحفيز الطلاب على التفكير، والوصول إلى الأحكام تدريجياً، وتنقسم هذه الطريقة إلى قسمين اثنين في كيفية طرح المادة العلمية، لكنها تتفقان في الأهداف العامة، وهما:

أولاً: طريقة عرض أمثلة، ثم مناقشتها للوصول إلى القاعدة:

وهي طريقة الأمثلة المفردة، أو الأمثلة المفرّقة، ومن ميزاتهما: أنها تفسح المجال للمعلم في اختيار أمثله بحرية، ويسر، وأنها أفضل طريقة لتدريس النحو لسهولةها؛ ذلك أن الطالب يفهم القاعدة فهماً جيداً ينضبط لسانه بشكل أفضل من الذي يستنبط القاعدة من أمثلة تعرض له قبل نطقها.

ثانياً: طريقة النصوص، ثم استنباط الأمثلة منها فمناقشتها للوصول إلى القاعدة :

وتقوم هذه الطريقة على عرض قطعة متكاملة المعنى، تؤخذ في العادة من موضوعات القراءة أو النصوص الأدبية، أو من الصحف اليومية، أو حدثاً من الأحداث الجارية، أو من كتب التاريخ، وفي هذه الطريقة، لا بد أن يقوم المعلم بمعالجة القطعة كما يعالج درس القراءة، من حيث الشرح، والتفسير، ثم من خلال القطعة تنتزع الأمثلة التي يتمثل فيها موضوع الدرس، وتدون على السبورة، ويسير المعلم بعد هذا وفق خطوات تدريس النحو بالطريقة الاستقرائية.

ومن مميزات هذه الطريقة أنها تؤدي إلى رسوخ النحو في أذهان الطلاب؛ لأنه يدرس في ظلال اللغة، كما أنهم يشعرون فيها أن اللغة متصلة اتصالاً وثيقاً بالحياة ثم إنها تقود إلى ترسيخ اللغة، وأساليبها؛ لأن فيها مزجاً للنحو بالأساليب التعبيرية الصحيحة.

1 - ابن الأنباري: الإعراب في جدل الإعراب، الجامعة السورية (1377هـ-1957م)، ص: 95 نقلًا عن : نايف معروف: خصائص العربية وطرائق تدريسها، ص: 181.

ومهما كانت الطريقة المتبعة سواء بالأمثلة أو بالنص فإن المعلمين يمكنهم السير في تدريس النحو على وفقها متبعين الخطوات التالية:

أ- **التمهيد:** يتم عن طريق طرح أسئلة متعلقة بالموضوع من المكتسبات السابقة للمتعلم أو للدخول جو النص إن كانت الأمثلة نصاً.

ب- **عرض الأمثلة:** كتابة الأمثلة على لوح التعلم (السيورة)⁽¹⁾ كتابة جيدة مشكلة إذا اختار الأمثلة.

أما إذا اختار المعلم النص، فلا بد حينئذٍ أن يعالجه المعلم، كما يعالج النص في دروس القراءة، فيتناوله بالتمهيد، والقراءة، ومناقشة المعنى، وتفسير المفردات.

وحتى يقوم المعلم باستخراج جمل الأمثلة من القطعة، يمكن أن يوجه مجموعة من الأسئلة إلى طلابه، بحيث تقود هذه الأسئلة لاستخلاص القاعدة من خلالها، ثم يدون هذه الأمثلة المستخلصة من القطعة على السيورة، ثم يضع خطوطاً تحت المفردات المعنية، أو يمكنه كتابتها بلون مغاير مع ضبط آخرها، ويمكن أن يؤجل وضع الخطوط والضبط إلى حين المناقشة، وإذا لم يسعف النص في تقديم أمثلة متعددة للنوع الواحد فلا مانع حينئذٍ أن يزوج المعلم بين الأمثلة التي تؤخذ من النص، وأمثلة أخرى يضيفها المعلم من عنده.

ج- **الموازنة والربط:** وفي هذه المرحلة تناقش الأمثلة مناقشة تتناول الصفات المشتركة أو المختلفة بين الجمل؛ تمهيداً لاستنباط الحكم العام الذي نسميه (قاعدة) وتشمل الموازنة نوع الكلمة، ونوع إعرابها، ووظيفتها المعنوية، وموقعها بالنسبة إلى غيرها، وهكذا.. كما تشمل الموازنة طوائف الأمثلة المختلفة، كل ذلك في سبيل الوصول إلى القاعدة المطلوبة، ومع هذا فإننا نؤكد ضرورة أن يلعب المعلم دور الموجه والمرشد وماعدا ذلك فيترك للطلاب.

1 - السبورة: لوح كبير يُعلق أمام جمهور من الناس يُكتب عليه، فإذا استغني عما فيه مُحي، وتُسعمل عادة في المدارس (ينظر: معجم المعاني الجامع، مادة: "سبر")

د - استنباط القاعدة: بعد الانتهاء من الموازنة، وبيان ما تشترك فيه الأمثلة وما تختلف فيه من الظواهر اللغوية، يستطيع المعلم أن يشرك الطلاب في استنباط القاعدة المطلوبة، بعد أن يقدم لهم الاسم الاصطلاحي الجديد، مع عدم الإسراف في المصطلحات؛ ولأمانع - بعد نضج القاعدة في أذهان الطلاب وفي ألسنتهم - من تسجيلها على السبورة أمام الأمثلة، وتكليف أحد الطلاب بقراءتها. كما يجب - بعد ذلك - أن يطلب المعلم من بعض الطلاب قراءة القاعدة المدونة في الكتاب لشرح ماغض من تراكيبها، وربطها بالأمثلة المدونة على السبورة.

هـ - التطبيق: وهو الثمرة العملية للدرس، وهو نوعان: جزئي، وكلي فالتطبيق الجزئي يعقب كل قاعدة تستنبط قبل الانتقال إلى غيرها، والتطبيق الكلي يكون بعد الانتهاء من جميع القواعد التي يشملها الدرس، ويدور حول هذه القاعدة جميعها.

مثال تطبيقي رقم (1):

الاختصاص

تمهيد:

- مسؤولية كل واحد منا عظيمة نحو بيته، إلا أنها أعظم نحو وطنه لماذا؟

النص:

(مَسْؤُولِيَّةُ الْمُوَاطِنِ)

حِمَايَةُ الْوَطَنِ وَرِعَايَتِهِ وَأَزْدِهَارِهِ مَسْؤُولِيَّةٌ كُلِّ أِبْنَانِهِ، فَنَحْنُ - الْفِدَائِيِّينَ - ضَحِينًا بِالْأَمْسِ فِي سَبِيلِهِ وَالْيَوْمَ نَعْمَلُ عَلَى حِمَايَتِهِ، وَبِنَاءِ نَهْضَتِهِ. وَأَنْتُمْ - أَيُّهَا الْمُتَقَاتُ - اِعْمَلْنَ مُخْلِصَاتٍ مِنْ أَجْلِ حَيَاةٍ كَرِيمَةٍ. وَأَنْتُمْ - أَيُّهَا الشَّبَابُ - تَهَيَّأُوا بِالْعَزْمِ وَتَسَلَّحُوا بِالْعِلْمِ لِحَمْلِ رَايَةِ وَطَنِكُمْ، فَالْمُسْتَقْبَلُ لَكُمْ، وَالْوَطَنُ أَمَانَةٌ فِي أَعْنَاقِكُمْ.

1 - نقلا عن كتاب: المختار في القواعد والبلاغة والعروض، من إعداد عبد الله بن كريد - أحمد حساني، إشراف: محمد العكي (مفتش التعليم الثانوي والتكوين)، منشورات المعهد التربوي الوطني - الجزائر، ص: 46 وما يليها.

فهم النص:

- ما دور كل من الرجال والنساء في حماية الوطن وإسعاده؟

الأمثلة: استنتاج الأمثلة عن طريق الأسئلة.

ب	أ
1- نَحْنُ - الْفِدَائِيْنَ - ضَحَيْنَا ...	1- نَحْنُ.... ضَحَيْنَا فِي سَبِيلِ الْوَطَنِ.
2- إِنَّا - مَعْشَرَ الشَّبَابِ - عُدَّةُ الْمُسْتَقْبَلِ.	2- إِنَّا.... عُدَّةُ الْمُسْتَقْبَلِ.
3- أَنْتُمْ - أَيُّهَا الشَّبَابُ - تَهَيَّأُوا بِالْعَزْمِ	3- أَنْتُمْ.... تَهَيَّأُوا بِالْعَزْمِ
4- أَنْتَنَّ - أَيُّهَا الْمُتَّقَاتُ - قِفْنَ.....	4- أَنْتَنَّ.... قِفْنَ.....

لمناقشة:

تتم بمناقشة كل مثال ثم مقارنته بالمثال الذي يقابله وتكون الأسئلة اختيارية من الأستاذ في طريقة الموازنة...

القاعدة:

يكون الوصول إلى القاعدة تدريجياً بتعريف المصطلح (الاختصاص) من خلال المعنى اللغوي الذي يؤديه في الجملة (المثال) ثم الوصول إلى المعاني الصناعية (الاصطلاحية النحوية) وما يلاحظ هنا هو أهم عنصر في القاعدة ليسهل لنا بقية الوصول إلى بقية عناصر القاعدة.

التطبيق: يكون بعرض جملة من الأمثلة والتعرف على موضع الاختصاص من خلال الفهم العام للقاعدة.

استنتاج مهم (حول تأثير هذه الطريقة على النحو ومصطلحاته): من خلال هذا المنهج الدراسي في تقديم مادة النحو تبرز لنا جملة من لاستنتاجات نجملها فيما يلي:

- إن الصياغة الدقيقة للمصطلح النحوي في بناء القاعدة تؤدي إلى بناء صحيح لبقيتها وفهم جيد لمحتوى الدرس، ثم ربط النص بالأمثلة المختلفة يؤدي إلى سهولة توظيف المصطلح داخل التراكيب مهما كانت طبيعتهما.

- الانطلاق من النص يعطي فهم مرافق للمعاني السياقية للمصطلحات فقد يؤدي معنى اللفظ داخل السياق بعملية التدرج في الشرح إلى الربط الدقيق بين المعنى المعجمي و السياقي داخل النص وربطه بالحالة التي يكون عليها مقتضى حال المتكلم داخل جو النص ومن أمثلة ذلك ما يلي (1):

في سنة (2004م) قدمت درس (المفعول لأجله) من خلال نص للبحثري (وصف إيوان كسرى) وكان محتوى الدرس على النحو التالي:

صُنْتُ نَفْسِي عَمَّا يُدْنَسُ نَفْسِي وَتَرَفَّعْتُ عَنْ جَدًّا كُلِّ جَبَسٍ
وَتَمَاسَكْتُ حِينَ زَعَزَعَنِي الدَّهْرُ رُ التِمَاسًا مِنْهُ لَتَعْسِي، وَتَكَسِي (2)

الشرح و التحليل:

جدا: عطاء - جيس: جبان، لئيم. - تعسي: هلاكي - النكس: قلب الشيء وجعل إعلاه أسفله، والمراد: الإدلال والسقوط.

الأسئلة:

س1: بم استهل الشاعر قصيدته؟

س2: مما حفظ الشاعر نفسه؟ وعن تعالي؟

س3: هل استسلم الشاعر للمصائب التي حلت به؟ علل إجابتك.

1 - الرؤية كانت تجربة شخصية مع التلاميذ داخل القسم استشارة من طرف السيد مفتش المادة آنذاك ا: مرسي رشيد بولاية تسمسليت.

2 - البحثري: ديوان البحثري: تح: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف - مصر، ط3، ص:470. ينظر: المختار في الأدب والنصوص(السنة الثانية ثانوي - الفرع الأدبي): الإعداد: ساعد العلوي - بدر الدين بن تريدي-الأخضر مراح-عادلة بورزاق، إشراف: محمد العكي: م.ت.ت- آمنة أشلي: م.ت.ت، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية(طبعة منقحة: 2001-2002م)، ص: 198 - 199.



س4: ما دلالة لفظة (زعزعي)؟ وضح إجابتك.

س5: لماذا صبر الشاعر وتجلد حين نزلت به هذه الهموم، ما العبارة الدالة على ذلك؟

كانت الإجابة على النحو التالي:

ج1- استهل الشاعر قصيده بالافتخار.

ج2- حفظ الشاعر نفسه من الدنس وهو دنس نفسي داخلي يتمثل في الطمع والذل، وتعالى الحبس وهو اللئيم والجبان.

ج3- لم يستسلم الشاعر للمصائب بل تجلد وصبر لها، والدليل قوله (تماسكت).

ج4- دلالة لفظة(زعزعي) هو قوة الهم الذي نزل به.

ج5- صبر الشاعر خوفا من انتكاسته أمام الحاقدين عليه ذلا وهلاكا والدليل قوله: التماساً منه لتعسي، وتكسي.

تلخيص معنى البيتين:

يقول الشاعر: إنني حفظت نفسي من كل سوءٍ يدينها، وتعاليت عن عطاء كل لئيم جبان، فأنا لست من الذين يستسلمون للهزيمة، فقد صبرت وتجلدت حين نزل عليّ الدهر بهوموه وخطوبه يريد إذلالي ويلتمس هلاكي.

الأسئلة حول المفعول لأجله:

س: ما العلة (السبب) الذي صبر الشاعر من أجله ؟

ج- للحدث الذي أصابه وهو (هموم الدهر)

س: متى أصابته هذه الهموم؟

ج: في زمن قوله للقصيد

س: ما العبارة الدالة على ذلك؟

ج: التماسا

س: ما صيغتها الصرفية وحركتها الاعرابية؟

ج: مصدر منصوب.

س: ما موقع حدوث هذا المصدر؟ أهو ظاهر أم غير ظاهر؟

ج: مصدره داخل نفس الإنسان وليس حدثاً ظاهرياً نراه بالعين المجردة

أو نحس به خارجياً. (فهو: قلبي)

س: ماذا يسمى هذا؟

ج: المفعول لأجله.

س: إذا ما هو المفعول لأجله:

نلاحظ: أننا إذا جمعنا العبارات التالية من الحوار أعلاه (وهي بالخط البارز أعلاه) وقمنا بتركيبها تركيباً صحيحاً يمكن صياغة تعريف المفعول لأجله:

مصدر - قلبي - منصوب - العلة (السبب) - الحدث - زمن قوله للقصيدة.

وبالتالي يكون تعريف المفعول لأجله بعد صياغة تلك الألفاظ الدالة على معنى المفعول لأجله على النحو التالي: **مصدر قلبي منصوب، يُذكرُ علةً (سبباً) لحدثٍ شاركةً في الزمان والفاعل.**

بهذه الطريقة يمكن ربط معاني المصطلحات النحوية بالتعاريف مما يكون سبباً في فهم المصطلح وربطه ومطابقته بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي.

2- الطريقة القياسية أو الاستنتاجية (مثال تطبيقي)⁽¹⁾:

وهناك من يسميها: (طريقة القاعدة ثم الأمثلة)، وهي طريقة قديمة في تدريس النحو العربي بل ربما هي من أقدم الطرق، وبالرغم من قدمها إلا أنها ما تزال تُستخدم في بعض المدارس في العالم العربي⁽²⁾.

1 - ينظر: نايف معروف: خصائص العربية وطرائق تدريسها، ص: 182-183.

2 - حضرت الكثير من المجالس في الحرم النبوي وبعض المساجد في المدينة المنورة ورأيت استعمال هذه الطريقة بقوة (يمكن الاستماع لدروس بعض المشايخ في شرح بعض المنظومات مثل: شرح ألفية ابن مالك لابن العثيمين - رحمه الله- وقد اتبع هذه الطريقة).

وتستند هذه الطريقة على مبدأ الشروع في تلقين الطلاب القاعدة مباشرة ثم تكليفهم إما بقراءتها أو بحفظها وهو الأحسن، ثم عرض الأمثلة على اللوح (السيبورة)، أو على ورقة أمام الطلاب بقصد توضيح القاعدة، أي السير في الدرس من الكل إلى الجزء، « ويلاحظ أن هذه الفكرة تقوم على التفكير القياسي الاستدلالي الذي يقوم على الانتقال من المقدمات أو التصميمات إلى الوقائع. علماً أن هذه المبادئ والقواعد نكون قد توصلنا إليها بالاستدلال الاستقرائي»⁽¹⁾، وفكرة القياس تقوم على فهم القاعدة العامة، ووضوحها في أذهانهم، ومن ثم يقيس المعلم والطالب الأمثلة الجديدة الغامضة على الأمثلة الواضحة، وتطبيق القاعدة عليها، وهذا هو الحاصل في مدارسنا عندما تتم دراسة الموضوع يطبق عليه ما يرد من أمثلة في التمارين.

وتمتاز هذه الطريقة بأنها طريقة مناسبة أكثر من غيرها في تحصيل المعلومات، إضافة إلى أنها اقتصادية في الوقت، سريعة في نقل المعلومات إلى الطلاب، مع إمكانية استخدامها في الفصول كثيرة العدد، وفوق ذلك فهي وسيلة لضبط أذهان الطلاب وإصغائهم. ويتبع المعلم في هذه الطريقة الخطوات التالية :

أ- **التمهيد:** ويقصد هنا في هذه المرحلة محاولة تحفيز الطلبة على استخراج موضوع الدرس إما بالمراجعة القبليّة، أو بطرح أسئلة مقاربة للموضوع من الدروس السابقة الدراسة للوصول إلى تلقين القاعدة.

ب- **عرض القاعدة وتحديد المشكلة:** وتتم بأن يلقي المعلم المتعلم القاعدة بكتابتها على السبورة، أو ورقة بيضاء في دفتر كتابة الدروس إما عن طريق الإملاء أو النقل من السبورة وهو الأحسن⁽²⁾، بحيث تكون صياغتها واضحة محددة فيها مشكلة تتحدى الطلاب، وتطلب منهم حلاً لها.

1 - نايف معروف: خصائص العربية وطرائق تدريسها، ص: 182.

2 - في المناقشات التي كانت تحدث مع السادة مفتشي المادة يوصون بتجنب الإملاء للتلاميذ وتدوين الدروس على السبورة باختصار.

ج- تحليل القاعدة، وتفصيلها: وذلك عن طريق الشرح بوسيلة الحوار والإثارة الأسلوبية، كأن يصف لهم وضعاً معيناً يناسب الغرض مثل: لعرس يناسب درس الحال فيمكن من خلاله دراسة حالة العرسين وغيرهما، فيمكن معالجة ذلك بأن يكلف المعلم طلابه بإيراد أمثلة تنطبق على القاعدة، وتتمشى معها تمشياً سليماً بقصد تثبيتها في أذهانهم.

د- التطبيق: بعرض المزيد من الأمثلة التي تتناسب القاعدة والقيام بتحليلها إعراباً وفهماً، مع ضرورة التوقف عند كل مثال ليدلل على صحة القاعدة وفائدتها وأثرها على الاستعمال اللغوي، وإقناعهم بها. مما يقرب المعاني المصطلحية مع اللغوية.

هـ- الواجب المنزلي: ويراد به أن يكلف المعلم الطلاب بحل بعض التمارين المتعلقة بالقاعدة بعد أن يكون أعدها إعداداً سليماً.

مثال تطبيقي⁽¹⁾:

أ- صيغ التعجب

القاعدة:

التعجب: انفعال يحدث في النفس عند استعظام شيء جهلت حقيقته أو خفي سببه.

صيغ التعجب:

1- للتعجب صيغتان قياسيتان هما: " ما أفعل" وهي جملة اسمية و" أفعل به" وهي جملة فعلية.

2- للتعجب صيغ سماعية متنوعة تفهم من النص مثل: إنّ هذا الشيء عجب!

1 - نقلا عن كتاب: الأعمال التطبيقية في النحو والصرف والبلاغة والعروض (مقرر السنة الثالثة ثانوي) جميع الشعب: من إعداد: (عادل بورزاق- كريمة حسون- الزهرة سعيداني- الزهرة حيمر- الأخضر فراح- نصيرة شعواطي)، إشراف: (أمنة أشلي" م.ت.ث"- مسعودي إبراهيم" م.ت.ث")، الديولن الوطني للمطبوعات المدرسية،

ب- **تحليل القاعدة:** شرحها عن طريق تحليل جزئياً وإعطاء أمثلة من الواقع مثال: إذا رأيت السماء صافية والقمر بازغ والجو هادئ فما هو شعورك؟ ..عبر عنه بطريقتك الخاصة.

ج- التطبيق:

- حول الجمل التالية إلى صيغ تعجب قياسية ثم أعربها:

هدأت الطبيعة في الليل، عظم محمد قدراً، زيد كريم الأخلاق، النفوس الأبية تستقبح الظلم، تحرص الفتاة على حفظ السرّ.

د- **الواجب المنزلي:** اختياري وخاصة إذا كان من إبداع المتعلم، مثال: ذهبت في إحدى الزيارات للريف وسحرك جماله فتعجبت منه، صف هذا الجمال مستعينا بصيغ التعجب القياسية والسماعية ما أمكنك.

استنتاج:

- هذه الطريقة تفرض على المتعلم صياغة معينة للمصطلح فإذا كانت هذه الصياغة دقيقة يستطيع المتعلم فهمها عن طريق الأمثلة، ثم ممارستها عن طريق الواجبات المنزلية.

- إن اختيار القاعدة المرتكزة على صياغة المصطلحات صياغة دقيقة يؤدي إلى الفهم الجيد للمصطلح النحويّ سواءً من الناحية المعنوية اللغوية أو من الناحية الصناعية مما يؤدي بالمتعلم بالربط بينهما ربطاً جيداً.

- التدقيق في اختيار التطبيقات وشرحها شرحاً وافياً يؤدي أيضاً إلى الزيادة في الفهم من جهة وسيرانه على لسان المتعلم بسهولة وأفته له باستمرار لا سيما إذا كان هذا المثال من القرآن الكريم أو السنة النبوية أو كلام الع رب شعرهم ونثرهم.

- ربط الأمثلة بقصص من الواقع على اختلافها يؤدي إلى فهم المصطلح بشقيه حيث أنه يوجد في الكثير من القصص القديمة عن أحوال العرب ومناظراتهم الشعرية وخطاباتهم معاني المصطلحات النحويّة ما يغني عن الشرح أصلاً، والجدير بالذكر هنا أنه لا بد للمعلم هنا من كثرة الاطلاع على أيام العرب من خلال الكتب

وهي كثيرة جدا ومتوفرة وبخاصة على شبكة الانترنت في زماننا فالقصص النحوية منتشرة بقوة، والسبيل إليها في البحث سهل وميسر إلا لمن أبقى ذلك بالحجج التي نجدها في زماننا ونذكر مثالا على ذلك لقصة الشاعرة الخنساء مع الشاعر حسان بن ثابت (رضي الله عنهما) أيام الجاهلية والنقاش الذي دار بينهما وقد وردت في شرح ديوانها (شرح ديوان الخنساء)⁽¹⁾:

« وقصة حسان مع الخنساء في الجاهلية.. أنه صادف أن التقيا عند النابغة الذبياني في سوق عكاظ (أطراف البصرة)، وكان الأخير تضرب له قبة حمراء فيأتيه الشعراء لإنشاد أشعارهم عنده، فيقول رأيه ويصحح بعض الألفاظ والمعاني والصور الشعرية، وفي موسم من مواسم سوق عكاظ القى حسان قصيدة مطلعها:

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا

وألفت الخنساء قصيدة لها في رثاء أخيها (صخر) مطلعها:

قَدَى بَعِيْنِيْكَ أَمْ بِالْعَيْنِ عَوَارُ أَمْ ذَرَفْتَ إِذْ خَلْتَ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارِ
كَأَنَّ عَيْنِي لِذِكْرَاهُ إِذَا خَطَرَتْ فَيَضُّ السَّيْلُ عَلَى الْخَدَيْنِ مِذْرَارُ

فقال النابغة لها: اذهبي فانت أشعر من كل ذات ثديين، ولولا أن هذا الأعمى (يقصد الأعشى)، أنشدني قبلك لفضلتك على شعراء هذا الموسم...!! فغضب حسان بن ثابت، وقال: أنا أشعر منك ومنها..، فقال النابغة: ليس الأمر كما ظننت ثم التقت إلى الخنساء، فقال: يا خناس خاطبيه...!! فالتقت إليه الخنساء، وقالت: ما أجود بيت في قصيدتك هذه التي عرضتها آنفا، قال حسان:

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا

فقالت: ضعفت افتخارك وقللته في سبعة مواضع...!!؟؟ قال: وكيف؟، قالت: قلت: (لنا الجفنات)، والجفنات دون العشرة، ولو قلت: (الجفان) لكان أكثر... وقلت: (الغر) فقط، والغرة (بياض في الجبهة) ولو قلت (الغر البيض) لكان أكثر

1 - الخنساء: أنيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء، تح: الأب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت (1896م)، ص:24.

اتساعاً... وقلت: (يلمعن)، و اللمع شيء يأتي بعد شيء، ولو قلت: (يشرقن) لكان أكثر، لأن الإشراق أدوم من اللمعان... وقلت: (بالضحى)، ولو قلت (بالدجى) لكان أكثر وقعا وتأثيراً.... وقلت: (أسياف) والأسياف ما دون العشرة، ولو قلت (سيوف) كان أكثر... وقلت: (يقطرن)، ولو قلت: (يسلن) كان أكثر..... وقلت: (دما)، ولو قلت: (دماء) كان أكثر... فسكت حسان، ولم يجب بشيء....»

تعليق على القصة: القصة تدل على مدى فهم العرب في الجاهلية وغيرها للمعاني بالسليقة اللسانية التي فطرهم الله عليها ومدى الذكاء الذي تميز به العرب في ذلك الزمان، فهي مثال من آلاف الأمثلة المدفونة بين دفات الكتب التي تروي تلك الصفحات المنيرة من تراثنا الغر، والحق أنها من أعجب العجائب التي تسلب اللب فقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « **إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا، أَوْ: إِنَّ بَعْضَ الْبَيَانِ لَسِحْرٌ** »⁽¹⁾.

فضلاً عن المعاني اللغوية الدقيقة في نقد الخنساء لبيت حسان بن ثابت يمكن أن نستدل في النحو ما يخدم غرضنا هو قول الخنساء:

- (لنا الجففات)، والجففات دون العشرة، ولو قلت: (الجفان) لكان أكثر...

- (أسياف) والأسياف ما دون العشرة، ولو قلت (سيوف) كان أكثر...

فنلاحظ في قولها (الجففات) و(أسياف) إشارة لجمع القلة وهو ما دون العشرة وقولها (الجفان) و (سيوف) إشارة لجمع الكثرة وهو أكثر من عشرة، وعليه يمكن الاستلال بهذه القصة التي تعطي جمالا لحصة النحو وحيوية تخرج المتعلم من جفاف النحو وتعطي فهما للمصطلح بربطه بواقع القصة.

3- طرائق أخرى:

إنّ هاتين الطريقتين هما الأكثر اعتماداً في تلقين النحو وتعليمه ومهما تعدد الطرق المعتمدة في الكتب المخصصة لهذه الغاية يقول الدكتور علي جواد الطاهر:

1 - ينظر: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري: صحيح البخاري، تح: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير دمشق، ج2، ص: 5767.

«وتأتي الطرائق مكن حيث منطقية سير المادة نفسها من بدايتها إلى نهايتها إلى نوعين: الاستقرائية وهي التي تبدأ بالأمثلة وتنتهي بالقاعدة، والاستنتاجية وهي التي تبدأ بالقاعدة وتنتهي بالأمثلة.»⁽¹⁾ إلا أن هناك بعض الطرق القريبة من الطريقتين لا بد من الإشارة إليهم باختصار:

01- طريقة الاستجواب:

وتقوم هذه الطريقة على مبدأ طرح أسئلة على الطلاب، ومن ثم إجابتهم عن تفاصيل الموضوع المعطى لهم مسبقاً كواجب منزلي.

وتمتاز هذه الطريقة بأنها لا تتطلب معلماً ذا علم غزير، أو اطلاع واسع، كما أنها لا تحتاج منه إلى جهد.

وهي تفيد المدرس الذي يحسن توجيه الأسئلة؛ لأن صياغة السؤال فن دقيق يحتاج إلى ذكاء، ومرونة، وبعْد نظر، وهو أصعب من مجرد الشرح، وهي طريقة سريعة، تفيد المدرس في إكمال المنهج، وفي حمل الطلاب على التحضير بجد.

ولكن هذه الطريقة قد لا تصلح في كل الظروف، فهي تحتاج إلى عدد قليل من الطلاب يتميزون بالذكاء والفتنة، ثم إنها تتطلب الهدوء والنظام، كما أنها تناسب بعض القضايا النحوية التي تحتاج إلى العد، ولا تتطلب شرحاً وتحليلاً؛ ولذلك فهي تصلح لمسائل مثل حروف الشرط، حروف الجزم، حروف الجر، الحروف الناسخة والأفعال الناقصة، وما أشبه ذلك. ولا بد لهذه الطريقة من تحضير دقيق من قبل الطلاب، وإلا فإنها تفشل ولا تفيد البتة.

02- طريقة المحاضرة :

وتستند هذه الطريقة على حديث المحاضر، وهي طريقة صالحة في مراحل التعليم العالي، ولأن المحاضرة عادة ما تكون غزيرة المادة، ولأن المحاضر غالباً ما يكون غزير المادة، ولأن الطلاب في هذه المرحلة يتمتعون بمستوى مرتفع من

1 - علي جواد الطاهر: أصول تدريس اللغة العربية، دار الرائد العربي بيروت لبنان، (1404هـ - 1974م)، ص: 59.

الإدراك والذكاء والفهم والاستيعاب، وقدرتهم على تدوين الملاحظات، وبسبب كثرة المراجع التي يعود إليها الطالب لتعقب القضية النحوية المدروسة، فإن منفعتها كبيرة في التعليم الجامعي.

03- طريقة الاقتضائية:

وتصلح هذه الطريقة للطلاب في المراحل الدنيا من التعليم الأساسي، ويراد بها أن تعطى القواعد اللغوية، أو ما يسمى بالأنماط اللغوية بطريقة غير مباشرة، ومن خلال دروس القراءة، أو المحفوظات، أو النصوص.

وهي تقوم على تدريس المعلم طلابه القواعد النحوية، عرضاً أثناء دروس المطالعة، أو المحفوظات، أو الأدب، تدريجياً عملياً من غير حصص مستقلة، وأن هذا التدريس يقتصر عادة على مجالين أساسيين:

أ- المراجعات النحوية: لموضوعات سبق وأن درسوها، وهذا متبع في الكليات أكثر منه في المدارس الثانوية والابتدائية، بأن يختار المعلم قطعة أدبية ممتعة بفكرتها وأسلوبها وخيالها، وهي تحوي تطبيقات كثيرة على قواعد سبق أن درسوها.

ب- التدريس لموضوع جديد: باختيار قطعة أدبية أو إنشائها، شاملة العناصر التطبيقية للموضوع الجديد، تكتب هذه القطعة، وتقرأ، وتشرح شرحاً سريعاً سهلاً ثم يستخرج المعلم بالتعاون مع الطلاب القاعدة بعناصرها تفصيلاً من القطعة المكتوبة.

خير الطرق في تدريس القواعد النحوية :

كل طريقة من الطرق تصلح لموضوع معين، وكل طريقة تحددها عدة عناصر هي : الموضوع، والمعلم، والطلاب، والمنهج، والمكان، والزمان.

والمعلم هو الذي يقدّر أبعاد الطريقة، ويفيد منها فيما يراه موافقاً لإفهام طلابه غير أن الذي يراه التربويون عدم التزام المعلم بطريقة واحدة دون غيرها في ساعة الدرس، بل عليه أن ينوع طرق التدريس، ولا حرج في ذلك بل هو المستحسن.

وإن أوجه الطلاب مرآة نجاح المعلم أو إخفاقه كذلك، فإن استجوابهم وفعاليتهم داخل الصف توحى إلى المعلم بنجاح طريقته أو فشلها.

ولكن الطريقة الأولى (الطريقة الاستقرائية) هي أفضل الطرق في تدريس الطلاب في التعليم العام، تليها الطريقة الثانية (الطريقة القياسية أو الاستنتاجية).

توجيهات للمعلم في مادة النحو والصرف والقواعد العربية:

- التزام المعلم والطلاب اللغة العربية الفصحى في أثناء الدرس.
- اختيار الطريقة التربوية الملائمة للطلاب في هذه السن، مع تجنب الطريقة الإلقائية.

- أن يثير اهتمام الطلاب حين عرض النصوص والأمثلة التي يستخلص منها القواعد متيحاً لهم فرصة التوصل إلى القاعدة بأنفسهم.

- ألا يكتفي بما في الكتاب المقرر من أمثلة وتطبيقات، بل عليه أن يضيف إليها تطبيقات وأمثلة بليغة ينتقيها من واقع البيئة والمجتمع، ومن القرآن، والسنة والأمثال، والحكم التي تنمي في الطالب روح الخيال وحب الشجاعة، وما إلى ذلك من الصفات الحميدة.

- مراعاة مستوى الطلاب الذهني والعلمي، فلا يخوض في تفاصيل يصعب فهمها.

- على المعلم أن يهتم بالإعراب لما له من أثر فعال في تثبيت المعلومات.

- أن يُجري المعلم على كل قاعدة طائفة من التطبيقات المتنوعة؛ للتثبيت من مدى فهم الطلاب، وإدراك قدرتهم على الاستفادة من هذه المادة في حياتهم العامة.

- ألا ينتقل إلى درس جديد إلا بعد مناقشة الطلبة في سابقه.

- العناية بإجراء اختبارات القياس التي يقف المعلم من خلالها على المستوى الحقيقي لطلابه ومن ثم يعرف مواضع الضعف ثم يوجد لها العلاج.

تأثير مختلف الدراسات على المصطلح النحوي:

إن الطرق التي ذكرناها في تدريس النحو تؤدي إلى جملة من التأثيرات على المصطلح النحو من عدة جهات نظر

ثالثاً - النحو والمصطلح النحوي في ظل المقاربة بالكفاءات:

1- المقاربة بالكفاءات (الفكرة و الماهية):

- كثرت المصطلحات التي جاءت ضمن المناهج الجديدة في إطار إصلاح المنظومة التربوية، والتي تدخل ضمن تطبيق بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات، و ما يزال مفهوم الكثير منها محل اختلاف بين المختصين أنفسهم في علوم التربية لا سيما المصطلحين: "الكفاءة" و " القدرة"، فكيف بالمعلمين؟

- حتى إنه كثر قول أحدهم: إن الكفاءة لم تستقر بعد عند معنى دقيق لأن بعضهم لا يفرقون بين " كفاءات" و " قدرات"، و البعض الآخر لا يفرقون بينهما ولكن يسمون " كفاءة" ما أسميه هنا " قدرة"، في المدرسة يقبل القول بأننا نعمل بالقدرات أكثر منها كفاءات، فما يعرف بكفاءات في إصلاح المناهج تتحدد عند قدرات عرضية و موادية، إذن لا يوجد تنمية لكفاءات حقيقية بالمعنى الذي أحده..

بعض هذه الاختلافات في وجهات النظر قد تجعل المربين في حيرة من أمرهم كما أن العديد منهم يجدون صعوبة في ترجمها، ونزولا عند الحاجة الملحة، وسعياً منا إلى المساهمة في محاولة إزالة بعضاً من هذا الغموض و اللبس، اتبعنا في هذا العمل المتواضع منهجية ميسرة لقراءة المصطلح وبيان مفهومه الشائع بعد مقارنة بعض التعاريف ثم الانتقال من مستوى المفهوم إلى مستوى التطبيق الميداني، أي من الشرح النظري للمصطلح إلى كيفية ترجمته في الميدان لأن ما يهم المعلمين بالدرجة الأولى هي الممارسة والتوظيف.

- معنى المقاربة بالكفاءات:

إن فكرة الكفاءة أو القدرة هي من المعاني المتجذرة في الأصول العربية وإني كلما قرأت قول ابن خلدون: « اعلم أن اللغات كلها ملكاتٌ شبيهةٌ بالصناعة ، إذ هي ملكاتٌ في اللسان ، للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها . وليس ذلك بالنظر إلى المفردات ، وإنما هو بالنظر إلى التراكيب. فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال، بلغ المتكلم حينئذ الغاية من

إفادة مقصوده للسامع، وهذا هو معنى البلاغة . والملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال لأن الفعل يقع أولاً وتعود منه للذات صفة ، ثم تتكرر فتكون حالاً . ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة ، ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة. (1)

فمت منها أن المقصود بها القدرة أو الكفاءة أو الكفاية عند بعض المناهج العربية، إذ أن المفهوم هو ذاته.

ويتصل هذا المفهوم في النحو أيضاً بنظرية النحو الوظيفي التي ظهرت مجموعة من الباحثين بجامعة امستردام يرأسهم الباحث اللساني (سيمون ديك) الهولندي، حيث قدم الصياغة الأولية العامة للنحو الوظيفي سنة 1978م، فمستعملو اللغة الطبيعية لا يتواصلون فيما بينهم إلا بخطابات، ولهم قدرة تواصلية متكاملة أي مجموعة من الملكات، وهي الملكات المعرفية، واللغوية، والإدراكية، والمنطقية والاجتماعية... ولا تصل النظرية حدّ التكامل والكفاءة الشاملة إلا إذا رُصدت هذه الملكات كلّها ولم تقف عند حدود الملكة اللغوية وحدّها (2).

فالملكة اللغوية: هي التي يستطيع بواسطتها إنتاج عدد لا متناهي من الجمل في جميع مستويات اللغة المعجمية والصوتية والتركيبية والدلالية والصرفية في شكل تواصلية، وهي دائمة الحضور وفي كل الأوقات.

والملكة الاجتماعية: هي القدرة على الإنتاج اللغوي في جو المخاطبة الاجتماعية والعلاقات التي تنشأ بينهم في أثناء التواصل.

أما الملكة المنطقية: وهي التي يستعمل فيها قواعد الاستدلال المنطقي، في إنتاج معارفه وابتكارها بشكلها الإضافي.

والملكة الإدراكية: تتعلق بمواقف التواصل الاجتماعي التي تمكن مستعمل هذه الملكة من الاعتماد على المعارف التي يمارسها يومياً.

1 - عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ج2، ص:367.

2 - ينظر: أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، دار الأمان - الرباط، المملكة المغربية ط1 (1427هـ - 2006م)، ص: 45.

الملكة المعرفية فهي التي تمكّن مستعمل اللغة من تكوين مخزون منظم من المعارف اللغوية وغير اللغوية، واستخدامها في إنتاج وتفسير وفهم المزيد من العبارات والجمل اللغوية⁽¹⁾

ومن هذه المبادئ جاءت فكرة الكفاءة أو القدرة وهي مفهوم له علاقة بالفرد والمجتمع، والامكانيات التي يمتلكها من أجل تحقيق أهداف معينة في شتى مناحي الحياة.

لذا لم يحدد العلماء تعريفا دقيقا للكفاءة وقد تعددت التعاريف والمفاهيم عنها ومن هذه التعاريف:

الكفاءة مفهوم عام يشمل القدرة على استعمال المهارات والمعارف الشخصية في وضعيات جديدة، داخل إطار حقله المهني، كما تحوي أيضا تنظيم العمل وتخطيطه، وكذا الابتكار والقدرة على التكيف مع النشاطات الغير عادية⁽²⁾.

حسب (لوي دينو - Luis d'hainout): «هي مجموعة من التصرفات الاجتماعية- الوجدانية، ومن المهارات المعرفية والحس- حركية، التي تمكن من ممارسة دور، وظيفة، نشاط، مهمة أو عمل معقد على أكمل وجه»⁽³⁾

أما الكفاءة التعلّمية: هي مجموعة المعارف والمفاهيم والمهارات والاتجاهات يكتسبها الطالب نتيجة إعداده في برنامج تعليمي معين، توجه سلوكه وترتقي بأدائه إلى مستوى من التمكن، تسمح له بممارسة مهنته بسهولة ويسر ومن دون عناء.

3 - ينظر: أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، الدار العربية للعلوم ناشرون-بيروت لبنان، ط1 (1431هـ -2010م)، ص:13- 15.

2 - ورد هذا التعريف في الوثيقة المرفقة لوزارة التربية الوطنية سنة2006م.

3 - نقلا عن: شرقي رحيمة - بوساحة ناجي: بيداغوجية المقاربة بالكفاءات في الممارسة التعليمية، مقال منشور في : مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية، عدد خاص: ملتقى التكوين بالكفايات في التربية، جامعة قاصدي مرباح- ورقلة (الجزائر)

وعليه فإن الكفاءة متعلقة بالمكتسبات القبلية التي يمتلكها ومدى قدرته على استغلالها لتطوير ما يمكن تطويره بتلك القدرة.

2- طريقة التدريس في ظل المقاربة بالكفاءات:

إن التدريس بالكفاءات يعتمد على مقاربة منهجية، تجعل من المتعلم محور العملية التعليمية، فهو يساهم في بناء كفاءات معينة، ويستثمرها في وضعيات إشكالية تواجهه، ومن أجل تحقيق ذلك ينبغي على المعلم أن تكون لديه القدرة على بناء المخططات، وأن يتحكم في المفاهيم الواردة في المناهج (كفاءة، محتوى، قدرة مؤشر، هدف...) وأن يتعمق في فهم المناهج الدراسية، و الوثائق المرافقة لها ودلائل المعلم، لأن ذلك يساعد على فهم الاستراتيجيات التي بني عليها المنهاج بجميع مكوناته وعناصره، وأن يدرك الفروق الفردية بين المتعلمين، لأن ذلك يساعده على تكييف الوضعيات، وفق ما يسمح به المستوى العام للتلاميذ (المستوى المتوسط) ويجب أن يدرك بعد المفاهيم لبيداغوجيا الإدماج، ضمن سيرورة بناء الكفاءات أو تنميتها، ولا يجعل الحواجز المادية والنفسية بين المواد والأنشطة التي يتعامل معها التلميذ، لأن ذلك يعيق عملية الإدماج بين المعارف والكفاءات، في شكلها الاستعراضي الأفقي، فيؤدي إلى عدم تحقيق الكفاءة المستعرضة"، وعليه أن يعتمد الطرائق الفعالة الملائمة للأنشطة والمواد المراد ممارستها وأن يراعي التدرج.

يعتبر أسلوب حل المشكلات من أساليب التدريس الفاعلة في تنمية التفكير عند التلاميذ ثم إن عملية حل المشكلات، من العمليات الأكثر فعالية في إحداث التعلم لأنها توفر الفرصة المناسبة لتحقيق الذات لدى التلميذ، وتنمية قدراته العقلية وصاحب هذه الطريقة هو المربي الأمريكي "جون ديوي" الذي يعرف المشكلة على أنها حالة وشك وتردد، تقتضي بحثاً أو عملاً يبذل في سبيل استكشاف الحقائق التي تساعد على الوصول إلى الحل

إن هذا التعريف يؤدي بنا إلى التساؤل: متى نفكر؟ ولماذا نفكر؟ والجواب: نفكر عندما تعترضنا مشكلات، ونفكر لكي نصل إلى حل هذه المشكلات.

أ- خصائص طريقة حل المشكلات: تتميز هذه الطريقة بعدة خصائص هي:

- إثارة الدافعية للتعلم: فالمشكلة المطروحة تعد حافزا للبحث والتجريب، سواء بدافع التحدي، أو بدافع حب الاستطلاع وللكشف عن المجهول.

- تعلم المفاهيم: يتعرض المتعلم أثناء المعالجة والبحث عن الحل إلى كثير من المفاهيم، تمكنه من اكتساب المعرفة والمهارات المرغوب فيها.

-التعلم من خلال العمل: يعتبر المسعى من خلال المعالجة المنهجية لحل المشكل تعلمًا سواء كان ما افترضه المتعلم صحيحًا أو خاطئًا.

- الاستمتاع بالعمل: يتم الإقبال على المشكلة برغبة التعرف على الأشياء وتعلم المهارات اللازمة، مما يؤدي إلى الاستمتاع بالعمل.

- توظيف الخبرات السابقة: يؤدي استخدام الخبرات إلى الترابط بين المعلومات السابقة واللاحقة، ويجعلها ذات معنى ودلالة عند المتعلم⁽¹⁾.

ب-خطوات طريقة حل المشكلات: ومن أجل نجاعة هذه الطريقة ينبغي إتباع الخطوات الآتية:

- الشعور بالمشكلة.

- تحديد المشكلة وصياغتها في شكل إجرائي قابل للحل في صيغة سؤال.

- دراسة المشكلة واقتراح الفرضيات المناسبة لحلها.

- اختبار الفرضيات المناسبة.

- التأكد من صحة الفرضيات المقترحة لحل المشكلة.

- الوصول إلى حل المشكلة.

ج- شروط المشكلة: يجدر أثناء اختيار المشكلة مراعاة الشروط التالية:

- يجب أن تتناسب المشكلة مع مستوى التلاميذ ومع مرحلة نموهم.

1 - ينظر الأستاذ: مصطفى بن الحاج، مقال بعنوان: طرائق التدريس في ضوء المقاربة بالكفاءات، منشور على موقع التعليم الثانوي بالجزائر (<http://www.djelfa.info/vb/showthread.php?t=1526195>) بتاريخ: 2014/02/05، على الساعة: 11:42.

- يجب أن تكون المشكلة مستمدة من بيئة التلاميذ.
- يجب أن تعبر المشكلة عن حاجات واقعية يشعر بها المتعلم.
- يجب أن يكون التوجيه والتقويم جزء لا يتجزأ من عملية التعلم عن طريق حل المشكلات.

- يجب أن تؤدي دراسة المشكلة إلى مشكلات أخرى تحتاج إلى دراسات جديدة.

يعد التدريس عملية صعبة شاقة، وهي كذلك عملية معقدة إنها لا تتطرق للحاضر وتعالجه بمعزل عن الماضي، أو بمعزل عن المستقبل، إنها عملية تفيد من خبرات الماضي وتجاربه لمعالجة الحاضر والإعداد للمستقبل، وهي كذلك عملية لا تتم داخل الصف بمعزل عن البيئة المدرسية، أو الأسرية أو البيئية المحلية أو البيئة العالمية أو على مداها الواسع.

"ولا تقتصر عملية التدريس على التفاعل بين المعلم وتلاميذه داخل حجرة الصف، وضمن أسوار المدرسة، ولكنها تتم كذلك بالتفاعل بين التلميذ والديه وأفراد أسرته، ومنهم في بيئته المحلية، والبيئة في العالم الأوسع من حوله"، كما تتأثر بما عند التلميذ من قدرة على الاستكشاف وما عنده من حب الاستطلاع، وما يقوم به من ملاحظة، لما يحدث حوله، أو يسمع به، أو يفكر فيه أو يراه.

"ويتطلب التدريس الكثير من التأمل والتفكير العميق، وليس هناك من أمل ليصبح الواحد منا مدرساً مميزاً، من خلال اتباع أساليب مقننة في تدريسه، ضمن أسس وقواعد روتينية موروثة".

إن لب عملية التعليم وجوهرها هو الشعور بالتلاميذ والرافة بهم والحرص عليهم وبذلك يستطيع المعلم أن يقع على الخطأ و يصححه، وأن يواجه العوائق ويتغلب عليها، و بدون ذلك فلا يمكن تعويض ما يفوتنا من عملية التدريس، أو ما نقع فيه من أخطاء، حتى ولو امتلكننا مهارات تقنية عديدة.

وفي الحقيقة أن تدريس اللغة العربية وقواعدها في مدارسنا أصبح يعاني منه المعلم والمتعلم وبخاصة في ظروف الإصلاحات التي أعلنتها وزارة التربية

والوطنية والتي جاءت مبنية على فكرة المقاربة بالكفاءات، وأجزم أن الكثير من المعلمين - من خلال تجربتي الخاصة - لم يفهموا الفكرة على الاطلاق وسيطرت عليهم الطرق القديمة التي لم يستطيعوا التخلص منها، وفي ظل غياب عملية التكوين المتواصلة للمعلمين بمختلف أطوارهم، ما يسمى في عصرنا بعملية (الرسكلة) يقول الدكتور محمد الصاري: « يواجه تعليم اللغة العربية في عصرنا مشكلات تربوية حادة لعل من أبرزها تعقيدا وتذبذبا مسألة القواعد النحوية وتدريسها. فهي مادة جوهرية ولها فوائد عملية تدفع المربين وتشجعهم على تثبيتها عند بناء المناهج والمقررات. وعلى الرغم من الجهود التربوية المبذولة لتقريبها من عقل التلميذ فإن النتائج المحصلة - في تدريس هذه المادة - لا تعكس حقيقة ما يخصص لها من زمن وجهد.»⁽¹⁾

أ- طريقة تدريس اللغة العربية (من واقع المناهج التعليمية):

إن تحقيق الكفاءات المحددة في المناهج و من ثم تحقيق الهدف الختامي المندمج لنهاية السنة يستوجب تناول النشاطات الدراسية الآتية²:

أ- الأدب و النصوص :

يتناول نشاط الأدب والنصوص دراسة نصوص أدبية و نصوص تواصلية.

أ-1- النصوص الأدبية: تقدم النصوص الأدبية في إطار العصر الأدبية المتعاقبة ولكن ضمن حدود لا يتحول معها تاريخ الأدب إلى غاية بذاتها، بل يبقى موضوعاً في خدمة الأدب؛ حيث يتم التركيز على النصوص التي تعكس المظاهر التي تطبع العصر و تميزه عن سواه ثم العمل على تدريب المتعلم على التفاعل مع المنتج الأدبي الذي يدرسه ليكتشف و يستنتج خصائص هذه المظاهر، و في ذلك

1 - محمد صاري: واقع تدريس القواعد النحوية في مراحل التعليم العام (دراسة تقويمية)، مقال منشور بمنشورات التعليم الثانوي (<http://www.p48bac.com/vb/archive/index.php/t-18297.html>) بتاريخ: 2011/09/28 على الساعة: 01:52.

2 - ينظر: مصطفى بن الحاج: تدريس نشاطات اللغة العربية وآدابها وفق طريقة المقاربة بالكفاءات، بحث مختصر ومنقول من موقع (منتدى حدائق اللغة)، (<http://daifi.montadarabi.com/t937-topic>)، بتاريخ: 2009/03/22م، على الساعة: 15:15.

تفعيل لقدراته و استثمار لمكتسباته. و بهذا الأسلوب في تناول النصوص الأدبية يتمكن المتعلم من ترسيخ معارفه عن العصر الذي يدرسه من حيث المظاهر الفكرية و الظواهر الأدبية السائدة فيه. وهو أسلوب يوافق مبدأ المقاربة بالكفاءات التي تحرص على ما هو أنفع و أفيد للمتعلم و يجعله في وضعية بناء معارفه. و تقوم الدراسة - عموما - حول البحث عما يتوافر عليه النص الأدبي من عمق إنساني وأفكار و مستوى فني من مشاعر و أخيلة و أشكال التعبير.

أ-2- النصوص التواصلية: و هي نصوص نثرية الهدف منها إثراء معارف المتعلمين حول المظاهر التي تناولتها النصوص الأدبية و يتم التركيز فيها على الناحية المعرفية و على الوسائل الإبلغية المقنعة في التعبير. و مهما يكن من أمر فهي نصوص داعمة للنصوص الأدبية و رافدة لها في الفهم و الاستيعاب.

و لما كانت النصوص الأدبية تمثل الأصل في نشاط الأدب والنصوص؛ والنصوص التواصلية الفرع، فإن الأمر يتطلب تفصيل القول في النصوص الأدبية بما يجعل المدرس يتعامل معها بشكل مرض يعكس إيجابا على استيعاب التلاميذ ومردودهم الدراسي.

أ- النصوص الأدبية: يكتسي هذا النشاط أهمية بالغة في بناء شخصية التلميذ إذ هو ميدان ممتاز يمكن المدرس في هذا المستوى من جعل التلاميذ منهجين في عملهم، موضوعيين في تفكيرهم، مقتنعين في نقاشهم، معترزين بمقومات أمتهم وواعين بدورهم في مجتمعهم الذي ينتمون إليه و أخيرا مسهمين بفاعلية في بناء حضارة أمتهم.

و إن الدراسات التربوية - اليوم - تقر أن للنصوص الأدبية المكانة الأولى في إعداد النفس و تكوين الشخصية و توجيه السلوك بوجه عام. وهي بذلك من أليق الدراسات بالتلاميذ في المرحلة الثانوية لأنها الدراسة التي ترمي إلى تنوير الفكر و تهذيب الوجدان و تصفية الشعور و صقل الذوق وإرهاف الإحساس.

و على وجه العموم، إن النصوص الأدبية تمثل مركز ثقل المواد التي يدرسها أستاذ اللغة، حيث عن طريق النص الأدبي:

- يتعود التلاميذ على جودة النطق و سلامة الأداء و حسن التعبير.

- يتدرب التلاميذ على دقة الفهم وحسن استخلاص معاني الألفاظ بشرح الأساليب الأدبية التي تتميز - عادة - بالدقة و حسن التركيز.

- تنمو ثروة التلاميذ اللغوية بوساطة النصوص المدروسة و التي تشمل طائفة من الألفاظ الجديدة و التراكيب و المعاني.

- يكتشف التلاميذ ما في الأثر الأدبي من معان و أساليب تنمي فيهم ذوقا أدبيا رفيعا.

- يتوسع أفق فكر المتعلمين و تزيد صلتهم بالحياة و ما يضطرب فيها من أنواع السلوك و النشاط.

ويسعى المدرس - في ظل التدريس بالكفاءات - إلى جعل درس الأدب قوة عملية يحدثها في المتعلم، فيشتد تأثيره فينقلب إلى قوة محرّكة تدفع إلى نوع من السلوك العملي و التصرف الإيجابي.

- يفهم المتعلمون الطبيعة الإنسانية مصورة في الإنتاج الأدبي كالكرم و البخل و الأمانة و الخيانة و الإيثار و الأنانية و التضحية و التسامح و التعاون....

- تنتمي خبرات المتعلمين من الجوانب الاجتماعية و الخلقية و السياسية لأن الأدب يمس الحياة من جميع نواحيها.

و مُفاد الطريقة السائدة في تدريس النصوص الأدبية في المدارس الثانوية - حاليا - لا تكاد تخرج - عموما - عن إطار استخراج الفكرة العامة و الأفكار الأساسية مع شرحها شرحا مبتذلا في أغلب الأحيان، ثم مناقشة معاني النص مع الإشارة إلى نوع العاطفة و دراسة الأسلوب، و تكرار هذه العناصر أثناء دراسة كل نص أدبي كانت له آثار سلبية على التلميذ، إذ همشت فكره و جمدت إبداعه و عودته آلية الإجابة الجاهزة.

إن إخضاع الدراسة الأدبية لقواعد ثابتة يستعين بها الدارس لا يعد و أن يكون ضربا من الطريقة الجافة العقيمة التي تعني كل شيء إلا أن تكون مفتاحا لفهم نص أدبي. إذ إن دراسة النص إبداع و الإبداع يتعالى عن الضوابط و القواعد. ولو كانت

ثمة قواعد ثابتة يستعين بها دارس النص الأدبي لما كانت الحاجة إلى أستاذ. بل كان من السهل على كل قارئ أن يأخذ تلك القواعد و يطبق عليها ما يقرأه.

و لكن نحن أمام معرفة أدبية، والأدب فن، و الفن يخضع للإبداع أكثر من خضوعه للقواعد و الضوابط. و ليس من باب المبالغة القول بأن هذه الطريقة في التدريس الخاضعة للقواعد والضوابط هي التي جنت على أسلوب التفكير لدى تلاميذنا، ففي مادة هامة كالنصوص الأدبية حيث يفترض أن تبني في التلميذ الفكر الطليق و قوّة التمييز و ملكة الإبداع نجدها خاضعة لقوالب نقدية جاهزة تميع المقصود و تحترف عن الغرض و تدفع بالتلميذ إلى الشعور بالرتابة والابتذال، وقد نجم عن هذا الشعور ضيق التلاميذ بمادة النصوص لأنها أصبحت قرينة التكرار و سماع الأحكام المعروفة المألوفة من مثل "الأفكار واضحة، سهلة الفهم، بسيطة في مجملها"، "العاطفة قوية صادقة"، "الأسلوب جزل، قوي لا تكلف فيه"، "العبارات والألفاظ ملائمة للمعاني".

وكيف لا تكل أذهان التلاميذ و يضيقون ذرعا بدرس الأدب ؟ إذا كانت هذه الأحكام ترن في آذانهم في كل حصة من حصص النصوص الأدبية، فلا عجب إذا رأيناهم يتكاسلون في هذه الحصة و يعرضون عن قبولها بل ويتمادون في هجرانها نفسيا، حيث إنها تبقي عقولهم جامدة و أفكارهم مقيدة و مبادراتهم محصورة.

ولا يختلف عاقلان في أن مثل هذا الأسلوب في التعامل مع النص الأدبي - مصدر بناء شخصية التلميذ بأوسع ما تحمله كلمة (بناء) من معان - لم يعد يلائم العصر الحاضر ولا يهيئ التلميذ إلى التفاعل مع محيطه الاجتماعي و السياسي والثقافي.

و بما أن التربية المعاصرة أصبحت - اليوم - تعمل بالدرجة الأولى على إعداد الفرد لمواجهة محيطه و ما في هذا المحيط من عوامل و دوافع وتفاعلات و صراعات فإن الأبحاث التربوية.

اهتدت إلى مقارنة بيداغوجية وظيفية بقصد التحكم في مجريات الحياة بكل ما تحمله من تشابك في العلاقات و تعقيد في الظواهر الاجتماعية فظهرت المقاربة

بالكفاءات كاختيار منهجي تمكن التلميذ من النجاح في هذه الحياة على صورتها هذه؛ وذلك بالسعي إلى تثمين المعارف المدرسية و جعلها صالحة للاستعمال في مختلف مواقف الحياة . و الأمر على هذه الحال، فما المسلك، يا ترى، الذي يسلكه دارس النص الأدبي - في ظل المقاربة بالكفاءات - ليتمكن من اكتشاف ما في مجاهله من كنوز و في عالمه المعقد من كوامن المعاني والأفكار والقيم و النظريات، و يجعل التلميذ أكثر تعلقا بالنص و امتثالا لقيمه؟ في سياق الإجابة عن مثل هذا السؤال وجب القول بأنه لا يجوز الاستعداد لدراسة نص بأحكام نقدية جاهزة، و إنما على الدارس أن يحدد - أولاً- الظاهرة المسيطرة على النص فكرية كانت أو فنية .(باعتبار أن النص مضمون و صورة؛ مبنى ومعنى.) ثم ينطلق في دراسته بدلالة هذه الظاهرة المسيطرة عليه، على أن لا تكون الدراسة وصفية مبنية على إصدار أحكام تشيد بمهارة الأديب اللغوية في التعبير الفكري والفني من مثل: (الأفكار واضحة، سهلة الفهم، عميقة الدلالة، و الأسلوب جزل قوي و عباراته و ألفاظه ملائمة.)

وإنما الدراسة تكون بتبني المقاربة النصية كطريقة تربوية لتفعيل الدرس الأدبي و كذا بوضع المتعلم موضع المتفاعل مع الدراسة باستثمار مكتسباته القبلية و حسن توجيهه و إرشاده إلى ما يجعله يبدع في استقصاء مبنى النص و معناه بالحجة البينة و الفكر الطليق ..

و النص الأدبي معين لا ينضب، فهو يتجدد و ينبعث من خلال كل قراءة؛ ومهمة المدرس أن يعمد إلى إنكاء روح التفكير و التعمق في دراسته دراسة إبداعية بنزعة عقلية و تفكير منطقي يجعل التلميذ يتعلق باللغة و آدابها ما دامت تسمو بفكره و ترقى بعقله و تمتع مشاعره؛ و إنما تفلح الدراسة بهذا الأسلوب إذا تمت وفق المقاربة بالكفاءات يعني وفق منطق الإدماج- أي بإدماج مكتسبات الروافد اللغوية من نحو و صرف و بلاغة و نقد و غيرها من الروافد الأخرى في الدراسة. و النص الأدبي أخيراً، قد يبدو أول وهلة عالماً صغيراً بسيطاً غير معقد و لا متشعب. و لكن بالنظر الثاقب و الدراسة المعمقة تكتشف مساحته الفكرية و حجمه الحقيقي. النص

الأدبي-عموما- عالم منغلق و لكنه قابل للانفتاح، و مفتاحه لا يؤخذ في اليد لفتح أبوابه و إنما يبحث عن هذا المفتاح في ثناياه ذاتها و ذلك بفكرة: (أن لا طريقة في دراسة النص الأدبي هي الطريقة).

و الخلاصة إن دراسة النص الحققة تأبى الدخول إلى النص بأحكام مسبقة. إنها تبدأ بالفهم فالتحليل لتنتهي إلى الاستنباط و الاكتشاف. و التحليل لا يخضع للنمطية بقدر ما يتم عبر مناقشات موجهة تطرح فيها أسئلة هادفة، تلتزم حدود النص حيناً، و تتخطاه أحيانا لتظل على موضوعات تتصل بواقع المتعلمين و تثير اهتمامهم.

ب- المطالعة الموجهة:

للمطالعة مقام ممتاز لاكتساب المعارف و تحصيل المعلومات و التزود من الثقافات المختلفة، و تنمية الثروة اللغوية للمتعلمين و هي من أهم الوسائل لتربية ملكة الانتباه والإدراك لديهم و هي توسع معارفهم و تنمي لغتهم و تزيد خبراتهم و قدراتهم و تصقل أدواقهم، و لكي يحقق هذا النشاط أهدافه يجب تقديمه بطريقة هادفة، تمارس فيها عمليات الفهم و التلخيص و التقييم مع مراعاة ما يأتي:

- المطالعة الموجهة: عمل حر يجري جزء منه في القسم و الجزء الأكبر خارجه.
- دور المدرس يقتصر على تصويب المسار و الحكم الذي يفصل في المناقشات.
- ينجز المتعلمون عمل المطالعة فرادى أو جماعات حسب طبيعة العمل.
- تقويم إجابات التلاميذ بعلامات تثبت لهم في دفتر العلامات اليومية و في ذلك تشجيع للقارئ

المطلع و تحفيز لغيره على الجد و الاهتمام.

و المدرس يسعى من خلال درس المطالعة إلى تحقيق جملة من الأهداف منها:

- تنمية قدرة التلاميذ على فهم المقروء فهما صحيحا و اسعا.
- القدرة على التمييز بين الأفكار الأساسية و الثانوية في الأثر المقروء.

- تكوين أحكام نقدية عن المقروء وانتفاعه به في الحياة العملية.
 - تعويد التلاميذ على البحث و الاكتشاف و إغناء الموضوع بسندات تساعد على الفهم و الإفهام .
 - الفهم بعمق و استخلاص الأفكار المباشرة و غير المباشرة من الأثر المقروء.
 - تعويد المتعلمين على التمييز في المعنى بين الكلمات المتشابهة رسماً المختلفة في الحركات.
 - إذكاء روح الاعتماد على النفس لدى المتعلمين في التعامل مع الأثر المقروء من حيث شرح كلماته و مفرداته المستعصية و التعمق في مشكلاته اللغوية والفكرية والمعرفية.
 - هذا والجدير بالذكر أنه على المدرس تكيف أسلوب طريقه في تنشيط حصص المطالعة الموجهة وفق الأجواء التي يتفاعل معها و لا يجمد على طريقة واحدة يتقيد بها في جميع دروسه.
 - هذا، وإن مقرر المطالعة الموجهة موزع بين مطالعة ذات نصوص متعددة و مطالعة ذات موضوع واحد و للمدرس مراعاة القدرات العقلية للمتعلمين في توزيع مادة المطالعة عليهم.
- د - التعبير الكتابي:**

وهو ضرب من تقييم قدرة المتعلم على إدماج مكتسباته القبلية، من وجهة نظر المقاربة بالكفاءات. ومن هنا قد يسأل سائل ما الفرق بين التعبير الكتابي في ظل البيداغوجيا التلقينية و التعبير الكتابي في ظل المقاربة بالكفاءات؟

إجابة عن هذا السؤال المشروع، جدير بالذكر القول بأن الفرق يظهر في صوغ الموضوع . حيث في البيداغوجيا التلقينية لا يصاغ الموضوع بدلالة دفع المتعلم إلى استغلال مكتسباته القبلية المتعلقة بالكفاءة المرسومة- كما هو الحال في المقاربة بالكفاءات- بقدر ما يطالب بالتعبير عن المطلوب و الإيفاء به. أضف إلى

ذلك أن موضوع التعبير في ظل المقاربة بالكفاءات يصاغ بدلالة جعل المتعلم في وضعية - مشكلة زيادة على وضعه في موقف إدماج مكتسباته السابقة.

و إيضاحا للقصد نجسد هذا الكلام النظري بما يأتي:

- مثال لموضوع التعبير الكتابي الذي كان يمارس في البيداغوجيا التقليدية: ليس كل ما يلعب ذهبا، وضح هذه الفكرة و بين أن على الإنسان ألا يخدع بالمظاهر.

فالمتعلم - في هذا الموضوع - مدعو إلى تسخير قدراته المعرفية (التوافر على المعارف التي يتطلبها الموضوع) و كذلك إظهار مستوى من التفكير عند تبيان أسلوب عدم الانخداع بالمظاهر. والمتعلم - هنا - في تحريره للموضوع ليس مرتبطا بتوظيف مكتسبات قبلية محددة، بينما الحال يختلف عنه من زاوية المقاربة بالكفاءات.

حيث إنه إذا قدم - مثلا - درس معاني الفعل المضارع في قواعد النحو و قدم درس المجاز اللغوي في البلاغة في الوحدة التعليمية و جيء إلى موضوع التعبير الكتابي، فإن صوغه حينئذ سيكون - بمنطق الإدماج و وضع المتعلم في موقف وضعية مشكلة.

وعلى العموم، فإن التعبير الكتابي - من منظور المقاربة بالكفاءات - ليس نشاطا لغويا معزولا عن باقي نشاطات اللغة، بل هو متشابك و متداخل في مهاراته اللغوية مع نشاطات اللغة الأخرى إلى حد كبير، فهو متشابك مع القواعد النحوية و الصرفية، متشابك مع الإملاء و الخط، متشابك مع الأدب و النصوص، متشابك مع البلاغة. وما يجدر ذكره أن التعبير الكتابي بين فروع اللغة هذه يعد غاية، و هذه الفروع و سائل مساعدة معينة عليه. و معنى هذا أن التلميذ بقدر تقدمه و نمو ملكته في هذه الفروع يكون تقدمه و نموه مهارات في التعبير الكتابي.

والمدرس في هذا النشاط، يسعى إلى تحقيق الأهداف الآتية مع التلاميذ:

- حسن انتقاء الألفاظ المناسبة للمعاني و كذا التراكيب و التعابير التي تخدم المطلوب.

- تعود السرعة في التفكير و التعبير، و مواجهة المواقف الكتابية الطارئة.
 - التعبير الصحيح عن الأحاسيس و المشاعر و الأفكار بأسلوب و اضح رفيع ومؤثر يتوافر على التخيل و الإبداع.
 - الكتابة بمراعاة سعة الأفكار و عمقها، ترتيبها و تنظيمها.
 - الدقة في مناقشة الأفكار و الحرص على تأييد الرأي بالشواهد المناسبة.
 - مراعاة الدقة في استخدام علامات الترقيم.
 - القدرة على الكتابة في مختلف النصوص (حوارية، تفسيرية، حجاجية...).
 - و تزداد قابلية التلاميذ على الكتابة متى عمل المدرس على استثارة الدوافع إليها وذلك عن طريق:
 - اختيار مواضيع مستمدة من خبراتهم و من صميم انشغالاتهم.
 - دفعهم إلى إغناء خبراتهم و معارفهم بمطالعة مختلف المراجع و السندات والوثائق و التردد على المكتبات.
 - إعلام المتعلمين بمحور موضوع التعبير و مطالبتهم بتحضيره في المنزل.
 - اختيار أحسن موضوع ونشره في مجلة الحائط.
 - فسح المجال للتلاميذ كي يعبروا عن آرائهم و أفكارهم بحرية أثناء مناقشتهم للمواضيع الكتابية.
- هـ) قواعد النحو والصرف: (سنجعل لها عنوانا خاصا - بحول الله تعالى -)**
- و) البلاغة:**

مما لا شك فيه أن الأدب فن يمثل الوجه المشرق لجمال التعبير و أن علم البلاغة يوضح الأحكام و المعايير التي تحكم الأثر الأدبي، وتقدم الأسس التي تبرز هذا الجمال و تلونه وتبعاً لذلك فمن غير المعقول أن ينظر إلى تدريس البلاغة بمعزل عن النص الأدبي. وهذا هو المبرر العلمي الذي يجعل جدوى تقديم الدرس البلاغي تابعا لدرس النصوص الأدبية يقدم عرضا من خلال سياق تعبير

النص دون تكلف أو تصنع؛ و بالتالي يكون درس البلاغة خير مساعد للمتعلم على فهم الأدب و تذوق معانيه و إدراك بعض خصائصه و الوقوف على أسرار جماله.

ومن خلال تنشيط درس البلاغة يحرص المدرس على:

- تبصير المتعلمين بالأسس والأصول التي تقوم عليها بلاغة الكلام وجودة الأسلوب من حيث الجمال و القوة و الوضوح و روعة التصوير ودقة التفكير.

- تربية الإحساس بقيمة اللفظ و أهميته في تأدية المعنى المناسب.

- السمو بالإحساس و الوجدان من خلال الوقوف على ما في الأساليب من روائع الكلام.

- تنمية الذوق الأدبي للمتعلمين و إرهاف أحاسيسهم، وتمكينهم من فهم الأدب فهما دقيقا ومن معرفة سماته ومزاياه.

- إدراك قيمة الأثر الأدبي في النفوس باكتشاف ضروب المهارة الفنية للأدباء و ما يصوره أدبهم من حالات نفسية و انفعالات.

- تمكين المتعلمين من المفاضلة بين الأدباء و من الموازنة بين الآثار الأدبية بعد التوضيح لهم أن الفكرة يمكن أن تؤدي بأساليب مختلفة، و أن اللاحق يمكن أن يأخذ عن السابق، فيسمو عليه أو يدانيه.

والطريقة الحالية تفصل درس البلاغة عن دروس الأدب و تعالجهما في حصص مستقلة بأسلوب يغلب عليه الطابع النظري. و زيادة على ما في هذا الفصل من خطأ تربوي، فإنه يشعر المتعلم بأن درس البلاغة شيء متكلف، فيقف منه موقف الحيرة والشك في قيمته الأدبية.

وكيف يكون رأي المتعلم في قيمة البلاغة و هو ينفق وقتا و مجهودا لمجرد أن يعرف أن في هذه العبارة استعارة أو كناية و أن هذا الاستفهام خرج عن معناه الأصلي إلى معنى آخر؟

إن المدرس لا يصل بالبلاغة إلى غايتها من تكوين الذوق الأدبي إلا إذا اتخذها وسيلة لبيان قيمة النصوص الأدبية و حظها من الفن.

وعليه، فالواجب ألا يكون للبلاغة درس خاص تشرح فيه قواعدها و إنما يجب أن تعلم في حصص الأدب و من خلال نصوصه ليتبين التلاميذ منزلتها الرفيعة من الدراسات الأدبية و ليسهل على المدرس أن يتجه بها دائما اتجاهها ذوقيا خالصا. وهذا ما يوافق بيداغوجيا الإدماج قرينة المقاربة بالكفاءات.

ز - العروض:

تتوجه طريقة تدريس العروض نحو تيسير الصعوبات التي تعترض المتعلم في هذا العلم بالاختصار على تدريس الأبحر الشائعة، الكثيرة التداول، القريبة من مستوى المتعلمين العقلي وذلك إثباتا للجانب النفعي من هذا العلم في ذهن التلميذ وتجسيدها لما تفره المقاربة بالكفاءات. وعليه، فعلى المدرس أن يراعي في درس العروض ما يأتي:

- تعريف المتعلمين الوزن الشعري و بعض أبحر الشعر العربي الأكثر تداولاً بين الشعراء قديماً و حديثاً.

- تنمية الحس الموسيقي لديهم.

- تمكينهم من التمييز بين صحيح الشعر و فاسده، لأن العروض هو ميزان الشعر الذي يسمح بذلك التمييز.

- اطلاعهم على الخصائص الموسيقية الجيدة للأوزان الشعرية.

ح) النقد الأدبي:

بالإضافة إلى ربط درس النص الأدبي بقواعد النحو والصرف والبلاغة والعروض، فقد ارتأى منهاج اللغة العربية إضافة النقد الأدبي و ذلك بنية جعل المتعلمين يتوافرون على أدوات الدراسة الأدبية بصورة كاملة. مثال: من أجل تحليل نص أدبي (الذي يشكل كفاءة) تجب معرفة مصطلحات النقد الأدبي (وهي معرفة موحدة).

ومن هذا المنظور تشكل مصطلحات النقد الأدبي عاملاً أساسياً في التعامل مع النص الأدبي فذهب المنهاج إلى إقرار مبادئ النقد الأدبي إيفاء بالدراسة الأدبية للنص.

ط) بيداغوجيا المشروع:

إن بيداغوجيا المشروع تعد امتداداً للطرائق النشطة التي تجعل المتعلمين يبرهنون على قدرتهم المعرفية- الفعلية- حيث تقترح عليهم إنجاز أعمال فعالية يدعون فيها إلى تسخير مختلف مكتسباتهم الملائمة.

و تؤدي بيداغوجيا المشروع وظائف منها:

- وظيفة تحسيسية- تحفيزية: حيث يكون المتعلم في وضعية تعليمية ذات دلالة تجعله يدرك أهداف

العملية التعليمية- التعلمية فيرتبط أكثر بالفعل التعليمي و يزيد إقباله على الدراسة.

- وظيفة تعليمية: حيث إن استغلال المعارف المكتسبة و الكفاءات المأمول اكتسابها تحصل في إنجاز المشروع.

- وظيفة اجتماعية: ضمن منظور إسهام نشيط في إنجاز مشاريع ذات طابع اجتماعي يحصل المتعلم على تكوين يهيئه لممارسة الحياة المدنية- مستقبلاً- بصفته راشداً و مواطناً. و على العموم، إن بيداغوجيا المشروع تقوم على أساس وضعيات تعليمية تدور حول ظاهرة معينة واضحة تجعل المتعلمين يشعرون بميل حقيقي لبحثها و حلها حسب قدرات كل منهم، وهذا هو المبدأ الذي روعي في تحديد المشاريع بالنسبة إلى السنة الأولى من التعليم الثانوي العام و التكنولوجي. وما هو جدير ذكره أن هذه المشاريع موضوعة من باب الاستئناس بها و يمكن للأستاذ الاجتهاد في تنشيط مشاريع أخرى يراها أنسب لاستعدادات المتعلمين و أكثر ملاءمة لانشغالهم و اهتماماتهم.

ويتم إنجاز المشاريع بتوجيه المدرس وإشرافه - لكونه يمثل الشخصية المرجعية للمتعلمين- و ذلك اعتماداً على ممارسة أنشطة ذاتية متعددة في مجالات متنوعة، وينطلق هذا التوجه من ممارسة تتجاوز الحدود الفاصلة بين النشاطات

الدراسية حيث تتداخل هذه النشاطات لتتمحور حول مجموعة من الأفعال الهادفة بحيث تصبح المعلومات و المعارف مجرد وسيلة لا غاية في حد ذاتها.

ب- طريقة تدريس النحو وتأثيره على المصطلح:

الهدف من تعليم النحو في المرحلة الثانوية هو دائما لحفظ اللسان من الخطأ وعصمتهم منه وإعانة الطلبة على الفهم والدقة في التعبير وعليه فإن المنهاج صمم على أن دراسة النحو في هذه المرحلة هو بقدر الحاجة أو من التعليم والفهم، لذا فهو وسيلة من الوسائل التي تعين على دراسة اللغة العربية وليس غاية الهدف منها إشباع بطون الكتب من الدروس المكررة فإن هذا يعني النظر إلى هذا النشاط من منظور عملي تماشيا مع مبادئ المقاربة بالكفاءات.

والحقيقة أن الجاحظ (255هـ) قد أدرك هذه الحقيقة في زمانه وفهم معناها أشد الفهم واستطاع أن يجسدها في أرض الواقع من خلال تجربته الفريدة والفذة التي وصل إليها من خلال اشتغاله بالنحو ودراسته عقودا من الزمن فهو يقول في إحدى رسائله الجاحظ (ت 255هـ) كان أول من دعا إلى الاختصار والتسيير على الطالب بقوله: «أما النحو فلا تشغل قلب الصبي منه إلا بقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن ومن مقدار جهل العوام في كتاب كتبه وشعر إن أنشده وشيء إن وصفه ، وما زاد على ذلك فهو مشغلة عما هو أولى به ومذهل عما هو أرد عليه من رواية المثل والشاهد والخبر الصادق والتعبير البارع، وإنما يرغب في بلوغ غاية النحو ومجازة الاقتصاد فيه من لا يحتاج إلى تعرف جسيمات الأمور والاستنباط لغوامض التدبير لمصالح العباد والبلاد... ومن ليس له حظ غيره ولا معاش سواه، وعويص النحو لا يجري في المعاملات ولا يضطر إليه شيء.»⁽¹⁾

كم أن ابن خلدون قد قدم للمربين أيضا في صره طريقة التعليم بالصفة العامة علة منهاج الجاحظ نفسه؛ وهي طريقة لا تقل أهمية عما يذهب إليه علم اللسان التربوي الحديث. وهذا بعد أن نقد طريقة التعليم السائدة في زمانه وهصره نقدا

1 - أبو عثمان عمرو بن بحر(الجاحظ)، رسائله، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي - مصر، ط1 (1979م) ، ص:38.

لاذعاً، فيقول: « وقد شاهدنا كثيراً من المعلمين لهذا العهد الذي أدركنا، يجهلون طرق التعليم وإفاداته ويحضرون للمتعلم في أول تعليمه المسائل المقفلة من العلم ويطالبونه بإحضار ذهنه في حلها ويحسبون ذلك مرانا على التعليم وصواباً فيه ويكلفونه رعي ذلك وتحصيله ويخلطون عليه بما يلقون له من غايات الفنون في مبادئها.»⁽¹⁾

وعلى هذا الأساس وتجسيدياً لهذه الفكرة فإن تدريس مادة النحو في ظل المقاربة بالكفاءات فإن تدريس النحو لا يتم بالطريقة القديمة أي لا يكون مفصلاً عن النصوص الأدبية أو التواصلية، بل إنه يدرس بناءً على النص الأدبي المقترح وذلك للأهداف التالية:

- توصلُ التلاميذ إلى إدراك الفرق الدقيق بين العبارات والجمل التي كانت تدرس قديماً على أساس أنها وحدات صغيرة للنحو وبين العبارات والجمل والفقرات، وبالتالي تدفع التلاميذ إلى التفكير الدقيق.

- مساعدة التلاميذ على نقد الأساليب والعبارات نقداً بيننا من خلال العملية التفكيكية التي يقوم بها المعلم والمتعلم على السواء، وعليه فإنها تدفع التلميذ إلى تنظيم المعلومات اللغوية.

- تعود التلميذ على الملاحظة الدقيقة والموازنة وإطلاق الأحكام، ومساعدتهم على التدقيق الأدبي من خلال ربط النحو بالمعاني في أثناء الشرح والقراءة وتحليل الألفاظ والعبارات والأساليب...، وتمييز الخطأ من الصحيح عن طريق السليقة التي ولا شك أنه سيكتسبها من خلال الدربة والتعود على استنباط الأحكام النحوية من سياق الكلام، فتنشأ عند ملكة فطرية.

- إزالة ذلك الحاجز النفسي الذي علق في ذهن المتعلم بأن النحو مادة معقدة وصعبة، وبخاصة إذا عوّد المعلم تلاميذه على التدريبات الشفوية باستمرار مبنية على أسس منظمة من المحاكاة والتكرار حتى تترسخ الحقائق النحوية وتكون

1 - ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص: 589.

العادة اللغوية الصحيحة و تحل محل النطق المغلوط أو المحرف.. : « و بهذا الأسلوب في التعامل مع قواعد النحو يتخلص التلاميذ من عناء حفظ الأحكام النحوية والصرفية الكثيرة التي لا يجنون منها إلا تعباً وإرهاقاً، والتي حفلت بها مناهج البيداغوجيا التلقينية دون تمييز بين ما هو ضروري منها وما هو غير ضروري بالنسبة إلى المتعلم. وعلى العموم، يتناول نشاط قواعد النحو و الصرف كغيره من النشاطات الرافدة في ظل المقاربة النصية خدمة لفهم النص و بناء المعنى.»⁽¹⁾

الجانب العملي في تقديم درس النحو والتعود على المصطلح النحوي هو مبني على الطريقة التالية:

بعد التطرق للنص الأدبي شعرا كان أو نثرا، من خلال دراسته الدراسة الأدبية باتباع الخطوات التالية:

- **أثري وصيدي اللغوي:** وذلك بالكشف عن المعاني المعجمية للألفاظ الصعبة التي تحتاج إلى الشرح، وربطها بمعاني النص من خلال الطريقة الحوارية بين الأستاذ والتلميذ.

- **أكتشف معطيات النص:** بطرح جملة من الأسئلة الخاصة بالنص للفهم والعام والخاص لمعانيه والوقوف على الأفكار التي يتكون منها.

- **أناقش معطيات النص:** بطرح مجموعة من الأسئلة المتعلقة بالظواهر النحوية والصرفية والبلاغية (معاني - بيان - بديع)، والوصول إلى الأساليب التي استعملها كاتب النص في التركيب وكما يلاحظ أن التلميذ يقوم بالعملية التفكيكية.

- **أحدد بناء النص:** تحديد نمط النص الذي بُنيَ عليه، وذلك من خلال مؤشرات التي تدل على هذا النمط ومن هذه الأنماط: الوصفي - السردى - الحجاجي - الإخباري - الحوارى....

1 - مصطفى بن الحاج: تدريس نشاطات اللغة العربية وآدابها وفق طريقة المقاربة بالكفاءات.

- **أتفحص الاتساق والانسجام في تركيب فقرات النص:** وهو الكشف عن العناصر التي أدت إلى وبط فقرات النص بعضها ببعض مثل: أدوات الربط (حروف العطف - حروف الجر - أدوات التوكيد...)

- **أجمل القول في تقدير النص:** وذلك بالتعرض لخلاصة النص من خلال ما قام التلميذ بنفكيكه للنص في فقرة عامة تنهي خلاصة القول.

بعد هذا العرض للنص بالتحليل والتفكيك يخرج الأستاذ إلى جو النص دون أن يشعر التلميذ إلى الظاهرة النحوية من خلال مثال مقتبس من النص عن طريق عبارة تدل عليه مثل: تأمل معي إلى العبارة التالية في النص (ويقوم بقراءتها) أو أنظر معي لقول الشاعر إن كان النص شعراً، أو تأمل قول الشاعر في البيت رقم...، أو يأمر التلميذ بقراءة البيت الذي يريد من خلاله الكشر عن الظاهرة النحو للوصول إلى درسه.

بعد قراءة المثال يشير الأستاذ إلى الظاهرة النحوية الموجودة في المثال (البدل - الفاعل - المبتدأ - الخبر - التمييز - الاختصاص...) ثم يبدأ في دراسة الظاهرة والتوسع فيها شيئاً فشيئاً بضرب الأمثلة، للوصول إلى القاعدة وعناصرها، ثم يقوم بتدوينها على السبورة.

ما يلاحظ هنا أن درس النحو يبدأ بظاهرة نحوية ثم يتواصل نموه شيئاً فشيئاً إلى أن يصل إلى كل عناصره فيكتمل نموه فهو شبيه بنمو الطفل الصغير الذي يتربي وليداً ويكبر خلقاً بعد خلق إلى أن يبلغ أشده وهذا يعين التلميذ على التدرج في التعليم ويقدر الحاجة وهذا ما أشار إليه كل من الجاحظ وابن خلدون - كما ذكرنا -

- **التطبيق:** بعد الانتهاء من أحكام القاعدة يأتي دور التطبيق الذي يطلق عليه تسمية: **إحكام موارد المتعلم وضبطها**، وقد قسم التطبيق في المنهاج إلى ثلاثة أقسام: **القسم الأول: في مجال المعارف:** وهو أمثلة يحاول الأستاذ من خلالها التأكد من المعارف التي اكتسبها التلميذ من خلال درسه كالإعراب مثلاً.

القسم الثاني: في مجال المعارف الفعلية: وهو مجموعة من التطبيقات التي يحول الأستاذ من خلالها مدى قدرة التلميذ على تطبيق درسه مثلا : كطلب إدخال (إنّ وأخواتها) على الجملة الإسمية للتأكد من حسن استعمالها.

القسم الثالث: في مجال إدماج أحكام الدرس: والهدف منه هو إدماج ما درسه في فقرات عن مواضيع حبذا لو تكون من وضعيات يعيشها التلميذ: كظاهرة تعاطي المخدرات في الوسط المدرسي، أو ظاهرة الهجرة السرية المتفشية في المجتمع وفي الوسط الشبابي خاصة، وهنا يطلب الأستاذ من الطالب تطبيق الدرس بحيث يكون الطلب مناسب للموضوع (الوضعية)، الإغراء والتحذير يناسب ظاهرة تعاطي المخدرات، الصفة أو النعت يناسب وصف المناظر الطبيعية وهكذا..

مثال تطبيقي من الكتاب المدرسي:

تطبيق (1):

الاحرف المشبهة بالفعل

ورد هذا الدرس في نص شعري بعنوان (وصف البرق والمطر - عبيد بن الأبرص -) مطلعاه:

يا مَنْ لِبَرْقِ أَيْبِتِ اللَّيْلِ أَرْقُبُهُ مِنْ عَارِضِ كَبِيَّائِ الصَّبْحِ لَمَّاحِ

يبدأ الدرس بعد دراسته دراسة أدبية لغوية بالطريقة السابقة:

عد إلى النص ولاحظ قول الشاعر: « كَأَنَّ فِيهِ عِشَارًا » ← الظاهرة النحوية

تعلمت أن الاحرف المشبهة بالفعل تدخل على الجملة الاسمية.

أكتشف أحكام الدرس:

1 - مأخوذ المثال من كتاب: الجديد في الأدب والنصوص والمطالعة الموجهة (للسنة الأولى ثانوي جذع مشترك آداب)، إعداد: حسين شلوف (م.ت.ت) - محفوظ كحوال (أ.ت.ت) - محمد خيط (أ.ت.ت)، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية الجزائر (2011-2012م)، ص: 11.

- استخرج الاحرف المشبهة بالفعل - لاحظ كلمة (عشارا) ما الذي نصبها- ماهو اسم كان؟ - ما معاني (كان)؟- وظف هذا المثال على باقي الاحرف؟- ماذا تلاحظ؟ - ماذا تفيد؟- ما معاني الاحرف المشبهة بالفعل؟ - كيف يأتي خبرها؟- متى يبطل عملها؟- ماهي العلامات الإعرابية التي تكون على الاسم والخبر بعد دخول ما الكافة؟

- أبني أحكام القاعدة: بضرب الأمثلة واستخراج أحكام القاعدة بالتدرج ثم تدوينها.

- أحكام موارد المتعلم وضبطها:

1- في مجال المعارف:

- استخرج مما يأتي الاحرف المشبهة بالفعل وعين اسمها وخبرها

(1) إن الله غالب أمره

(2) والله يعلم انك لرسوله

(3) ألا ليت الشباب يعود يوما

(4) كأنما صوتك صوت العنديل

2- في مجال المعارف الفعلية:

- ادخل الاحرف المشبهة بالفعل في الجمل التالية

• السماء ممطرة

• الله قوي

- استعمل كأنما في جملتين من إنشائك

3- في مجال إدماج المعارف

اكتب فقرة تتحدث فيها عن مزايا الطبيعة وجمالها في فصل الربيع مع توظيف ما يناسب من الاحرف المشبهة بالفعل⁽¹⁾

استنتاج عن تأثير الطريقة على المصطلح النحوي:

إن لهذه الطريقة أو النهجية المتبعة في تدريس النحو بفكرة المقاربة بالكفاءات تؤدي إلى جملة من التأثيرات عن المصطلح النحوي:

- من محاسنها أنها تربط المصطلح النحوي بالمعاني المعجمية والسياقية على السواء مما يوسع المتعلم في فهم المصطلح ويحيله إلى ربطه بالمعنى.

- تناول المصطلح النحوي داخل التركيبات يؤدي به إلى التسهيل من فهمه وربطه بالواقع اللغوي وعدم فصله عن الواقع والسليقة اللغوية.

- التطبيقات المتنوعة تؤدي إلى الفهم الجيد للمصطلح النحوي وبخاصة تطبيق الإدماج الذي يتعلم من خلاله التلميذ كيفية استعمال المصطلح وذلك بفهمه فهما دقيقا.

- زيادة ثروة التلميذ اللفظية واللغوية وذلك باستخدام الأمثلة المعطاة والتدريب على الاشتقاق واستخدام المعاجم لاستخراج المصطلحات المطلوبة.

- وضع القواعد النحوية والصرفية موضع التطبيق العملي قراءة ومحادثة وكتابة، وهو الغاية من تدريس النحو.

- هذه المنهجية تجعل مادة اللغة بمعانيها ومختلف فروعها في خدمة للمصطلح النحوي فتصبح موادا تطبيقية بدلا من النظري الذي يدخل الملل والسأم على التلميذ.

- تعويد التلاميذ على سماع الأساليب العربية الصحيحة وترديدها وتقليدها باستمرار، والإتيان بأمثلة مشابهة، وبذلك تكون حصة اللغة العربية تطبيقا لقواعد النحو العربي عن طريق التدريس والتقليد والممارسة.

¹ - ينظر نماذج من مذكرات تربوية لدروس اللغة العربية في الثانوي لمختلف المستويات.

- اختيار الأساليب التي ترتبط بحياة التلميذ وتتصل اتصالاً وثيقاً ببيئته وتعامله مع أفراد مجتمعه ومؤسساته هي السبب في ربط المصطلح بمختلف الوضعيات التي يعيشها التلميذ فتكون سهلة الفهم والاستخدام.

وعلى هذا فإن هذه الطريقة لو استغلت أحسن الاستغلال وحضرت لها الطاقات الفاعلة وربطت بواقع التلميذ وهيأت لها الوسائل اللازمة ستؤتي أكلها - بإذن الله تعالى - .

رابعاً: اضطراب المصطلح النحوي في المراحل التعليمية (المرحلة الثانوية أنموذجاً):

1- توزيع المصطلحات النحوية في كتب اللغة العربية في المراحل الثانوية:

السنة الأولى جذع مشترك آداب⁽¹⁾:

جزم المضارع بالأدوات التي تجزم فعلين - رفع المضارع و نصبه - المبتدأ والخبر وأنواعهما - كان وأخواتها - الأحرف المشبهة بالفعل - كاد وأخواتها - لا النافية للجنس - المفعول به - المنادى - المفعول المطلق - الحال - المفعول لأجله - العدد الأصلي والترتيبي - التمييز - النعت بنوعيه - التوكيد - البدل - الفعل ودلالاته الزمنية - المجرد و المزيد ومعاني حروف الزيادة - اسم الفاعل و صيغ المبالغة - اسم المفعول - الممنوع من الصرف - أسماء الزمان والمكان و الآلة - الصفة المشبهة.

- السنة الأولى جذع مشترك علوم⁽²⁾:

رفع المضارع ونصبه - جزم المضارع بالأدوات التي تجزم فعلين - بناء الفعل الماضي - بناء فعل الأمر - بناء الفعل المضارع - المفعول لأجله - التمييز

1- ينظر: المشوق في الأدب والنصوص والمطالعة الموجهة (للسنة الأولى ثانوي جذع مشترك آداب)

2- ينظر: المشوق في الأدب والنصوص والمطالعة الموجهة (للسنة الأولى ثانوي جذع مشترك علوم وتكنولوجيا)

- الحال - المفعول المطلق - المنادى - اسم الإشارة اسم الموصول - أسماء الاستفهام - أسماء الشرط.

- السنة الثانية آداب ولغات(1):

البناء و الإعراب في الأسماء - البناء والإعراب في الأفعال - التعجب - النسبة - أفعال المدح والذم - الاختصاص - التحذير والإغراء - أحرف التثنية والاستفتاح - مواضع كسر همزة "إن" - مواضع فتح همزة "أن" - تخفيف: إن، أن، كأن - الأحرف المشبهة بـ: ليس - الاستغاثة و الندبة - الترقيم - المصدر و أنواعه-أوزان المصدر الأصليّ: والثلاثيّ- مصادر الماضي غير الثلاثيّ- المصدر الدال على المرة و الهيئة - الاشتغال - التنازع - مواضع وجوب اقتران الخبر بالفاء - خصائص كان و ليس - أحرف العرض والتحضيض - الإعلال و الإبدال.

- السنة الثانية: علوم تجريبية- تسيير واقتصاد - تقني رياضي(2):

الممنوع من الصرف بعلة واحدة - الممنوع من الصرف بعلتين - أفعال التعجب - التحذير و الإغراء - "لا" النافية للجنس - الاختصاص - أوزان المبالغة - جواز تأنيث العامل للفاعل - وجوب تأنيث العامل للفاعل - امتناع تأنيث العامل للفاعل - التصغير - أفعال المدح و الذم.

- السنة الثالثة آداب ولغات(3):

الإعراب اللفظي و التقديري- إعراب المعتل الآخر - معاني حروف الجر- معاني حروف العطف - المضاف إلى ياء المتكلم - نون الوقاية - معاني وإعراب (إذا- إذا- إذ - حينئذ) - الجمل التي لها محل من الإعراب- الجمل التي لا محل لها

1- ينظر: الجديد في الأدب والنصوص والمطالعة الموجهة (للسنة الثانية ثانوي جذع مشترك آداب)، ص:3.
2- ينظر: الجديد في الأدب والنصوص والمطالعة الموجهة (للسنة الثانية ثانوي جذع مشترك آداب)، إعداد: بوبكر الصادق سعد الله (أ.ت.ث)- مصطفى هوارى(أ.ت.ث)، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية الجزائر(2009-2010م)، ص:3.
3- ينظر: اللغة العربية وآدابها: (السنة الثالثة من التعليم الثانوي)، للشعبتين: آداب وفلسفة، تأليف: دراجي سعدي-سليمان بوزيان- نجاة بوزيان- مدني شحامي- الشريف مريبيعي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية الجزائر(2010-2011م)، ص: 5-6.

من الإعراب - إعراب المسند والمسند إليه - أحكام التمييز و الحال - الفضلة وإعرابها - صيغ منتهى الجموع وقياسها - جموع القلة - البدل وعطف البيان - اسم الجنس الإفرادي والجمعي - أمّا، إمّا - معاني الأحرف المشبهة بالفعل - اسم الجمع - أي، أيّ، إي - كم، كأين، كذا - نونا التوكيد مع الأفعال.

- السنة الثالثة: علوم تجريبية - تسيير واقتصاد - تقني رياضي (1):

معاني وإعراب: (إذا - إذاً - إذن) - معاني وإعراب: (إذ - حينئذ) - الخبر وأنواعه - الجمل التي لها محل من الإعراب - الجمل التي لا محل لها من الإعراب - أحكام التمييز والحال - أحكام البدل وعطف البيان إعراب: (لو - لولا - لوما) - إعراب المتعدي إلى أكثر من مفعول.

2- ظاهرة اضطراب المصطلح النحوي في كتب المناهج التعليمية:

يحتاج النحو في زماننا إلى إعادة النظر في كل نواحيه التعليمية ويجدر بنا أن نغير من طريقة تلقينه للتلاميذ والطلبة على كافة المستويات، فهو غامض بالنسبة لهم يشكل عائقا في الفهم وبالتالي نفورا غريبا منه، لا سيما مصطلحاته الغامضة منه والمتداخلة من جهة أخرى، في زمن أصبح فيه النحو علما مستقلا بذاته يدرس وله أساتذة وتلاميذ، وتدعوننا تلك الحاجة إلى تدارك تلك الإشكالات التي جعلت النحو معقدا يتخبط في الكثير من العوائق التي تحول دون فهمه ومن بين تلك العوائق الخاصة بالمصطلح:

عدم كفاية الأمثلة التي تعين على فهم المصطلح فهما دقيقا، والاعتماد على المصطلح النحوي في حد ذاته هو المعين والمساعد في فهمه، ومما لا يخفى أن كثرة الشواهد والأمثلة والمقارنات التي يجريها المعلم والمتعلم في أثناء الدرس هي الأساس في فهمه وإدراك معانيه.

1- ينظر: اللغة العربية وآدابها: (السنة الثالثة من التعليم الثانوي)، للشعبتين: آداب وفلسفة، تأليف: دراجي سعيدي-سليمان بوزيان- نجاة بوزيان - مدني شحامي - الشريف مربيبي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية الجزائر (2009-2010م)، ص: 5-6.

التدريب على المصطلحات النحوية من خلال تمرينات الكتاب المدرسي التي لا تخلو منه تمرينات الموضوع في أي كتاب من كتب قواعد اللغة العربية المدرسية للمراحل كافة؛ دون التوسع فيها، وهذا لأن هذه التمرينات ليست إلا تطبيقاً لما درسه الطالب يحاول واضع الكتاب من خلالها تمكين الطالب من استيعاب المادة بالتطبيق العلمي، فراها تتضمن مصطلحات كثيرة كقوله: (استخرج الفاعل والمفعول به من الجمل الآتية، أو كوّن جملاً فيها الفاعل مثى... الخ).

تكرار المصطلح في مختلف مستويات التعليم، وهذا يكون على نوعين: تكرار المصطلحات في كتب المراحل، كتكرار مصطلح الاعراب والبناء في السنة الثانية والثالثة ثانوي⁽¹⁾. وقد يكون التكرار في كتاب صف ما وهذا وارد كثيرة، كتكرار مصطلح الرفع، النصب، الجر، الجزم، الفتحة، الضمة، الكسرة، السكون... الخ في كل كتاب من كتب قواعد اللغة العربية للمراحل كافة.

الولوج إلى المصطلح دون شرح في الكثير من الأحيان، إذ قد ترد بعض المصطلحات النحوية غير موضحة بحيث تمر على الطالب ويحفظها وهو لا يعرف معناها، فعلى سبيل المثال مصطلح (معاني وإعراب إذا وإذا وإذ) ورد ذكرها دون التطرق لبعض المعطيات السابقة التي يتعرض لها الطالب قبل السنة الثالثة ثانوي مما يحتاج إلى شرحها ليتسنى للطالب فهمها كظرف الزمان الذي عمدة معانٍ إذ وإذا. وعلى عكس ذلك قد يشرح الكتاب عدداً من المصطلحات في مواطن كثيرة من الكتاب، ولا تحتاج تلك المصطلحات إلى ذلك الشرح المكرر.

جعل المصطلحات النحوية عناوين الموضوعات والأبواب، وتوضح شمولية هذا الاستعمال في كتب النحو - القواعد - للمراحل كافة، إذ قسمت موضوعاتها على أبواب جعل عنوان كل باب منها مصطلحاً من مصطلحات النحو، فعلى سبيل المثال كتاب قواعد اللغة العربية للسنة الأولى ثانوي إلى (المبتدأ والخبر، الفاعل نائب الفاعل، الضمير، الاسم الموصول، اسم الإشارة... الخ).

1 - ينظر: في محتويات برنامج السنة الثانية والثالثة ثانوي

جعل المصطلح النحويّ - الوارد عنوان باب - المادة الرئيسة للمجال الثاني من مجالات الكتاب المدرسي وهو (العرض) أي الشرح، إذ يحاول الكتاب إيضاحه وشرحه من خلال الأمثلة الواردة في المجال الأول (النص) بعد تحليلها والتعليق عليها.

ذكر المصطلح النحويّ في الأمثلة والتمارين المحلولة التي تأتي في نهاية شرح الموضوع وقبل البدء بالتطبيق.

ورود المصطلح في خلاصة الموضوع، وهذا ما شاع في كتب النحو المدرسي، إذ لا يخلو موضوع من موضوعاتها من خلاصة يؤتى بها تلخيصاً للقواعد التي وردت في عرض الموضوعات (شرحه)، وقد تسمى هذه الخلاصة بـ(القواعد)، وفي كثير من الأحيان نرى واضع الكتاب يبدأها بالمصطلح النحويّ ويأتي بعده بتعريفه ثم بالأمثلة الموضحة لذلك، ومن هذا على سبيل المثال ما ورد في كتاب قواعد اللغة العربية للسنة الثالثة ثانوي (تطبيقات)⁽¹⁾.

إبراز المصطلحات وتميزها فنياً بتقديمها بحروف أحجامها تختلف عن أحجام حروف الكلمات الأخرى، أو لون حبر يختلف عن لون حبر الكلمات الأخرى أو وضعها بين علامات تنصيص، أو وضع خطوط تحتها ليشرح الطالب بأهميتها وتميزها من بقية الكلمات، وهذه سمة شائعة في كتاب النحو المدرسي.

ملاحظة الترابط والتكامل في تقديم المصطلحات، إذ يقدم مصطلح الفاعل أولاً ثم يؤتى بمصطلح المفعول به فالنائب عن الفاعل مثلاً وهكذا بالنسبة لبقية المصطلحات.

1 - ينظر: كتاب الأعمال التطبيقية في النحو والصرف والبلاغة والعروض (مقرر السنة الثالثة ثانوي) جميع الشعب: (2004-2005م)

حائفة

خاتمة:

وبعد... فإنه من خلال بحثنا هذا المتواضع الذي نرجو أن نكون قد وفقنا
الكشف عن خبايا المصطلح النحويّ فإننا نخلص إلى بعض النقاط التي يكون مفيدا
أن نركز عليها و يمكن جملها فيما يلي:

- إن المصطلح النحويّ العربي صورة صحيحة للمناخ الفكري العام في الحياة
الإسلامية، وبخاصة في مراحل النشأة. وإن هذا المناخ قد زوده بالاتجاه (النقلي)
الذي أفضى إلى منهج (وصفي) واضح وزوده بالاتجاه (العقلي) الذي أدى به إلى
عدم الوقوف عند الوصف المحض و إنما تعداه إلى تفسير ظواهر العربية تفسيراً
عقليا و الذي لا شك فيه أن النحو العربي - بامتلاكه هذين الاتجاهين - استطاع أن
يثبت صلاحية لا تتكرر في فهم طبيعة العربية.

- من الخطأ الشديد أن نتصور أن العرب كانوا يعيشون في عزلة محكمة و أنهم
أنشئوا من العلوم ما أنشئوا بدوافع داخلية بحتة، و بقدراتهم وحدهم. و من الخطأ
الشديد أيضا أن نتصور أن العرب كانوا (نقلة) ليس لهم من الفضل إلا نقل ما
اتصلوا به من علوم الأوائل لكن الصواب أن النشاط العلمي عند العرب لا ينبغي أن
يدرس في إطار الأصالة أو التقليد و إنما يدرس في إطار التملك الذي يعني أن
هؤلاء الناس قد بدؤوا حركة علمية و اتصلوا بما كان قبلهم و تملكوها. و تصرفوا
فيه تصرفا جديدا و من هذا الوادي (النحو العربي عند أرسطو).

- إن أهم ما في المصطلح النحويّ أنه نحو شامل يدرس الصوت و النظم و الدلالة
و هو بذلك يصل اللغة و يعالج الشكل و المعنى، و هذه الخصائص هي التي يهدف
إليها التطور الحديث في دراسة اللغة لكن ذلك كله لا يفي أن النحو العربي نحو
تقليدي يتميز بما تميز به الأنحاء التقليدية في كثير من اللغات.

- من العلوم أن المصطلح النحويّ نشأ نشوءً عفويا ثم بدأ في التطور فدخل عليه
التفكير المنطقي الفلسفي فارتبط تكوينه بهما خضوعاً لدراسة المنهج الوصفي يقدم
ملاحظاته و اهتماماته و دراساته إلى المنهج المعياري فهذا الأخير ببياناته وإبداعاته
هي من نتائج المنهج الوصفي الذي يصف الظاهرة و يدرس مختلف جوانبها

وصفاتها ثم يقدم بعد ذلك إلى المنهج المعياري الذي بواسطته تقعد القاعدة وتصنع صنعا صحيحا.

- مر المصطلح النحوي بالمرحلة الشفوية ثم المرحلة الكتابية ليتشكل في زمن سيبويه فقويت شوكته في زمنه وتشابكت معانيه واتسعت الدراسات فيه فبدأ في عملية التعدد والاضراب في زمن المدرسة البصرية، ثم زاد اتساعا ودلالة في زمن المدرسة الكوفية التي أسست منهجها على قواعد النحو البصري وبدأت مرحلة استقراره واستكمال مصطلحاته ليكون في آخر الرحلة الكوفية مكتمل البناء، ولكن رغم ذلك بقي هاجس التعدد الاضطراب قائما لاسيما من خلال الاختلافات بين المدرستين الكوفية والبصرية.

- مهما يكن فإن دراسة المصطلحات النحوية أمرٌ ضروري لمن يريد أن يعطي صورة واضحة عن البحث النحوي في أي مرحلة من مراحل تدرُّج علم النحو، وبخاصة أننا لا نجد في المكتبة النحوية في عصرنا الحاضر بحثاً عن هذا الجانب المهم من الدراسة النحوية، فإذا أردت أن تبحث عن مدلول أي مصطلح نحوي فلا بد أن ترجع إلى المؤلفات النحوية في العصور التي خلت وما أكثرها _ حتى تظفر ببيغيتك.

- لا شك أن كثيرا من المصطلحات النحوية لم تتغير منذ أن أطلقها النحاة الأوائل الذين وضعوا أسس هذا العلم، ولم يختلف النحاة في استعمالها، وبخاصة تلك المصطلحات التي أطلقت على الأبواب الرئيسية في النحو، كالفاعل، والمفعول، والمبتدأ، والاسم، والفعل، وما أشبه ذلك، فإن جوهرها يظل واحداً وإن اختلفت طرائق التعبير، وظلت كثرة بالغة منها محل اختلاف، وبخاصة فيما بين أصحاب المدرستين الكوفية والبصرية.

- إن التيسيرات النحوية في العصر الحديث لم تأت بتغيرات في صياغة المصطلحات لأنها تأثرت بالدراسات القديمة إلا ما ندر منها كمصطلحات تمام حسان في ضوء نظرية القرائن، لكنها غيرت بعض المفاهيم في بعض المصطلحات وبخاصة في جانب تأثرها بالثورة على العامل ونظريته التي نادى بها الكثير من

نحاة عصرنا، كما أن هذه التسيارات لم تجد صدى في الواقع لأنها زادت من تعقيد النحو وتعدد مصطلحاته واضطرابها مما زاد من تشابك وتعدد المصطلح فخلق لذلك تبرة للنحو القديم فجعله متربعا على عرش الدراسات النحوية بدون منازع وكانت حائلا دون تطبيق النحو في العصر الحديث.

إن المناهج التعليمية الحديثة حجت بين النحو والمعنى بشكل واضح وجلي مما أدى إلى تفريقه عن اللغة فأصبح غاية النحو تعليمية بحتة ومادة منعزلة ومجردة لا تدرس من أجل حفظ اللسان من الخطأ بل لاكتساب المعلومات وتخزينها دون تطبيقها في الواقع، أما ربط النحو بالنصوص الواردة بتركيبية معاني يؤدي إلى فهم النحو ودقة مصطلحاته، وقد حاولت فكرة المقاربة بالكفاءات في إطار إصلاح المنظومة التربوية في عصرنا الوصول إلى هذا الغرض إلا أنه لم يحضر لها رجالها القائمين على تصورات ذهنية فكيف بالمتعلم إذاً.

كثرة التطبيقات النحوية في العصر الحديث وربطها بالواقع في ظل المقاربة بالكفاءات يؤدي إلى القضاء على التعقيدات النحوية والاضطرابات في المصطلح النحوي وبالتالي يفضي إلى السليقة اللغوية القديمة المنشودة، والصياغة الدقيقة للمصطلح النحوي في بناء القاعدة تؤدي إلى بناء صحيح لبقيتها وفهم جيد لمحتوى الدرس، ثم ربط النص بالأمثلة المختلفة يؤدي إلى سهولة توظيف المصطلح داخل التراكيب مهما كانت طبيعنا.

إن البحث في المنهج يقتضي علماء العربية خاصة أن يبحثوا أيضا عن (المنهج) و الذي لا شك فيه أن يقتضي حركة نشطة في دراسة (التراث) النحوي دراسة علمية صحيحة و في ملاحقة التطور الحديث في الدرس اللغوي و المشاركة فيه، و النحو العربي القديم بما يقوم عليه من أسس لغوية و إنسانية صحيحة صالح أن يمدنا الآن بأصول المنهج الذي نبتغيه.

كل طرق تدريس النحو هي طرق جيدة إذا أحسن استغلالها وهيات لها الظروف المناسبة والامكانات اللازمة، وبخاصة في العصر الحديث مع التغيرات والتطورات الحضارية في ظل العولمة وعالم المعلوماتية بشتى طرقه من أنترنت

وفضائيات ... والحق أن هناك الكثير من المحاولات الجيدة التي لم تر النور ولا يكون ذلك لآ بالنهوض الجماعي لرفع لواء اللغة العربية وتكاثف الجهود الذي لا شك إن حدث فإن لغة القرآن قوية بذاتها فكيف بمن يحاول رفعها.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع

أولا : القرآن الكريم (برواية حفص).

ثانيا: المصادر والمراجع.

- 1) إبراهيم السامرائي: المدارس النحويّة (أسطورة وواقع)، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط1(1987م)
- 2) إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، المكتبة الأنجلو المصرية، ط3، سنة (1956م)
- 3) إبراهيم أنيس: من أسرار العربية - مكتبة الأنجلو مصرية ط 7 (1977 م).
- 4) إبراهيم سلامة: بلاغة أرسطو بين العرب و اليونان والمكتبة الأنجلو مصرية، ط2، د ت.
- 5) إبراهيم عبد الله رفيدة: النحو وكتب التفسير، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس(1984م).
- 6) إبراهيم عبد الله: الثقافة العربيّة والمرجعيات المستعارة (تداخل الأنساق و المفاهيم و رهانات العولمة)، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان، ط1 (1999م).
- 7) إبراهيم عبد الله الثقافة العربيّة والمرجعيات المستعارة، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان، ط1، (1999م).
- 8) إبراهيم مصطفى: إحياء النحو، تق: طه حسين، القاهرة (1413هـ-1992م) ط2.
- 9) ابن أم قاسم المرادي: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، تح: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي (القاهرة)، ط1، (1422هـ-2001م)
- 10) ابن تيمية: الرد على المنطقيين، دار المعرفة - بيروت.
- 11) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح عبد الحميد محي الدين، القاهرة، (1948م).

- 12) ابن عقيل: حاشية الخضري على شرح ابن عقيل.
- 13) ابن مضاء القرطبي: كتاب الرد على النحاة، تح: شوقي ضيف، دار المعارف - القاهرة.
- 14) ابن منظور: لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر - بيروت (1374-1955م)
- 15) أبو البركات بن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر للطباعة والنشر (1995م).
- 16) أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط: معاني القرآن، تح: عبد الأمير محمد أمين الورد، عالم الكتب، بيروت لبنان.
- 17) أبو الحسن علي بن إسماعيل ابن سيده: المخصص، دار الكتب العلمية - بيروت لبنان.
- 18) أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين، تح: أبو الفضل إبراهيم، مكتبة النهضة القاهرة، (1955م).
- 19) أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب: مجالس ثعلب، تح: عبد السلام هارون، ط2 مصر (1960م).
- 20) أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، الأوقاف المصرية (1415هـ - 1994م).
- 21) أبو الفتح عثمان بن جني: الخصائص، محمد علي النجار، بغداد: دار الشؤون الثقافية، ط4، (1990م).
- 22) أبو القاسم الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، مازن المبارك، بيروت، دار النفائس، ط4، (1982م).
- 23) أبو القاسم بن أحمد الزمخشري: أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1 (1419هـ - 1998م)
- 24) أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه: الكتاب، تح عبد السلام هارون، ط2، (1988م)، القاهرة، مكتبة الخانجي.

- 25) أبو بكر الأنباري محمد بن القاسم: الأضداد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية (1407هـ-1987م)
- 26) أبو بكر الأنباري محمد بن القاسم: إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، تح: محيي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية - دمشق (1390هـ - 1971م)
- 27) أبو بكر الأنباري محمد بن القاسم: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح: إبراهيم السامرائي، مكتبة الأندلس-بغداد - (1405هـ - 1985م)
- 28) أبو جعفر محمد بن الحسين الطوسي: التبيان في تفسير القرآن، تح: أحمد حبيب العاملي، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت(1409هـ)
- 29) أبو حيان التوحيدي: الإمتاع و المؤانسة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الرعاية، الجزائر(1989م)
- 30) أبو حيان التوحيدي: المقابسات، تح: محمد توفيق حسني، مطبعة الإرشاد،(1970م)
- 31) أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء: معاني القرآن، تح: أحمد يوسف نجاتي-محمد علي النجار - عبد الفتاح شلبي، ط2، مطابع الهيئة المصرية للكتاب، مصر(1980م).
- 32) أبو عبد الله بن محمد النيسابوري: المستدرک علی الصحیحین، تح: عبد السلام علوش، دار العرفة - بيروت - (1418هـ-1998م).
- 33) أبو عثمان عمرو بن بحر(الجاحظ): البيان التبيين، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة (1948م).
- 34) أبو عثمان عمرو بن بحر(الجاحظ)، رسائل الجاحظ، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي - مصر، ط1 (1979م)
- 35) أبو محمد بن الحسين الفراء البغوي: معالم التنزيل المسمى (تفسير البغوي)، ضبط: عبد السلام علي شاهين، ط1، دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - (1415هـ-1995م).

- 36) أبو محمد بن مسعود البغوي: تفسير البغوي (معالم التنزيل)، تح: (محمد عبد الله النمر - سليمان مسلم الحرش - عثمان جمعة خميرية)، دار طيبة للنشر والتوزيع - الرياض (1412هـ -)
- 37) أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطلوسي: الحل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل، تح: سعيد عبد الكريم سعودي، وزارة الثقافة والاعلام - العراق (1980م)
- 38) أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري: شرح قطر الندى وبل الصدى، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان)، ط4 (1425هـ - 2004م)
- 39) أبو نصر الفارابي: إحصاء العلوم تح: عثمان أمين - الأنجلو المصرية، د ط ، د ت.
- 40) أبو نصر الفارابي: إحصاء العلوم تح: عثمان أمين - الأنجلو المصرية، د ط، د ت.
- 41) أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم، تح نعيم زرزور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، (1983م).
- 42) أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، الدار العربية للعلوم ناشرون - بيروت لبنان، ط1 (1431هـ - 2010م)
- 43) أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، دار الأمان - الرباط، المملكة المغربية ط1 (1427هـ - 2006م).
- 44) أحمد بن حار الله الزهراني: اتجاهات تجديدين النحو عند المحدثين، مكتبة الرشد (ناشرون) - الرياض، ط1 (1428هـ - 2007م)
- 45) أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد (ط. العلمية)، تح: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، ط1، (1404هـ - 1983م)
- 46) أحمد سليمان ياقوت: الكتاب بين المعيارية و الوصفية - دار المعرفة الجامعية (1997م).

- (47) احمد سليمان: ظاهرة الإعراب في النحو العربي و تطبيقها في القرآن الكريم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر (1983م).
- (48) أحمد عبد الستار الجوارى: نحو التيسير دراسة ونقد منهجي، العراق، مطبعة المجمع العلمي العراقي، (1984 م)
- (49) أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات، دار الفكر دمشق، ط2(2008 م).
- (50) أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، القاهرة، عالم الكتب، ط3، (1985م).
- (51) امرؤ القيس: ديوان امرئ القيس، تح: عمر فاروق الكباع، شركة الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر - بيروت لبنان.
- (52) البحتري: ديوان البحتري: تح: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف - مصر، ط3.
- (53) برجشتراسر: التطور النحويّ للغة العربية، تر: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي(القاهرة)، ط2(1414هـ-1994م).
- (54) بكر أبو زيد: المواضع في الاصطلاح، ط1، وزارة الإعلام السعودية (1405هـ).
- (55) تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية (1990م).
- (56) تمام حسان: الأصول، دراسة إيسيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، النحو - فقه اللغة - البلاغة، دار الشؤون الثقافية العامة - العراق بغداد (1988م).
- (57) تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، مصر - القاهرة، ط3، (1998م).
- (58) تمام حسان: اللغة بين المعيارية و الوصفية، مكتبة الانجلو المصرية، د ت.
- (59) الجرجاني علي بن محمد السيد الشريف: معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع ، د ط.
- (60) جلال الدين السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر: الاقتراح في أصول النحو، تح: عبد الحكيم عطية - علاء الدين عطية، دار البيروتي، دمشق، ط2(1426هـ-2006م)

- (61) جلال الدين السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، مطبعة السعادة، (1326 هـ).
- (62) جلال الدين السيوطي: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: عبد العال سالم مكرم، (بيروت، دار البحوث العلمية).
- (63) جميل عبدالله عويضة: الفراء وأثره في المدرسة الكوفية، (1429هـ - 2008م)، دط.
- (64) حسان بن ثابت (رضي الله عنه): ديوان حسان بن ثابت، تح: عبد أمهنا، دار الكتب العلمية (1414هـ - 1994م).
- (65) حمد عوض القوزي: المصطلح النحويّ (نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري)، عمادة شؤون المكتبات-جامعة الرياض، ط1 (1401هـ/1981م)
- (66) خديجة الحديثي: المدارس النحويّة، (دار الأمل-الأردن -) ط3، (1422هـ - 2001م)
- (67) خليل أحمد عمايرة: في نحو اللغة و تراكيبيها، عالم المعرفة جدة المملكة العربية السعودية، ط1، (1984م).
- (68) الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح: مهدي المخزومي ورفيقه، العراق: دار الرشيد للنشر (1981م).
- (69) الخنساء: أنيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء، تح: الأب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين بيروت (1896م).
- (70) الراوي طه: نظرات في اللغة والنحو، منشورات المكتبة الأصلية، بيروت، ط1.
- (71) الساقى فاضل مصطفى: أقسام الكلام العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، (1977م).
- (72) سعيد الأفغاني، في أصول النحو العربي، المكتب الإسلامي، دط، (1407هـ - 1987م).
- (73) سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط1 (1988م - 1408هـ)

- 74) شوقي ضيف: التطور والتجديد في الشعر الأموي، دار المعارف- كورنيش النيل - القاهرة، ط7.
- 75) شوقي ضيف: المدارس النحويّة، دار المعارف بمصر، كورنيش النيل القاهرة(1911م).
- 76) شوقي ضيف: تجديد النحو، دار المعارف، القاهرة، ط5.
- 77) شوقي ضيف، تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً مع نهج تجديده، القاهرة، دار المعارف، ط2، (1993م).
- 78) طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، دار الكتب العلمية- بيروت-، ط1، (1405هـ-1985م).
- 79) طلال علامة: تطور النحو في مدرستي: البصرة والكوفة، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1(1993م).
- 80) عبد الراجحي: النحو العربي و الدرس الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت(1979م)
- 81) عبد الرحمن بدوي: الموسوعة الفلسفية، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- 82) عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي الزجاجي، أبو القاسم، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل - بيروت، ط2، (1407 هـ - 1987 م).
- 83) عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، تح: محمد درويش، ط01 (2004).
- 84) عبد الفتاح الحموز: الكوفيون في النحو والصرف والمنهج الوصفي المعاصر، دار عمار دار البيارق، ط2 (1418هـ-1997م).
- 85) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، تح: محمد رشيد رضا، دار المعارف، بيروت، لبنان، (1982م).
- 86) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تح: رشيد رضا، دار المعارف- بيروت لبنان (1982م).
- 87) عبد الكريم اليافي: دراسات فنية في الأدب العربي، مكتبة لبنان ناشرون، ط1

- (1996م).
 88) عبد اللطيف بن أبي بكر الشَّرْجِي الزَّبِيدِي: ائتلاف النصر في ائتلاف نحاة الكوفة والبصرة، تح: طارق الجنابي، مكتبة النهضة العربية، بيروت (1407هـ-1987م).
 89) عبد الله بن حمد الخثران: مصطلحات النحو الكوفي، هجر للطباعة والتوزيع (1411هـ-).
 90) عبد الوارث مبروك: في إصلاح النحو العربي، دار القلم للنشر والتوزيع - القاهرة-، ط1 (1406هـ- 1975م)
 91) عبده الراجحي: النحو العربي والدرس الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، (1979م).
 92) عبده الراجحي: دراسات في علم اللغة، دار المعارف، (1969م).
 93) علي القاسمي: مقدمة في علم المصطلح، مكتبة النهضة المصرية، ط2، القاهرة (1988م).
 94) علي بن حمزة الكسائي: معاني القرآن، أعاد بناءه وقدم له: عيسى شحاته عيسى، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة (1998م)
 95) علي بن محمد الشريف الجرجاني: التعريفات، مكتبة لبنان، ط1 (1985م)
 96) علي جواد الطاهر: أصول تدريس اللغة العربية، دار الرائد العربي بيروت لبنان، (1404هـ-1974م).
 97) علي زوين: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، (1986م).
 98) علي عبد الواحد وافي: علم اللغة، القاهرة، دار نهضة مصر، ط9.
 99) غانم قدوري الحمد: أبحاث في العربية الفصحى، دار عمار الأردن، ط1 (1426هـ-2005م).
 100) فتحي عبد الفتاح الدجني: أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو العربي، (وكالة المطبوعات)، ط1 (1974م).

- 101) كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، تر: عبد الحلیم النجار، دار المعارف، ط2، (1968م).
- 102) كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحلیم النجار، دار المعارف، ط2 (1968م)
- 103) كمال بشر: دراسات في علم اللغة، دار المعارف القاهرة (1969م).
- 104) محسن عبد الحميد: المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري، ط1 (1404هـ).
- 105) محمد ابراهيم عبادة: معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية، مكتبة الآداب (القاهرة)، ط1 (1432هـ-2011م)
- 106) محمد أبو الفرج: المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، دار النهضة العربية، ط1، (1966م).
- 107) محمد أحمد بن طباطبا العلوي: عيار الشعر، تح: عباس عبد الساتر - نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط2 (1426هـ - 2005م)
- 108) محمد الطنطاوي: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، دار المعارف - كورنيش النيل - القاهرة، ط2.
- 109) محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، دت، مؤسسة الرسالة (1422هـ-2001م)
- 110) محمد بن إسحاق النديم: الفهرست، تح: رضا تجدد، دط.
- 111) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري: صحيح البخاري، تح: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير دمشق.
- 112) محمد بن الحسن الزبيدي أبو بكر: طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار المعارف - مصر)، ط2.
- 113) محمد بن حسن الزبيدي أبو بكر: لحن العوام، تح: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، ط2، (1420هـ - 2000م)
- 114) محمد حسين الصغير: نحو التجديد في دراسات الدكتور الجوارى، مطبعة

- المجمع العراقي، العراق (1990 م).
- (115) محمد حماسة عبد اللطيف: النحو و الدلالة، منشورات دار العلوم القاهرة، ط1، (1983م).
- (116) محمد سعد: مباحث التخصيص عند الأصوليين والنحاة، منشأة المعارف، الإسكندرية.
- (117) محمد علي جمعة: المصطلح الأصولي ومشكلة المفاهيم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي - القاهرة، ط1، (1417 هـ - 1996 م).
- (118) محمد فتحي الشنبطي: أسس المنطق والمنهج العلمي، دار النهضة العربية، بيروت، د ط، (1970م).
- (119) محمد فتحي الشنبطي: أسس المنطق والمنهج العلمي، دار النهضة العربية، بيروت، د ط، (1970م).
- (120) محمد محمد عبد العليم دسوقي: موروثنا البلاغي والأسلوبية الحديثة دراسة.. وموازنة، دار اليسر بالقاهرة، دط، دس.
- (121) محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تح مصطفى حجازي، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب.
- (122) محمود أحمد السيد: أساسيات القواعد النحوية مصطلحا وتطبيقا، الهيئة العامة السورية للكتاب - سوريا، ط3(2011م).
- (123) محمود السمران: علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي دار المعارف، (1962م)
- (124) محمود فهمي حجازي: علم اللغة العربية (علم اللغة العربية مدخل تاريخي مقارنة في ضوء اللغات و التراث و اللغات السامية)، الكويت (1973م).
- (125) مصطفى صادق الرافعي: وحي القلم، تح: درويش الجويدي، المكتبة العصرية بيروت (2002م).
- (126) منى الياس: القياس في النحو، دار الفكر - دمشق سوريا، ط1(1985م)
- (127) مهدي المخزومي: في النحو العربي (نقد و توجيه)، دار الرائد العربي - بيروت، ط2، (1406 هـ - 1986 م)

- (128) مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة (ومنهجها في دراسة اللغة والنحو)، مكتبة مصطفى البابي، ط2 (1377هـ - 1958م)
- (129) نايف معروف: خصائص العربية وطرائق تدريسها، دار النفائس، بيروت، ط1 (1405هـ - 1985م)
- (130) يوخنا مرزا الخامس: موسوعة المصطلح النحويّ (من النشأة إلى الاستقرار)، دار الكتب العلمية - بيروت - ط1، (1433هـ - 2012م).
- (131) يوسف غازي: مدخل إلى الألسنة، دمشق، منشورات العالم العربي الجامعية، ط1، (1985م).

ثالثا: المجلات والدوريات:

- (132) أحمد العلوي: أسس منهج البحث في اللغويات، نقلا عن مجلة المنعطف العدد 2 سنة (1992م) - مجلة تصدر بالمغرب -
- (133) جميل عيسى الملائكة: تقييس المصطلح و توحيدده في العالم العربي: المبادئ و الطرائق، مجلة المجمع العلمي العراقي، عدد 41 (1410هـ - 1990م).
- (134) جواد سماعنة: المعجم العلمي المختص (المنهج والمصطلح)، مجلة مجمع دمشق، م4/ع75، (2000م)
- (135) جورج ساجر ترجمة جواد سماعنة: نظرية المفاهيم في علم المصطلحات، مجلة اللسان العربي: ع 47، (1999م).
- (136) جورج ساجر: المصطلحية والمعجم التقني، ترجمة محمد حسن عبد العزيز، في مجلة " اللسان العربي " ، ع 42 (1996م).
- (137) حسين والي: سبيل الاشتقاق بين السماع والقياس، مجلة مجمع القاهرة، ع2، 1935.
- (138) خالد بن عبد الكريم بسندي: نظرية القرائن في التحليل اللغوي، مقال منشور في مجلة، مجلة اتحاد الجامعات العربية للأداب، العدد: 02، المجلد 04 (2007م).
- (139) زهير غازي زاهد: قضية تيسير النحو، مقال في (مجلة الذخائر)، العدد: 17-18 (2004م).

- (140) زهير غازي زاهد: قضية تيسير النحو، مقال في (مجلة الذخائر)، العدد: 17-18 (2004م).
- (141) شرقي رحيمة - بوساحة ناجي: بيداغوجية المقاربة بالكفاءات في الممارسة التعليمية، مقال منشور في : مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية، عدد خاص: ملتقى التكوين بالكفايات في التربية، جامعة قاصدي مرباح .ورقلة (الجزائر)
- (142) عبد السلام المسدي: المصطلح النقدي، مؤسّسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر و التوزيع- تونس، د ط، 1994م، نقلا عن مجلة علامات في النقد الأدبي.
- (143) علي أكرم قاسم و حسن أسعد محمد: المصطلح النحو الفرائي الكوفي في لسان العرب: مقال منشور في مجلة (دراسات تربوية)، العدد: 07 (تموز: 2009)، نينوى - العراق
- (144) علي القاسمي: عبد الرزاق الكاشاني وإسهامه في تطوير المعجمية العربية، مجلة " دراسات مصطلحية " العدد 1 (2001).
- (145) علي توفيق الحمد: في المصطلح العربي (قراءة في شروطه وتوحيده)، مجلة الخليل للبحوث - العدد 01 - 2005
- (146) عوض بن حمد القوزي: جهود الخليل في صناعة المصطلحات النحويّة، مقدم إلى (ندوة الخليل بن أحمد الفراهيدي في جامعة آل البيت بالتعاون مع سفارة سلطنة عُمان في الأردن)، (1427هـ-2006م)
- (147) غانم قدوري الحمد: النحو العربي قبل أبي الأسود الدؤلي، مجلة الحكمة، العدد 11، (1417هـ)
- (148) فاضل صالح السامرائي: الجملة العربية والمعنى، دار ابن حزم، ط1،
- (149) لطروش الشارف: قسم اللغة العربية وآدابها مستغانم، مقال للأستاذ: ألقاه في الملتقى الوطني لقضايا النحو، الواقع والآفاق في: 16-17/05/2005، قسم اللغات والآداب، جامعة ابن خلدون (تيارت).
- (150) محمد صاري: تيسير النحو: موضة أم ضرورة؟ بحث منشور في أعمال

- ندوة تيسير النحو، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2001م.
- (151) محمود إبراهيم كايد : "المصطلح ومشكلات تحقيقه" مجلة التراث العربي، مجلة فصل، (دمشق) العدد97، السنة الخامسة والعشرون، رمضان 1426.
- (152) محمود عبد الله جفال: المصطلح اللغوي عند ابن جني في كتاب الخصائص مصدره ودلالاته قسم اللغة العربية - مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ع71.
- (153) محمود فهمي حجازي: علم المصطلح، مجلة مجمع القاهرة (م59)، 1986م.
- (154) ممدوح خسارة: إشكالية الدقة في المصطلح العربي، مجلة التعريب، ع7، (1994م)
- (155) ناصر لوحيشي: الدرس النحويّ، مشكلاته ومقترحات تيسيرية، بحث منشور في كتاب أعمال ندوة تيسير النحو، الجزائر، المجلس الأعلى للغة العربية، (2001م).

رابعا: مراجع إلكترونية:

- (156) عبد الكبير الحسني: إشكالية المصطلح اللساني الحديث، منشور على شبكة النبا المعلوماتية: (www. annabaa. Org) بتاريخ: 2011/05/04م على الساعة:00:00.
- (157) عصام كاظم الغالبيّ: كتاب إحياء النحو للأستاذ إبراهيم مصطفى (تحليل ونقد)، مقال منشور في موقع شبكة صوت العرب (www.voiceofarabic.net)، بتاريخ: 2011/05/09 على الساعة:14:01.
- (158) علي القاسمي: المصطلحية: علم المصطلح وصناعة المصطلح، منشور في منتديات عتيّدة: (www.atida.org) بتاريخ: 2009 /01/ 27م على الساعة:00:00.
- (159) فهد عبدالعزيز محمد العبدّه: منهج كتاب سيبويه وكتاب التصريف والمفصل والأصول والجمال واللمع والافية ابن مالك والتصريف الملوكي والشفافية (مقال منشور على الموقع (http://faculty.ksu.edu.sa) بتاريخ: 2008/23/8

- الساعة: 10:23)
- 160) محمد صاري: واقع تدريس القواعد النحويّة في مراحل التعليم العام (دراسة تقويمية)، مقال منشور بمنشورات التعلّم الثاني (http://www.p48bac.com/vb/archive) بتاريخ: 2011/09/28 على الساعة: 01:52.
- 161) محمد عبد اللطيف: دعوات التجديد والتيسير في اللغة العربية، مقال منشور على الموقع (http://www.alwaraq.net)، بتاريخ: 2008/03/01 على الساعة: 13:21.
- 162) محمد عبد اللطيف: دعوات التجديد والتيسير في اللغة العربية، مقال منشور على الموقع الإلكتروني: (http://www.alwaraq.net)، بتاريخ: 2008/03/01 على الساعة: 13:21.
- 163) مصطفى بن الحاج: تدريس نشاطات اللغة العربية وآدابها وفق طريقة المقاربة بالكفاءات، بحث مختصر ومنقول من موقع (منتدى حدائق اللغة): (http://daifi.montadarabi.com/t937-topic)، بتاريخ: 2009/03/22م، على الساعة 15:15.
- 164) مصطفى بن الحاج، مقال بعنوان: طرائق التدريس في ضوء المقاربة بالكفاءات، منشور على موقع التعليم الثانوي بالجزائر (http://www.djelfa.info/vb) بتاريخ: 2014/02/05، على الساعة: 11:42.
- 165) مصطفى طاهر الحيادة: مصطلحاتنا اللغوية بين التعريب والتغريب كلية المعلمين - حائل - السعودية، مقال منشور على الموقع الإلكتروني لمجمع اللغة العربية الأردني (http://www.majma.org)، بتاريخ: 2009/02/10م على الساعة: 00:36.
- 166) الموسوعة الحرة - ويكيبيديا - (http://ar.wikipedia.org).

خامسا: مراجع المناهج المقررة:

- 167) الجديد في الأدب والنصوص والمطالعة الموجهة (للسنة الثانية ثانوي جذع مشترك آداب)، إعداد: حسين شلوف (م.ت.ت) - محفوظ كحوال (أ.ت.ت) - محمد خيط (أ.ت.ت)، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية الجزائر (2011-2012م).
- 168) كتاب الأعمال التطبيقية في النحو والصرف والبلاغة والعروض (مقرر السنة الثالثة ثانوي) جميع الشعب: من إعداد: (عادل بورزاق - كريمة حسون - الزهرة سعيداني - الزهرة حيمر - الأخضر فراح - نصيرة شعواطي)، إشراف: (آمنة أشلي "م.ت.ت" - مسعودي إبراهيم "م.ت.ت")، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية (2004-2005م)
- 169) اللغة العربية وآدابها: (السنة الثالثة من التعليم الثانوي)، للشعبتين: آداب وفلسفة، تأليف: دراجي سعيدي-سليمان بوزيان - نجاه بوزيان - مدني شحامي- الشريف مربيبي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية الجزائر (2010-2011م).
- 170) اللغة العربية وآدابها: (السنة الثالثة من التعليم الثانوي)، للشعبتين: آداب وفلسفة، تأليف: دراجي سعيدي-سليمان بوزيان - نجاه بوزيان - مدني شحامي- الشريف مربيبي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية الجزائر (2009-2010م).
- 171) المختار في الأدب والنصوص (مقرر السنة الثانية ثانوي - الفرع الأدبي): الإعداد: ساعد العلوي-بدر الدين بن تريدي-الأخضر مراح-عادل بورزاق، إشراف: محمد العكي: م.ت.ت - آمنة أشلي: م.ت.ت، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية (طبعة منقحة: 2001-2002م).
- 172) المختار في القواعد والبلاغة والعروض (مقرر السنة الثانية ثانوي - الفرع الأدبي)، من إعداد عبد الله بن كريد - أحمد حساني، إشراف: محمد العكي (مفتش التعليم الثانوي والتكوين)، منشورات المعهد التربوي الوطني - الجزائر (2002-2003م)



سادسا : الرسائل و المذكرات:

(173) عبد الجبار توامة: القرائن المعنوية في النحو العربي، جامعة الجزائر، معهد الآداب واللغة العربية، السنة الجامعية (1994م-1995م) أطروحة دكتوراه، [رقم [191

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة أ- ح

مدخل

- 1- النحو والمنطق 02
- 2- تأصيل النحو و قيمته عند قدماء العرب 04
- 3- مناهج التععيد النحويّة 09
- أ- المنهج الوصفي (مفهومه - ملامح المنهج الوصفي) 09
- ب- المنهج المعياري (مفهومه - ملامح المنهج الوصفي) 12

الفصل الأول

دراسة حول المصطلح وعلاقته الدلالية بالنحو

- توطئة 20
- 1- المفاهيم المختلفة للمصطلح في اللغة 22
 - أ- مفاهيم لفظ الاصطلاح في المعاجم العربيّة القديمة 23
 - ب- في المفهوم الاصطلاحي لمعنى الاصطلاح 24
 - ج- بين معنى الاصطلاح والمصطلح 26
 - 2 - علم المصطلح 28
 - أ- مفهوم علم المصطلح 28
 - ب- مجال علم المصطلح ونطاقه 29
 - 3- علاقة المصطلح بالمفهوم الدال عليه 31
 - 4- أركان المصطلح 36
 - 5 - نبذة مختصرة عن تاريخ المصطلح 41
 - 6- وسائل وآليات بناء المصطلح في العربية 44
 - أ - بناء المصطلحات في التراث العربي 44
 - ب- بناء المصطلحات في العصر الحديث 48
 - ج- شروط بناء المصطلح 52

- د - أهمية وفوائد دراسة المصطلح.....56
- 7- المصطلح النحويّ58
- أ- معنى النحو لغة58
- ب- المعنى الاصطلاحي للنحو العربي60
- ج- علاقة المصطلح النحويّ بالمعنى63

الفصل الثاني

نشأة المصطلح النحويّ والمدرسة البصرية

- توطئة.....68
- أولاً- أصول المصطلح النحويّ70
- 1- المصطلحات الدالة على النحو في القرآن الكريم70
- 2- المصطلحات الدالة على النحو في الحديث الشريف71
- 3- مصطلحات نحوية عند مفسري القرآن73
- ثانياً- تأسيس المصطلحات النحويّة قبل سيبويه.....75
- 1- علي بن أبي طالب - رضي الله عنه- والمصطلح النحويّ75
- 2- مصطلحات أبي الأسود الدؤلي النحويّة.....81
- 3- تلاميذ أبي الأسود الدؤلي والمصطلح النحويّ.....87
- ثالثاً- المصطلح النحويّ عند المدرسة البصرية.....89
- 1- الخليل بن أحمد الفراهيدي وتشكيل المصطلح النحويّ.....89
- 2- سيبويه والمصطلح النحويّ101
- أ-مصطلحات دالة على الأسماء.....106
- ب-مصطلحات دالة على الأفعال111
- ج-مصطلحات دالة على الحروف112
- 3-تنوع المصطلح عند سيبويه وتداخله114

الفصل الثالث

توسع المصطلح النحويّ في ظل المدرسة الكوفية

- 118 - توطئة.....
- أولاً - المدرسة الكوفية والمصطلح النحويّ..... 120
- 1- نشأة المدرسة الكوفية..... 120
- 2- طبقات المدرسة الكوفية و أهم نحاتها..... 123
- 3- خصائص المدرسة الكوفية..... 131
- 4- طبيعة المصطلح النحويّ عند الكوفيين..... 134
- ثانياً - توسع المصطلح النحويّ عند أشهر نحاة المدرسة الكوفية..... 138
- 1- المصطلح النحويّ عند الكسائي..... 138
- 2- المصطلح النحويّ عند الفراء..... 149
- 3- المصطلح النحويّ الكوفي بعد الفراء..... 159
- ثالثاً - بعض أوجه الاختلاف بين البصريين والكوفيين..... 162
- 1- أسباب الاختلاف بينهم وبين البصري..... 162
- 2- المصطلح النحويّ بين المدرستين (مقارنة)..... 163
- 3- نتائج الخلاف بين المدرستين..... 166

الفصل الرابع

المصطلح النحويّ في ظل تيسير النحو في العصر الحديث

- أولاً - الحاجة إلى التيسير في العصر الحديث..... 170
- ثانياً - محاولات تيسير النحو في العصر الحديث..... 174
- 1- ثورة ابن مضاء القرطبي..... 174
- 2- الدعوة إلى تيسير النحو حديثاً..... 175
- 3- مصطلحات « تيسير النحو » في العصر الحديث..... 179
- ثالثاً - نماذج لبعض محاولات تيسير النحو في العصر الحديث (دراسة لبعض الآراء النحويّة الحديثة)..... 188

- 1- إبراهيم مصطفى وإحياء النحو 189
- أ- محاولات التجديد عند إبراهيم مصطفى 189
- ب- تغير دلالة المصطلح النحويّ عند إبراهيم مصطفى 194
- 2- آراء تمام حسان اللسانية في ضوء نظرية تظافر القرائن 197
- أ- مصطلح القرائن في النظرية النحويّة 198
- ب- مصطلح القرائن عند تمام حسان 200
- ج- مصطلحات تمام حسان في ضوء نظرية تظافر القرائن 203
- 3- مهدي المخزومي وآراءه النحويّة 209
- أ- التيسير عند مهدي المخزومي (خلاصة المشروع 211
- ب- أهم المصطلحات النحويّة التي اقترحها المخزومي 213

الفصل الخامس

واقع المصطلح النحو في ظل مناهج اللغة العربية الحديثة

- أولاً- واقع اللغة العربية والنحو في العصر الحديث 218
- ثانياً- طرائق تدريس قواعد اللغة العربية وانعكاساتها على المصطلح النحويّ 222
- 1- الطريقة الاستقرائية الاستنباطية (مثال تطبيقي) 222
- 2- الطريقة القياسية أو الاستنتاجية (مثال تطبيقي) 229
- 3- طرائق أخرى 234
- ثالثاً- النحو والمصطلح النحو في ظل المقاربة بالكفاءات 238
- 1- المقاربة بالكفاءات (الفكرة والماهية) 238
- 2- طريقة التدريس في ظل المقاربة بالكفاءات 241
- أ- طريقة تدريس اللغة العربية (من واقع المناهج التعليمية) 244
- ب- طريقة تدريس النحو وتأثيره على المصطلح 256
- رابعاً: اضطراب المصطلح النحويّ في المراحل التعليمية (المرحلة الثانوية أنموذجاً) 263
- 1- توزيع المصطلحات النحويّة في كتب اللغة العربية في المراحل الثانوية... 263
- 2- ظاهرة اضطراب المصطلح النحويّ في الكتب المنهجية 265

268	خاتمة
273	قائمة المصادر والمراجع
290	فهرس الموضوعات

الملخص:

يتناول هذا البحث دراسة تحليلية للمصطلح النحوي من مرحلة نشوئه إلى مرحلة الاستقرار وعلاقته الدلالية بالمعنى الوظيفي عند علماء النحو القدامى والمحدثين، ومدى تطوره في الدراسات الحديثة من خلال جهود التيسير لا سيما في المناهج التعليمية الراهنة في ظل فكرة المقاربة بالكفاءات.

الكلمات المفتاحية: المصطلح - النحو - الدلالة - مدرسة البصرة - مدرسة الكوفة - تيسير النحو - تظافر القرائن - المقاربة بالكفاءات - الإعراب...

Le résumé

Cette recherche porte sur une étude analytique concernant le terme de grammaire depuis sa phase de création à la phase stabilité ainsi que sa signification sémantique, chez les anciens grammairiens et les nouveaux, et comment il a évolué à travers les nouvelles études grâce aux efforts de faciliter la grammaire en particulier dans les programmes actuels sous l'idée de l'approche par compétence.

Les mots clés: terme - grammaire - sémantique - L'école de Basra - L'école de Kufa - faciliter la grammaire - les indices concertées - approche par les compétences - conjugaison...

The summary:

This research focuses on an analytical study of grammatical term. Since its creation to its stability phase and the relation with the career stage for modern, ancient analytical grammatical scientists. It also focuses on the development extent of the recent studies through the efforts that are made particularly in the current program, the idea of competencies approach.

The key words: term - grammar - semantic - Basra school -Kufa School - facilitate grammar - concerted clues - competence approach - expressing - construction...

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

Université Abou Bekr Belkaid
Tlemcen Algérie



جامعة أبي بكر بلقايد

قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب و اللغات

رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية
تخصص: علم الدلالة بين التراث و الحداثة
موسومة بـ:

المصطلح النحوي ووظيفته الدلالية بين الأصالة و المعاصرة

إشراف الأستاذ الدكتور:
عبد الجليل مرتاض

إعداد الطالب الباحث :
بن عودة بلقاسم

ملخص الرسالة

الموسم الجامعي:
(1436-1437هـ) الموافق لـ (2015-2016م)

يلجأ علماء اللغة العربية بصفة خاصة واللغات بصفة عامة إلى التعبير بشتى أنواع الوسائل كالمشترك اللفظي والمجاز وغيرها من الدلالات الصرفية...؛ مما قد يؤدي إلى ارتباك المصطلح بالصفة العامة واضطرابه وهذا يؤدي بدوره إلى صعوبة في تبادل المعلومات وتمييزها. ولهذا، كذلك، كان لا بدّ من توحيد المبادئ التي تتحكّم في إيجاد المفاهيم أو تغييرها وفي وضع المصطلحات المقابلة لها وتعديلها. ومن هنا نشأ علم المصطلح الحديث خلال القرن العشرين ؛ وهو علم حديث النشأة وما زال في دور النمو والتكامل.

ومن أهم الاشكالات التي تُطرحُ في المصطلح هو: أدائه لوظيفته الدلالية الصناعية تبعا للصناعة التي تكون مجالا لتخصصه، والصناعة النحوية هي إحدى هذه الصناعات التي يتخبط فيها المصطلح النحوي في إشكالات كثيرة قديما وحديثا فالشكوى من صعوبة النحو ليست وليدة اليوم بل هي قديمة قدم ظهور هذه الصناعة (أي ظهور مصطلح النحو)، كما تذكر الكثير من الروايات التاريخية أنّ أبا الأسود الدؤلي(ت 69هـ) من كتب النحو بأمر من على بن أبي طالب(ت 40 هـ) حينما: دفع إليه رقعة كتب فيها: الكلام كله اسم وفعل وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمىّ والفعل ما أنبئ به والحرف ما أفاد معنى، وقال له انح هذا النحو وأضف إليه ما وقع إليك (وغیرها من الروايات) فسمي علم قواعد اللغة العربية: (نحواً)، وبغض النظر عن صحة هذه الرواية من عدمها فإنّ مصطلح: النحو ظهر ظهوراً عفويّاً غير خاضع لأي منهج فلسفي أو تعليمي.

والحقيقة أنّ هذه الاشكالات قد شغلت بالي منذ مدة طويلة أكاد أقول ودون أي تردد منذ بدايتي رحلة العلم يوم أنّ كنت صغيراً لا أفرق بين المعاني والمصطلحات وكبرت معي الفكرة واختمرت في ذهني عاماً بعد عام وهي تتعاضم شيئاً فشيئاً حتى وجدت نفسي أستاذاً للغة العربية والنحو ورأيت أنّ التلميذ والطالب يكتنفه السأم والملل حينما يعرف أنّ النشاط هو نشاط النحو أو قواعد اللغة العربية؛ بل هناك من صرح لي أنّه يكره النحو لدرجة المقت، ففكرت كثيراً في الأسباب التي أدت لهذا الشعور الغريب للغة التي يعتبر النحو جزءاً مهماً منها.

ثم فكرت في هذا الشعور فبرزت لي الكثير من السلبيات التي أدت لذلك، ومن بينها والتي كان لها عندي اهتمام كبير هو إشكالية المصطلح النحوي في المناهج التعليمية الراهنة فوجدت أنّ من بين هذه السلبيات هي: عدم موافقة المصطلح النحوي لمعناه المعجمي والدلالي ومن أمثلة ذلك: الفعل المضارع الذي يحمل معنى: اسم فاعل من الفعل ضارع، ومضارع له: مُشَابِهٌ أما من الناحية الاصطلاحية فالفعلُ الْمُضَارِعُ: هُوَ صِيغَةٌ فِعْلِيَّةٌ تَدُلُّ عَلَى الْحَاضِرِ أَوْ الْمُسْتَقْبَلِ كالفعلِ خَرَجَ الذي مُضَارِعُهُ هُوَ: أَخْرَجُ، تَخْرُجُ، نَخْرُجُ، يَخْرُجُ، وَيَكُونُ مَبْدُوءً بِأَحَدِ أَحْرَفِ الْمُضَارَعَةِ (أُنيت)، والناحية يعنون به مشابهة الفعل للاسم لما يعتريه من اختلاف الدلالة باختلاف العوامل الداخلة عليه كالأسماء في اختلاف مواقعها في الجملة مرة يكون الاسم فاعلا ومرة مفعولا ومرة مجرورا.

فحينما نتأمل في هذا المصطلح لا نجد ارتباطا وثيقا بين دلالاته اللغوية والاصطلاحية لا سيما الاجرائية منها مثل الفعل الماضي الذي معناه اللغوي يوافق المعنى الاصطلاحي وهي: الدلالة على الماضي في كلتا الحالتين، ومن هذا الاشكال الفكري اتضحت لنا رؤية هذا البحث في الكشف والتنقيب عن نشوء المصطلح النحوي وتطوره عبر الأزمان ومدى موافقته لوظيفته النحوية العملية وربطه بالمعاني اللغوية والاصطلاحية فكان عنوان الرسالة:

المصطلح النحوي ووظيفته الدلالية بين الأصالة و المعاصرة.

قسمت هذا البحث إلى خمسة فصول وافتتحنا بمقدمة بمقدمة بيّنا فيها سبب اختيارنا للموضوع، وطرح اشكاليته وبيّنا أقسامه وفصوله ثم المنهج الذي بنينا عليه بحثنا والعوائق التي اعترضتنا في إنجازها.

ثم ولجنا إلى البحث بمدخل حول خصائص النحو والمناهج التي اتبعت في جمعه لا سيما المنهج الوصفي والمعياري، من خلال التفكير المنطقي الفلسفي تأثراً بالعلوم التي غزت الدولة الإسلامية في عز نتاجها العلمي وتطورها الحضاري.

ولقد بينا في هذا المدخل العلاقة القائمة بين النحو والمنطق وتوصلنا إلى أن التفكير النحوي تأثر تأثراً بالغاً بالعلوم التي غزت العالم العربي والإسلامي لا سيما الفلسفة والمنطق وبدا جلياً تأثر النحو بهما وبخاصة عند العلماء القدامى الذين هم النواة الأولى في ابتكار المصطلح النحوي، وهكذا فإن هذه الفكرة لامست بناء القاعدة في حظيرة الدرس النحوي إما عن حظ التخيل في العلوم وبخاصة في النحو فإننا نجد في كثير من مواقفه غير العلمية التي تطغى فيها التخيلات الفلسفية والتعليقات الظنية التي يقتحم فيها النحو قضايا ذات أبعاد ذوقية كالملاحظات البلاغية حول أسرار التقديم والتأخير والفصل والوصل والحذف والذكر والتأكيد... زيادة على التأويل المفتعل والتقدير والحمل والافتراض مما يعتبر فضولهما فضولاً في علم النحو على حد تعبير ابن هشام، يضاف إلى هذا كله مقولات الخفة والثقل والاستحسان والاستنتاج...

ثم انتقلنا في المدخل للحديث عن الأصول الأولى للنحو إذ يرى العلماء أنه عربي النشأة وغرضه محاربة النحو الذي فشا عند العرب لأسباب عدة منها اختلاطهم بالعجم، وقد كانت العرب تعظم هذا العلم لدرجة أن كتاب سيبويه كان يسمى قرآن النحو، وعلى هذا الأساس فقد ارتكز العرب في تدوين النحو وتقعيده على منهجين اثنين هما: المنهج الوصفي، والمنهج المعياري.

فالمنهج الوصفي كان يصف الظواهر اللغوية عند العرب ويجمعها فيخضعها للملاحظة والتجربة والاستقراء، أما المنهج المعياري فهدفه تقعيد القاعدة النحوية من خلال عدة مستويات منها التأويل والقياس... وقد تطرقنا لهذين المنهجين في العصر الحديث على أساس أن النحو في هذا العصر يخضع لهما من خلال نظريات عصرية ومن أبرزها نظريات (دي سوسير) النحوية لذا كان المنهج الوصفي تحولاً في دراسة اللغة لاسيما منها مجال النحو وأصوله وقد ظل يسعى إلى تغيير النحو القديم كان مستقراً ولا يزال منذ قرون بعيدة، حتى علماء اللغة المحدثين يضطرون في الأغلب الأعم إلى بدأ أبحاثهم بإزالة الأوهام الراسخة قبل أن يتناولوا

أسس المنهج الجديد. أما النحو بالمعنى التعليمي المعياري، أي يهدف وضع ضوابط للاستخدام اللغوي الصحيح لأبنية المفردات و لأبنية الجمل فهو مختلف - فيما يبدو - عن علم اللغة فعلم اللغة يبحث في اللغة أو اللغات بهدف كشف جوانبها المختلفة، لا بهدف الحكم بالخطأ والصواب على الاستخدام اللغوي.

ثم بينا في المدخل بعض خصائص مميزات المنهجين الوصفي والمعياري من خلال الرؤية الحديثة لهما.

في الفصل الأول كانت دراستنا هذه المصطلح وعلاقته الدلالية بالنحو من خلال تعاريف المصطلح بصفة عامة فوطأنا له بتوطئة عن دور المصطلح في التحريك الدلالي بين اللغة والمصطلح في حد ذاته ثم انتقلنا إلى تعاريف المصطلح فخلصنا إلى أنّ المعنى المتواضع عليه في المعاجم القديمة هو الاتفاق والتوافق واصطلاح القوم: تصالحوا، بمعنى وقع بينهم صلح، فالتاء بمعنى التشارك والاشتراك، ومعنى التفاعل مخرج من المطاوعة.. والجدير بالذكر أنّ ما ورد عند القدماء هو لفظ الاصطلاح ولم يرد عنهم لفظ المصطلح بناء على هذه الخصوصيات ندرك أنّ لفظ الاصطلاح يضم المفهوم باعتباره مادة موضوعية مستقلة، وهذا في المعنيين المعجمي والصناعي (أي الاصطلاحي)، ثم أحدثنا مقارنة بين معاني المصطلح والاصطلاح من حيث الاستعمال الدلالي للفظ وفقا لجملة من الآراء لعلماء النحو.

وانتقلنا بعد ذلك إلى علم المصطلح الذي هو علم يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والمصطلحات اللغوية التي تعبر عنها، وبينها مجاله ونطاقه فهو مشترك بين اللسانيات، والمنطق، وعلم الوجود، وعلم المعرفة، والتوثيق، وحقول التخصص العلمي. ولهذا ينعتة الباحثون الروس بأنه " علم العلوم " .

ويتناول علم المصطلح جوانب ثلاثة متصلة من البحث العلمي والدراسة الموضوعية

وهي:

- 1- يبحث علم المصطلح في العلاقات بين المفاهيم المتداخلة.
 - 2- يبحث علم المصطلح في المصطلحات اللغوية، والعلاقات القائمة بينها ووسائل وضعها، وأنظمة تمثيلها في بنية علم من العلوم.
 - 3- يبحث علم المصطلح في الطرق العامة المؤدية إلى خلق اللغة العلمية بصرف النظر عن التطبيقات العملية في لغة طبيعية بذاتها.
- ثم بينا العلاقة القائمة بين المصطلح المفهوم الدال عليه فوجناها علاقة وثيقة ترتكز على أساس مرتبط بين مفهوم الدال (اللفظ) والمدلول وهو الصورة الذهنية أو الخيالية للدال. وولجنا بعد ذلك لأركان المصطلح وهي:

- 1) اللفظ: ويقصد به اللفظ الذي يتم اختياره لبيان دلالة المفهوم الطارئ من حيث الوضع والترجمة.
 - 2) المفهوم: وهو الركن الأساسي من أركان المصطلح وقد ذهب بعض الباحثين على أنه تمثيل عقلي للأشياء الفردية، وقد يمثل شيئاً واحداً أو مجموعة من الأشياء الفردية تتوافر فيها صفات مشتركة.
 - 3) الحد أو التعريف: فالحد عبارة عن تعريف الشيء بأجزائه، أو بلوازمه، أو بما يتركب منهما، تعريفاً جامعاً مانعاً، ونعني بالجامع كونه متناولاً لجميع أفرادهِ؛ إن كانت له أفراد، وبالمانع كونه أبيضاً دخول غيره فيه.
- وهذه الأركان هي آراء لبعض الباحثين فقط وليست قواعد ثابتة.

عرجنا بعد ذلك إلى نبذة مختصرة عن تاريخ المصطلح عند العلماء القدامى وبواكير ظهوره من خلال مؤلفاتهم ثم إلى وسائل وآليات بناء المصطلح في العربية سواء في التراث القديم أو العصر الحديث وشرط بناءه ثم أهمية وفوائد دراسة المصطلح.

انتقلنا بعد ذلك إلى دراسة عن المصطلح النحوي فعرفنا النحو لغة واصطلاحاً وأخيراً إلى علاقة النحو بالمعنى من خلال جملة من آراء العلماء.

أما الفصل الثاني والثالث فقد درسنا فيه المصطلح النحوي عند القدماء (علماء التراث) فكان الفصل الثاني عن نشأة المصطلح النحوي والمدرسة البصرية افتتحنا فيه بتوطئة عن الأصول الأولى للغة العربية فقد نشأت مع العرب منذ أن كان لهم قائمة على وجه المعمورة وان لها أسباب حفظ جعلتها تحفظ إلى يومنا هذا، من أبرز هذه الأسباب هي القرآن الكريم الذي حفظه الله تعالى من فوق سبع سماوات فحفظت اللغة العربية بسببه.

وانتقلنا إلى أصول المصطلح النحوي فافتتحنا عن الأصول في القرآن الكريم فخلصنا ألى أن الحديث عن المصطلح النحوي في القرآن الكريم يدفعنا إلى التقريب في معاني القرآن ومختلف التفاسير التي أولت القرآن من خلال ألفاظه المختلفة والمعجزة، لكن ما وجد من مصطلحات لا تمت للمعاني الدلالية إلى النحو عدا مصطلح واحد يقرب المعنى فقط إلى معاني النحو والدلالة على معانيه وهو: مصطلح النحو، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ (محمد:30)، فاتضح من خلال هذا المفهوم أنه لم يتجاوز المعنى اللغوي للمصطلح أما المعنى الاصطلاحي له فلا علاقة له على الاطلاق بالنحو وعليه فإن معاني المصطلح النحوي في القرآن الكريم.

أما أصول المصطلح النحوي في الحديث فقد وردت في بعض أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم بعض الأحاديث الدالة عليها ومنها: مصطلح الإعراب، لقوله صلى الله عليه وسلم - : « أَعْرَبُوا الْقُرْآنَ، وَاتَّمَسُوا غَرَائِبَهُ »، ومصطلح اللحن أيضا إلا أن المصطلحين لم يتجاوزا المعنى اللغوي.

وعند مفسري القرآن الكريم كان التفسير عاملا مهما في ظهور المصطلح النحوي ومنه: مصطلحات (التوكيد - الاستثناء - النفي والاستفهام)، وجاءت بع ذلك مرحلة تأسيس المصطلحات النحوية قبل سيبويه فكانت أولى هذه المراحل مصطلحات علي بن أبي طالب - رضي الله عنه- من خلال رسالته (التعليقة) لأبي الأسود الدؤلي (ت 69هـ) ومن هذه

المصطلحات: اللحن - أصول العربية - الكلام - الاسم - الحرف - الحركة - الظاهر - المضم - ما ليس بظاهر ولا مضم، كما ينسب للإمام علي - كرم الله وجهه - مصطلح النحو أيضا وهو القصد، ثم جاء بعد ذلك أبو الأسود وأضاف بعض المصطلحات منها مصطلحات: الحركات الاعرابية (الضم - الفتح - الكسرة ...) - التعجب - الفاعل والمفعول - حروف النصب - النعت - العطف - الاستفهام - الإضافة.

ازداد المصطلح النحوي توسعا في ظل المدرسة البصرية التي يعد الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه أبرز مؤسسيها ومن أبرز المصطلحات التي وردت عند الخليل: الاسم والمصدر - الاعراب والبناء - الأفعال - التثنية والجمع - الالغاء - الإلقاء - الإضافة - ألف الاستفهام - البدل - التثنية - التوكيد - الصفة - المبتدأ - المفعول - الحذف - المضم - الحكاية - اليمين - الظرف - النداء - الندبة - العطف وغيرها من المصطلحات لا سيما التي تحدث عنها سيبويه في كتابه (الكتاب) عن شيخه الخليل.

ثم جاء بعد ذلك سيبويه فكان مصطلحاته الكثيرة انطلاقة حقيقية للنحو مما استحق بها اسم: إمام النحاة، فترك أثرا بالغا فيه، ومن بين هذه المصطلحات: العلامة - الأسماء الغالبة - الكنية - الضمائر - الاسم المبهم - الموصول والصلة - المسند والمسند إليه - النفاذ - الاشتغال - الاختصاص - التفسير - المفعول فيه - الاستغاثة الترخيم - الظروف - الفعل المضارع - فعل المستقبل - فعل الأمر - الأداة - حروف الإضافة - حروف (لام: القسم، واليمين، التوكيد، الابتداء) - النون الثقيلة والخفيفة، وتجدر الإشارة إلى أن سيبويه نوع في المصطلح النحوي مما أدى إلى تداخله إلا أن معظم هذه المصطلحات قد كُتِب لها البقاء رغم التعدد والتنوع الذي ذكرنا والسبب في ذلك هو دقة الدراسة التي درسها هذان العالمان في انتقاء المصطلحات وربط الاصطلاح بالمعاني اللغوية مما يسهل على دارس النحو بديهية الفهم السريع.

الفصل الثالث كانت دراسته عن توسع المصطلح النحوي عند المدرسة الكوفية وطأنا له

بالحديث عن الكوفة وموقعها الجغرافي الذي كان له الأثر البالغ في جعلها مدينة علم تضرب لها أكياد الإيل ثم تحدثنا عن المدرسة الكوفية من حيث النشأة وطبقاتها وأهم نحاتها وخصائصها وهذه الدراسات كلها كانت سببا في جعل المصطلح النحوي ذي طبيعة خاصة مختلفة عن المدرسة البصرية مما أدى إلى ظاهرة الاختلاف بين المدرستين.

وقد كان لهذه المدرسة مجموعة من الخصائص منها : : اعتمادهم على السماع واحترامهم له، والتوسع في القياس، واعتمادهم على النقل واجتتابهم التأويل والأحكام العقلية، و الاتساع في مخالفة البصريين اتساعاً قد يؤول إلى مد القواعد وبسطها، و التركيبية المتنوعة والمتسعة من مصادر النحو عند المدرسة الكوفية ونحاتها أكسبها صفات خاصة كانت سببا في التأثير على النحو الكوفي ومصطلحاته سواء من حيث الشكل أو المضمون (أي المعنى)، ومما لا شك فيه أن الاتساع في تلك المصادر أدى إلى الاتساع في المعاني النحوية والتجديد، والاتساع لا يقصد في الاستعمال في الشكل والمضمون فحسب؛ بل اتساع المصطلح حتى في الرقعة الجغرافية فقد توسع استعمالا في الأمصار بعدما كان قابعا على البصرة وحدها، وهذا يؤدي إلى التأثير الفكري والاجتماعي والاقتصادي حسب التركيبية الثقافية الاجتماعية لكل شعب وأمة، مما يؤدي هذا التوسع لخلق مناهج وطرق جديدة في دراسة اللغة والنحو، وقد تقسم المصطلح البصري إلى عدة تفرعات:

أ- **المصطلحات البصرية:** أي استعمالها البصريون ولم تتغير فبقيت على حالها.

ب- مصطلحات توسعت عند المدرسة الكوفية: وتعتبر هذه المصطلحات هي مزيج بين المصطلحات البصرية والكوفية حيث أن هذه المصطلحات استعمالها نحاة البصرة ثم قام نحاة الكوفة بالتوسع فيها وإحيائها.

ج- مصطلحات جديدة: ابتدعها الكوفيون لم يستعملها نحاة قبلهم من المدرسة البصرية.

ومن المصطلحات التي استعمالها الكسائي: التوكيد، العطف، النعت و الصفة، الفعل

المستقبل، الفعل المضارع، المضمرة، الحال، المصدر، الحذف، القطع، الجر، الصرف، الخفض، الصلة، المفعول به، الأداة، النصب على الإغراء، البيان، التفسير، التكرار و التكرير، التقريب، التبرئة، المجهول، العماد، النسق، النصب على القطع.

أما مصطلحات الفراء: الأسماء المضافة، الامتحان، الخارج، الخلفة، التشديد، التام والناقص، الرجوع، الصرف، المحالّ أو المحلّ، المجهول، المؤقت وغير المؤقت، المترجم، المردود، ما يجري وما لا يجري، المصمود، الترجمة والتكرير والتفسير ثم جاءت بعض المصطلحات الأخرى بعد الفراء فكانت شبيهة بسابقتها من المصطلحات.

والجدير بالذكر أن هذه المصطلحات زادت في التوسع لا من حيث المعاني ولا من حيث الجانب الصناعي وتعددت بشكل أوسع مما كانت عليه عند المدرسة البصرية.

كما وأنه نتج عن الكوفيين وأخذهم بكل ما هو مسموع عن العرب وكفى به، استعمال عباراتهم على حسب ما أثر عندهم ولو كان فيه شوائب اللغة المعروفة وبذلك نتج عن ذلك فكرة مهمة في نحوهم هو أن القاعدة تخضع للاستعمال مهما كانت طريقة السنة أصحابها فهي وليدة ذلك الاستعمال اللغوي وسلطان على القاعدة النحوية.

وأدى بهم هذا التساهل إلى الترخيص بالقياس على الرأي عند غياب الشاهد مما نتج عن ذلك أمران:

الأول: التوسع في القياس أدى إلى التقليل من مقتضياته وهي التأويل والشذوذ والاضطرار والاستتكار وهذا الذي حدث عند الكوفيين.

الثاني: التوسع في الأقيسة عند الكوفيين كان عكسه عند البصريين، وعليه فإن المذهب البصري مذهب قياس، والمذهب الكوفي مذهب سماع؛ وهذا ما يوافق قول الكسائي: "إنما النحو قياس يتبع وبه في كل أمر ينتفع".

تطرقنا في الفصل الرابع إلى المصطلح النحوي في ظل جهود التيسير الحديثة، إذ كانت حاجة النحاة في العصر الحديث إليه ضرورة ملحة نظرا لمعاناة المعلم والمتعلم من نشاطات قواعد اللغة العربية بكل أنواعها، ولعل هذا التيسير لم يكن وليد اليوم فقط إنما ظهر قبل العصر الحديث عند ابن مضاء القرطبي (ت592هـ) الذي دعا إلى إلغاء نظرية العامل وهدمها وبالتالي أحدث ثورة في زمانه أدت إلى الكثير من المتغيرات.

وجاءت دعوات التيسير في العصر الحديث مشابهة لدعوة ابن مضاء القرطبي، كما جاء مصطلح التيسير بعد ألفظ نذكر منها: الإحياء، الإصلاح، التبسيط، التجديد، التيسير.

ولقد تعرض الكثير من النحاة للمصطلح النحوي في ظل جهود التيسير ومنهم:

إبراهيم مصطفى من خلال كتابه المشهور إحياء النحو وقد غيرت تيسيرات المؤلف الكثير من المصطلحات على النحو وعليه فإنه لم يؤثر على المصطلح من حيث الصياغة ولا حتى من حيث المعاني اللغوية بل حافظ عليها كما كانت في العصور السابقة إلا أنه غير في المعاني الدلالية الصناعية للمصطلحات وأعطاهما تجديدا من خلال أفكاره.

ومنهم أيضا آراء تمام حسان اللسانية في ضوء نظرية تظافر القرائن: فمصطلح القرائن في معناه اللغوي لا يبتعد كثيرا عن المعاني الاصطلاحية عند الدكتور تمام حسان، فالمعنى اللغوي مأخوذ من (قرن) الذي يرد بمعان كثيرة منها: الوصل، والجمع، والشدّ، والربط، والمصاحبة، والتلازم، والالتقاء، والروابط، فيقال: قرن الشيء بالشيء: وصله، وقرن الشيء بالمصاحبة: جمعه، قرّن الأسارى: شدّهم وربطهم، وقارنه قرانا ومقارنة: صاحبه، والقرينة الزوجة لأنها تقارن زوجها وتلازمه، وقد بنى تمام حسان فكرة "تظافر القرائن" على أساس التفكيك الداخلي للبنية الإسنادية، وبيان علاقات معاني الكلمات لإظهار المهمة الأساسية والإعرابية لكل لفظ داخل - أي تركيب داخلي - كما هو معروف في النحو العربي، وبالتالي يؤدي إلى إهمال العامل ووظيفته داخل التركيب، وما يلاحظ في نظرية تمام حسان أنها

مقاطعة تقاطعا بينا وواضحا مع نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ)، ومن مصطلحاته: الاسناد، التخصيص، التعدية، الغائية، المعية، الظرفية، التحديد والتوكيد، الملابس، التفسير، الإخراج، المخالفة وغيرها...

أما مهدي المخزومي لقيت آراءه الكثير من الاهتمام في الأوساط العلمية، وراجت رواجها واسعا في عدة أرجاء عربية ودولية، و لقيت بسبب هذا الرواج الكثير من الردود المؤيدة والمعارضة في مختلف اللقاءات والندوات العلمية، وكانت الهدف من هذه الدراسات تكييف هذه الآراء على الواقع النحوي واللغوي في العصر الحديث، ومن أهم مصطلحاته: الأداة، الفعل الدائم ، لام التوكيد ، الفاعل الإرادي والفاعل اللإرادي ، فعل الفاعل الذي لا اختيار له، الجحد، النعت والصفة ، المركب اللفظي ، أداة التشريك ، متعلقات الفعل ، الخفض، المستقبل، المكنى به عن الزمان والمكان ويتضح من خلال الدراسات التيسيرية لمهدي المخزومي تأثره بالمدرسة الكوفية إذ أن غالبية المصطلحات التي اقترحها في مشروعه كوفية، ويريد الوصول بها إلى نحو جديد لا نحس فيه بأثر العامل لكنه في الوقت نفسه لم يبلغ فيه النحو القديم بل فضل التعلق به على أساس أنه القاعدة التي يجب أن نركز عليها في جميع الدراسات النحوية، و نادى باعتماده رؤية نحوية أصيلة.

الفصل الخامس غلب عليه الطابع التطبيقي، فواقع اللغة العربية وقواعدها في زمننا مؤلم للغاية بسبب عدم فهم المتعلمين لها وقد تعددت طرائق تدريس النحو في العصر الحديث في المناهج العربية الحديثة ومنها : الطريقة الاستقرائية الاستنباطية، الطريقة القياسية أو الاستنتاجية، وقد كان للنحو في ظل المقاربة بالكفاءات شأن مهم حيث أصبحت طريقة تدريسه تتطلق من واقع المتعلم من خلال الظاهرة النحوية الموجودة في النصوص المدروسة وقد اختلفت حسب فهم المعلم للفكرة والماهية وقد أدى هذا إلى التأثير على المصطلح النحو لا من حيث المفهوم ولا من حيث أداءه لوظيفته النحوية وهذا أدى إلى اضطراب المصطلح النحوي في المراحل التعليمية وقد اخترنا لذلك المرحلة الثانوية أنموذجا لذلك.

وقد ختمنا بحثنا هذا بخاتمة نلخصها كما يلي:

مر المصطلح النحوي بالمرحلة الشفوية ثم المرحلة الكتابية ليتشكل في زمن سيبويه فقويت شوكته في زمنه وتشابكت معانيه واتسعت الدراسات فيه فبدأ في عملية التعدد والاضراب في زمن المدرسة البصرية، ثم زاد اتساعا ودلالة في زمن المدرسة الكوفية التي أسست منهجها على قواعد النحو البصري وبدأت مرحلة استقراره واستكمال مصطلحاته ليكون في آخر الرحلة الكوفية مكتمل البناء، ولكن رغم ذلك بقي هاجس التعدد الاضطراب قائما لاسيما من خلال الاختلافات بين المدرستين الكوفية والبصرية.

- مهما يكن فإن دراسة المصطلحات النحوية أمرٌ ضروري لمن يريد أن يعطي صورة واضحة عن البحث النحوي في أي مرحلة من مراحل تدرُّج علم النحو، وبخاصة أننا لا نجد في المكتبة النحوية في عصرنا الحاضر بحثاً عن هذا الجانب المهم من الدراسة النحوية، فإذا أردت أن تبحث عن مدلول أي مصطلح نحوي فلا بد أن ترجع إلى المؤلفات النحوية في العصور التي خلت _ وما أكثرها _ حتى تظفر ببغيتك.

إنّ التيسيرات النحوية في العصر الحديث لم تأت بتغيرات في صياغة المصطلحات لأنها تأثرت بالدراسات القديمة إلا ما ندر منها كمصطلحات تمام حسان في ضوء نظرية القرائن، لكنها غيرت بعض المفاهيم في بعض المصطلحات وبخاصة في جانب تأثرها بالثورة على العامل ونظريته التي نادى بها الكثير من نحاة عصرنا، كما أن هذه التيسيرات لم تجد صدى في الواقع لأنها زادت من تعقيد النحو وتعدد مصطلحاته واضطرابها مما زاد من تشابك وتعدد المصطلح فخلق لذلك تبرئة للنحو القديم فجعله متربعا على عرش الدراسات النحوية بدون منازع وكانت حائلا دون تطبيق النحو في العصر الحديث.

و كل طرق تدريس النحو هي طرق جيدة إذا أُحسن استغلالها وهيئات لها الظروف المناسبة والامكانيات اللازمة، وبخاصة في العصر الحديث مع التغيرات والتطورات الحضارية

في ظل العولمة وعالم المعلوماتية بشتى طرقه من أنترنت وفضائيات ... والحق أن هناك الكثير من المحاولات الجيدة التي لم تر النور ولا يكون ذلك لآبالنهوض الجماعي لرفع لواء اللغة العربية وتكاتف الجهود الذي لا شك إن حدث فإن لغة القرآن قوية بذاتها فكيف بمن يحاول رفعها.

اتّهى

المقدمة و الخاتمة

بالإنجليزية

Introduction:

Progress in human, technological and economical knowledge depend largely on documenting information exchange and making use of basically terms and symbols to organize scientific ideas and all the other information. Nevertheless, this quick growth in human knowledge conveys to difficulties in finding adequate terminology. Then there isn't conformity and harmony between several increasing scientific concepts and a number of concepts that make them clear. In any language, there are only thousands of roots while a million of concepts are still in increasing. Concerning the electrical engineering, for example, there are currently more than four million concepts. While, the largest dictionary of any language doesn't contain more than six hundred thousand entrance.

Languages resort to metaphor, contribution, and another morphological and semantic means to express new concepts, that may lead to national and international confusion and disorder, especially in classification of concepts and the difference in the way of expression between languages contribute to difficulty in exchanging and progressing of information. Therefore the unification of principle which is in control of finding the concept or changing it and putting equivalent idiom and revise it, this was the origin of modern terminology during the 20th century; it's the rise modern science which keeping in progress and integration.

Nations progress by language, which can't keep on doing without idiom persistence. term is the mainstay of scientific language and the support of its technical and executive concept. The importance of language measures by it ability to report and keep up with the development of cultural and scientific concepts. when science, arts, and techniques were keeping in progressing their term structure were keeping in change. Scientific knowledge is variable and its enhancement take the form of accumulation by adding new knowledge to the old one, and then, the scope of knowledge in various disciplines has been constantly expanding .if a lot of intellectuals approve that parallelism exists between

language and thought, it may happen that the intellectual development don't keep pace with language development. Language owners rush to put a hybrid convention for naming the updated concepts.

The main problem which arise in terminology is: its semantic creation function which depend to its domain of specialization, and grammar is one of the creation that mired term in many ancient and modern problems, which isn't recent but

very old one (i.e. from the appearance of grammar), as history books we make reference to Abu al-Aswad Al-Du'ali (Arabic) who was the first writer of Arabic linguistics to the order of Ali bin Abu Talib (40AH) when he gives him a patch of books which contains the whole speech: noun, verb, and preposition, the noun reports to the subject, verb gives idea about action and prepositions signify the meaning. In arabic we say “ anha” this “nahw” and you can add what ever you want, that's way the science of arabic language rules called “ nahwan”. Regardless of the validity of this history or not the term appeared spontaneously without any philosophical or educational curriculum.

Infect these problematics disquiet me for a long time, since my earlier years of studies, at that time I couldn't distinguish between senses and idioms, this idea grows with me and ripens in my head till I became a professor of Arabic grammar, I observe that pupil and student hate grammar activities, that's way I thought a lot for the reasons of this strange emotion regard Arabic grammar as the important part of their mother tongue language.

Then, I thought over this emotion, lot of negative ideas led to abhorrence the Arabic grammar appeared, problematic term grammar in the current curriculum took all my attention, however, I found that among of this grammar inconvenients is: Lack of consent of the term grammar means lexical and semantic for example the present tense, which carries the meaning agent noun from the verb match and equal to: parallel, whoever, in terminological side the present is a verbal form which indicate

present or future like the verb to go in present: I go, you go, we go, he goes; in Arabic language we add letters of present at the beginning of verbs (anayt), grammarians mean by this: comparing verb by noun, the thing that marred the difference in sense and the factors that involved it like nouns in their different locality in the phrase it can be subject, complement or genitive .

when we ponder over this idiom we don't find a close link between linguistic and idiomatic significance, in particular, the actional one like the past where linguistic sense agrees on the idiomatic one which means past significance in

both cases, so from this problematic our exploration and search vision for the emergence and the evolution of grammar idiom became clear across time and the extent of its approval process and grammatical function linked to linguistic and idiomatic meanings was the title of our project:

The Grammar Idiom and its semantic function between authenticity and modernity

We divided our search to five chapters, we start our work by introduction in which we explained the reason of our choice to this theme, we bringing up the problematic and we exhibit its sections and chapters, then the approach adopted in our work and the impediments of its completion

Then we prefaced our search by grammar and curriculum entrance characteristics that had been gathered especially the descriptive and the Standardized Approach, Through logical thinking philosophical affected by the other sciences which have Science, which invaded the Islamic state at the height of their productions scientific and cultural development.

Then we moved to the first chapter which is a theoretic one, it is about idiom and its semantic relation with grammar from the different concepts of term in language and terminology, then the substance of idiom science especially in the modern era, so the relation of concept signifier, hence the stuff term then we gave an abstract of the history of idiom, we clarified the mechanics which setting up the Arab term, then we charge to give a linguistic and

idiomatic definition and its relation with grammar.

We have collected in the pursuit four chapters between theoretical and practical studies from historical narration of grammar idiom evolution from the beginning to its upbringing, stability, and continuity in our time, with applied examples and evidence by linking many of their significant meanings by conclusion Commenting.

The second chapter was about the upbringing of grammar idiom and Basra school, we opened this chapter with an introduction then we uncovered the

origins of the grammar term in Quran and the Hdith and some of the early interpreters like Ibn Abbas (68 HD), then we had passed to the foundation of terminology stage before Sibawayh (180HD) and Ali Ben Abi Taleb then Abu al-Aswad Al-Du'ali and some of his terminology and some of his students, then we moved to the grammar terminology in the Basra school through El Khalil Ben Ahmed ElFrahidi(170AH) and we ended this chapter, by the term diversity and overlaps for Sibawayh .

In the third chapter, we broach to the expansion of the Kufa grammar term, through a statement from its inception, classes and its most important grammarians, their characteristics and the nature of the term grammar for Kufa, then the expansion of grammar term for the most famous grammarian of the Kufa school, we took El Kassai(189 AH) and Al faraa(207HA), then we have presented the points of difference and their reasons between the Basra and the Kufa school and a comparison between the two schools and we ended by their results of disparity.

These previous chapters are about early grammar term study but the fourth and the fifth chapter are about new grammar study, chapter four was about the grammar term facilitation in the modern age, then we have presented some facilitation attempts in the modern age and we mentioned briefly the Ibn Wadda El-qurtubi (592AH) grammar revolution for its similarity with the grammar revolution in the modern era then the grammatical terminology advocates facilitation, we moved on to study some

modern facilitation grammar views, so we chose the essay of Ibrahim Mustapha in reviving the grammar and changing its term significant, then we have passed to Tamam Hassan linguistic views in the light of combined clues theory and some restoration and we ended by the important grammar terminology that Mahdi Elmakhzoumi proposed.

And the chapter five which has been dominated by applied nature, was entitled: Reality of grammar term under modern Arabic language curriculum and we have chosen the secondary phase as model, thus we practiced the profession of teaching for a long time, we would like to benefit from our experience in this research to uncover the reality of Arabic language and grammar in the modern age, and methods of teaching Arabic language rules

and its effects for grammar term, then we have moved to the reality of grammar and grammar term under the competency approach, and the problematic of grammar term overlap in the modern age and its reasons, and we have given to each theme a suitable applications and evidence. At the end we have completed by a conclusion including the results of our research.

We have adopted in our research the analytic historical methodology because this is the appropriate one for tracing the grammar term across the difference ages for from the beginning its establishment to its stability, therefore this research oblige us to tell some historical stories to get the basis target of our work, which could take us to the significance of formulating the grammar term and how it became steady for grammarian sheikh and student, and we have followed each story by an analyse of researchers opinions in this field and our special analyse from the other side and the stability of different concepts for terms.

We don't maintain that the lack of references made obstacles for us but is definitely the inverse in this research that's why the studies in grammar and its history and the history of terminology are huge, we found an impetus scientific as a sea without coast, which returned the work difficult to extract what in these largest books for our subject of research, so we wanted to

concentrate only about grammar term except which was in the service of our main aim like telling some realities and historical books or identifying some help means like arabic language teaching curriculums in modern age. It was very difficult for us to control the search extent due to drifts variety of this science all long the time.

My gratuated to Doctor Abd El-djalil Mortadh who representes a father for me with his support and encouragement during the work of this thesis, he didn't only a supervisor but he lends me strength to face obstacles. I owe it all to him .

Many thanks for all persons who help me in the realisation of this thesis which I hope to reach the library.

Conclusion:

It is through our this modest research that we have been succeeding in the detection of the mysteries of the term grammar. we conclude that some points would be useful to focus on as follows:

The term Arabic grammar is a correct image for general intellectual climate in the Islamic life, and especially in the stages of growing up, this climate provided it traditional direction, that led to a clear descriptive curriculum and provided it with a mental direction that led it not to stand upon the pure description, but rather to interpret the Arabic phenomena in a mental explanation. The Arabic grammar -owning these two trends- was able to prove the validity of undeniable in the understanding of the Arabic nature.

It's a serious mistake to think that the Arabs were living in isolation and they crest of science what they set up purely an internally motivated abilities. And also it's a server error to imagine that the Arabs were (move), they only transfer what they contacted from the ancestors, but the Arabs scientific activity shouldn't be taught as a part of tradition or originality, but taught as a part of acquisition, which means that these people have begun a scientific movement contacted what was before them and they acted as a new act and this valley as the (Aristotle's Arabic grammar).

The most important thing in grammar term is general that check the sound, system, and significance and that this related language and addresses the shape and the meaning, this is what these characteristics aim at a recent development in the study of language, but all this doesn't deny that the Arabic grammar is characterized by its traditional issue in many languages.

It's understood that the term grammar emerged spontaneously and then looked at the evolution and passed upon the philosophical logical thinking which was associated with its form to submit to the study of the descriptive approach that offers

its observation concerns and studies to the standard curriculum, this latter by its demonstration and creation which was a result of the descriptive approach in order to make correct rules .

The term grammar runs through an oral then a written stage, which is formed in the time of sibawayh were it was strengthened in his time and interlock its meanings and widened in its studies. It started in operations of variety and a strike in the time of Basrien school, then became larger and more significant in the time of keffiyeh school that assess its approach on visual grammar rules and began its stability stage and complete the terminology to be in the last journey of the Kufa. Nevertheless it remained obsessed with diversity turmoil persists, especially through the differences between the two schools Kufa official and Basra.

Whatever the study of grammatical terms are essential for those who want to give a clear picture of the grammatical search at any stage of the included aware of grammar. In particular we don't find in the grammatical library in our present time searches on this important aspect. If you want to look for the meaning of any grammatical term you must be traced back to the grammatical literature ages ago, and even- the most- until you intertwine the desire.

There is no doubt that many grammatical terms haven't changed since they launched the top grammarian who set the foundations of this science, and grammarians did not differ in their use, and, in particular, those terms which were launched at main door in grammar such as an actor, effect subject pattern, name, act and what is the same. It's essence remain one even though, it differ in methods of expression and a large number of them have been in variety, especially among the owners of the two schools Kufa and Basra.

The grammatical management in modern times don't bring changes in drafting terms because they are influenced by the old studies such as Tammam Hassan's terms in the light of astrological clues, but it changed some of the concepts in some

terms, especially on the side affected by the revolution on worker and his theory which was advocated by many of the overthrown in our time. this management didn't find an echo in reality, because it increased the complexity of the grammar and the multiplicity of its terminology, therefore, this gives an acquittal of the old grammar which make it sitting on the throne of the grammatical studies without challenged and it was an obstacle to the application of grammar in the modern era.

The modern curriculum booked clearly between the grammar and the meaning, that separate it from the language. The objective of grammar is educational and in isolated abstract material, they are not taught in order to save the tongue from wrong, but to gain information and stored it without applied for it in reality. Linking grammar with texts contained meaning that lead to understanding the grammar and accuracy in its terms. The idea of competencies approach in reforming the educational system in our time try to access to this purpose, but their men who based on a mental imagination didn't attend it, how about the learner.

Frequent grammatical applications in the modern era and their link to the reality in the light of the competencies in grammar and disorders in grammar terms and thus led to ancient linguistic desired intuitive and precise wording of the term grammar for a true building for the rest and good understanding of the content of the lesson, then link a text with different examples that facilitate the employment of the term within the compositions whatever its nature.

The research of the curriculum requires Arab scientists to look to (curriculum), that is no doubt an active movement required in the study of grammar(heritage) valid a scientific study and permit of modern development in linguistic studies and participation. The old Arabic grammar including the correct foundation of linguistic humanitarian that provided us with principals of the approach we seek.

All teaching methods are good if they properly exploited and

create the appropriate needed conditions especially in the modern era with the changes and culture development in the light of globalization and information in various ways from the internet and satellite channels. it's true that there are a lot good attempt that have not seen the light without a collective advancement to raise the flag of the Arabic language and the collaboration of efforts.

The language of Quran is strange itself, how about those who tries to lift it.